5-2-1987

الكلمة الاولى

أعداد الاحتفالات بالعيد العشرين

مع اقتراب الذكرى العشرين لتأسيس الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بحثت هيئة التحرير في اشكال التغطية الملائمة لهذه المناسبة البارزة في تاريخ الجبهة والثورة الفلسطينية .

زيادة عدد صفحات المجلة عملياً بدأت منذ شهر تشرين الثاني الماضي ومنذ الذكرى الاولى للانتفاضة الشعبية في الاراضي المحتلة ، والتي اعتبرناها بداية ايضاً للاحتفال بالعيد العشرين للجبهة الديمقراطية . وقد خصصت هذه الزيادة لتغطية مواد خاصة عن الذكرى السنوية الاولى للانتفاضة الباسلة ، واستمرت زيادة الصفحات حتى الآن ، ومن المقرر ان تستمر حتى انتهاء احتفالات الذكرى العشرين لتأسيس الجبهة الديمقراطية .

هكذا فان تغطية الاحتفالات بذكرى تأسيس الجبهة الديمقراطية وكذلك المواد الخاصة بالانتفاضة ستتواصل كما ستتواصل زيادة صفحات المجلة . وفي هذا العدد خصصت الصفحة الاخيرة لتكريم شهداء الجبهة البواسل طوال الاعوام العشرين ، كما ستخصص في الاعداد القادمة مواد عديدة بهذه المناسبة .

وبهذه المناسبة تهنىء هيئة تحرير « الحرية » وكل العاملين فيها الرفاق في قيادة وكوادر وقواعد الجبهة الديمقراطية والثورة الفلسطينية ، كما تهنىء الشعب الفلسطيني والقوى الوطنية والتقدمية العربية ، مجددين العهد بان نلتزم على الدوام بأهداف ثورتنا الوطنية الباسلة ومصلحة جماهيرنا المناضلة الكادحة وانتفاضتنا الشجاعة وحركة تحرر شعوب امتنا العربية والقيم التقدمية والانسانية عامة .

التحرير

المحتويات

■ اسحاق رابين ، وزير القمع الاسرائيلي ، ادخل تعدلايت جديدة على خطته لتسوية المشكلة الفلسطينية وسط انباء عن خطة جديدة لاسحاق شامير سيطرحها في واشنطن

ص ٦ - ٨

■ الحوار الفلسطيني - الاوروبي الغربي يتواصل في العديد من المدن الاوروبية الغربية بهدف تطوير الموقف الاوروبي الغربي ودفعه للعب دور فعال في عقد المؤتمر الدولي .

ص ١٢ - ١٤

■ « عن « البيريسترويكا » والتفكير السياسي الجديد والنضال الفلسطيني » عنوان مداخلة الزميل داود تلحمي ، رئيس تحرير « الحرية » ، الشفهية في ندوة مجلة « النهج » التي عقدت مؤخرا في دمشق .

ص ٢٩ - ٣٢

■ هذا « المحور » الشرقي الجديد الذي يضم الاردن ، العراق ، مصر ، اليمن الشمالي : ما هي دوافعه واهدافه ؟ وما هي الآفاق أمامه ؟

ص ٣٣ - ٣٤

■ في الصفحات الثقافية تغطية لاهم مراحل حياة وانتاج الرسام العالمي سلفادور دالي ، والحلقة الرابعة من قراءة د . عبد الرزاق عيد في خماسية « مدن الملح » وقراءة في مجموعة الاديب الفلسطيني رياض بيدس الاخيرة .

ص ٤٨ - ٥٧

الحرية

اسبوعية سياسية عربية
تصدر عن شركة ت. ه. ع للنشر - قبرص
٢ شارع هوميروس ص. ب ٢٣٩٢ نيقوسيا
هاتف ٤٥٩٢٣٤ نيقوسيا
مكتب دمشق ص.ب ١١٤٨٨ دمشق - سوريا
هاتف ٤٤٠١٠٣ - ٤٤٦٥٩٨ دمشق

رئيس التحرير : داوود تلحمي
مدير التحرير : سام عبد الله
سكرتير التحرير : زكريا محمد

AL - HOURRIAH
A political and cultural Arab weekly
Published by
T. H. O (Publishers) Co. Ltd
2 Homer Avenue, P. O. B. 2392, Nicosia, Cyprus
Tel: 459234
Damascus Office:
P. O. B. 11488 - Damascus - Syria
Tel: 440103/ 446598
Printed at
Printco Ltd. P. O. B. 2048, Nicosia, Cyprus.

الاشتراكات
تحول قيمة الاشتراك السنوي او نصف السنوي الى حساب المجلة
T. H. O. (Publishers) Co. Acc. No 06 - 004926
Bank of Cyprus, Nicosia
قيمة الاشتراكات السنوية (بالبريد الجوي)
■ البلدان العربية واوروبا : ٨٠ دولارا اميركيا
■ آسيا وافريقيا والاميركتان : ١٢٠ دولارا
■ استراليا والبلدان الاخرى : ١٥٠ دولارا
■ المؤسسات والدوائر الرسمية : ٨٠٪ اضافة
■ العمال والطلاب : ١٥٪ خصم ■ اشتراك المساندة : الضعف
■ اشتراك فخري : ثلاثة اضعاف

المراسلات
■ ص. ب ١١٤٨٨ - سوريا - دمشق
T. H. O. - P. O. B. 2392 - Nicosia - Cyprus

سعر النسخة

سورية	٥ ل.س	قطر	٥ ريالات
لبنان	٥٠ ل.ل	اليمن (صنعاء)	٥ ريالات
اليمن (د)	٢٠٠ فلس	السودان	١ جنيه
الجزائر	4 دنانير	ايران	١٢٠ ريال
تونس	400 مليم	Cyprus	50 c
المغرب	5 دراهم	France	7F.
الكويت	٤٠٠ فلس	Germany (w)	3D.M.
ليبيا	٤٠٠ درهم	Greece	60 Dr.
العراق	٤٠٠ فلس	Italy	1500L.
الاردن	٤٠٠ فلس	Ivory Coast	500CFA
الامارات	٥ دراهم	Spain	140Pes.
		Switzerland	3FS
		U. K.	1£
		U.S.A	$ 2

التوزيع والاشتراكات والاعلانات : مكتب قبرص
التوزيع في سوريا المؤسسة العربية السورية لتوزيع الصحف والمطبوعات

Digitized by Birzeit University Library

الانتفاضة تدخل شهرها الخامس عشر:

صخرة الوحدة الوطنية أصلب من مناورات الاعداء

■ بينما كانت الانتفاضة الشعبية الفلسطينية تقترب من دخول شهرها الخامس عشر، احد التكتيك السياسي الاسرائيلي الجديد لمواجهتها في التبلور، من خلال تصريحات وتسريبات كل من يتسحاق شامير، رئيس الحكومة « الليكودي »، ويتسحاق رابين، وزير « الدفاع » (وعمليا وزير البطش في الاراضي المحتلة) « المعراخي ».

ورغم ما بين الرجلين من تباينات في الخلفية وفي الانتماء الحزبي وفي الأسرجة، إلا انهما يبدوان الآن متقاربين ومتكاملين في الحكومة الائتلافية الاسرائيلية، إن من حيث ميلهما للمرهان على القمع المكثف في الاراضي الفلسطينية أومن حيث سعيهما لتفيس الانتفاضة وما خلقته من انعكاسات لصالحها ولصالح قضية الشعب الفلسطيني في انحاء العالم. وفي الوقت الذي يبدو فيه زعيم حرب العمل شمعون بيريس متغمسا في هموم وزارته المالية وفي معالجة الانعكاسات الاقتصادية للانتفاضة، معترفا ضمنيا - بخفض صوته في القضايا السياسية العامة، وخاصة في الموضوع الفلسطيني ومستقبل الاراضي المحتلة - معترفا ضمنيا بخسارته انتخابات الكنيست الاخيرة، وربما بدء العد العكسي لزعامته لحزب العمل، وفي الوقت الذي ما زال فيه وزير الخارجية الجديد، موشيه ارينس، يسعى للتأقلم مع وظيفته الصعبة في ظروف الادانة الدولية الواسعة للسياسة الاسرائيلية في الاراضي المحتلة، يبدو **الثنائي شامير - رابين وكأنه، على تباينه، روح الحكومة الائتلافية الجديدة ولوليها في القضية الكبرى التي تواجه هذه الحكومة، وهي قضية الانتفاضة** والتعامل السياسي مع انعكاساتها.

وشامير الذي خاض انتخابات الكنيست الاخيرة تحت شعارات المزايدة التوسعية والتصدي للارادة الدولية ولدعوات الواقعية السياسية، الصادرة حتى من داخل اسرائيل، بدأ - بعد ان انتهى الى تشكيل حكومته يتحاق رابين، إثر مخاض طويل - بدأ يتصرف الآن بهدوء اكبر ويختار كلماته بدقة أعلى ويحاول ان يحلط حلّه العكسر ببعض الزيت، كما يقال. واحد، هو ومعاونوه، **يروجون لمبادرة جديدة ستطرح على الملأ في شهر شباط (فبراير) الحالي أو الشهر الذي يليه، وتتضمن بعض التعديلات والتطويرات على المواقف المعروفة لشامير، وهي مواقف الشبث الأقصى بالارض المحتلة والرفض المطلق للتعامل مع ما يتجاوز اتفاقات كمب ديفيد في شقها الثاني (الخاص بمستقبل الاراضي الفلسطينية المحتلة) - وهي الاتفاقات التي لم يؤيدها** يتسحاق شامير حين توقيعها عام ١٩٧٨، ولكنه عاد بعد ذلك ليعتبرها سقفا « للتنازلات » الاسرائيلية - وبدأت الصحافة الاسرائيلية وتصريحات شامير وصحبه تسرب نتفا من المبادرة العتيدة، في حين تقدم يتسحاق رابين بمفرده وعلى مسؤوليته الشخصية بمبادرة اخرى، تبدو مختلفة بعض الشيء عن مبادرة رئيس حكومته، ولكنها تلتقي معها في مسألتين هامتين (مع مسائل اخرى طبعا):

- **اشتراط توقف الانتفاضة**
- **الفصل بين فلسطيني الداخل وفلسطيني الخارج.**

ففي حديث لصحيفة « لوموند » الفرنسية - عدد ٢/١ - تحدث شامير عن « حل على مرحلتين للفلسطينيين المقيمين هنا (أي في الاراضي المحتلة)، تقدم المرحلة الاولى حكما ذاتيا واسع النطاق ويسير اليا للغاية (!) لفترة محدودة، ثم تجري مفاوضات بلا شروط مسبقة بشأن الوضع النهائي للاراضي (المحتلة) ». واعرب شامير عن استعداده للتفاوض مع مصر والاردن والفلسطينيين (يقصد فلسطينيي الداخل) بهذا الشأن، وحتى اذا ما رفضت أو تلكأت مصر والاردن فانه مستعد « للتفاوض حول المرحلتين مع الفلسطينيين وحدهم ».

أما الوزير يتسحاق رابين فقد طرح مشروعه « الشخصي » قبل عدة اسابيع، ولكنه عاد اثناء اجتماع لكتلة حزب العمل (الذي ينتمي اليه) في الكنيست يوم ١/٣٠ ليفصّل بنود مشروعه ومراحله الاربع:

١ - اهدوه والاستقرار (!)

٢ - انتخابات في المناطق (المحتلة) لاختيار ممثلين سياسيين، « وقد تعلمنا اليوم انه، بدون سكان المناطق (المحتلة) لن يكون هناك عنوان، ومن الافضل التباحث مع هؤلاء الذين سيتم انتخابهم من قبل السكان ».

٣ - الدخول في مرحلة انتقالية (ليست « ادارة ذاتية ») مع « الحفاظ على الامن والمستوطنات بحيازتنا ».

٤ - الحوار حول دائم مع الممثلين المنتخبين، ومع الاردن ومصر، اذا ارادنا ذلك، واذا رغبت الولايات المتحدة فيمكنها المشاركة.

وفي مداحلة رابين إيناها تأكيد متكرر على ضرورة بروز هذه « القيادة المحلية » الفلسطينية والتعامل معها وحدها، بعيدا عن التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية وما تمثله. فالسيد رابين تحدث عن وجود قيادة محلية لها وزنها « الاحد بالازدياد »، واصر على التمييز بين منظمة التحرير « التي تجلس في فيلات تونس وفنادق اوروبا » - على حد تعبيره - وبين « القيادات المحلية في المناطق (المحتلة) والتي يجب التحدث معها ».

وفي حين بدأ رابين مداحلته بالقول: **« اننا نقف امام انتفاضة فلسطينية شعبية ذات أهداف سياسية وتشكل خطرا على أمن اسرائيل ومستقبلها »**، واكد قبل عرض مشروعه « ان الحد الادنى للقاسم المشترك لجميع العناصر العاملة في المناطق (المحتلة) هو اخراج اسرائيل من يهودا والسامرة (الضفة الغربية) وغزة، وإقامة الدولة الفلسطينية التي تكون القدس عاصمتها، وهذا هو الحد الادنى لهم جميعاً » - صحيفة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية عدد ١/٣١ - ، انتهى الى القول بان « الانتفاضة خلقت في المناطق (المحتلة) ادراكاً ووعيا » وبانه « اذا اردنا سياسة حكيمة وتوقفنا عن الهلهاث وراء عرفات، فهم في المناطق (المحتلة) سيكونون شركاء حازمين في دق العملية، ومعهم، لدينا أمل بالتبكير في التوصل الى حل وتسوية » !!

وفي حين يبدو مشروع شامير - بارزنحو عنه - مشروعا « إعلاميا » لا يتجاوز العملية التجميلية للشق الثاني من اتفاقات كمب ديفيد، بمفهوم شامير نفسه - الذي عاد واكد بشكل قاطع استعداده للدولة الفلسطينية المستقلة كحل نهائي (« انهم لن يصلوا - الى الدولة المستقلة - لا عن طريق المفاوضات ولا عن طريق القوة. انه امر لا يمكن تصوره ولن يحدث ابدا » ! - صحيفة « لوموند » ٢/١) ، يذهب مشروع رابين أبعد منه حيث يترك تقرير شكل الحل للمستقبل. ولكن يتضح من طرح الاثنين ان **الهدف المباشر** - كما ذكرنا - **هو وقف الانتفاضة**، واهدف المترافق، والاهم على أمد أطول، هو ايجاد شرخ بين فلسطيني الداخل وفلسطيني الخارج. وواضح من الضجة الاعلامية التي اثيرت في الصحافة الاسرائيلية منذ عدة اسابيع حول شخصية فيصل الحسيني ودوره ومكانته في الاراضي المحتلة، ثم الضجيج الذي اثير حول تصريحات منسوبة اليه بشأن مبادرة رابين ومحاولات افتعال اختلاف بين موقفه ومواقف منظمة التحرير والشخصيات الفلسطينية الاخرى في الاراضي المحتلة، واضح ان المراهنة الاسرائيلية على إحداث هذا الشرخ، انتقلت من مرحلة الانتفاضة - عن عملياته الاحتلال والخاق القلائل ومن الرموز البورجوازية والاقطاعية التقليدية أوحتى من الشخصيات البورجوازية العصرية والمعتدلة « الى شخصيات لا ليس في انتمائها الى الحركة الوطنية الفلسطينية (ذهبت حتى بعض الصحف الاسرائيلية الى تصوير فيصل الحسيني - وهو ابن الشهيد والبطل الوطني الفلسطيني في مرحلة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ عبد القادر الحسيني - وكأنه البديل المحلي لياسر عرفات !!).

ومن الضروري هنا التأكيد أن **هذه اللعبة الاسرائيلية لا افق لها ولن تعيش طويلا**. فكل الشخصيات التي التقى بها في الاونة الاخيرة يتسحاق رابين أو شمونيل غورين، « ممثل الانشطة الاسرائيلية في الاراضي المحتلة »، أو غيرهما من ضباط « الادارة المدنية » ورموز الاحتلال، تنصلت، لسبب أو لاخر، من المسؤولية عن المشاركة في لقاءات كهذه أومن الاستعداد للدخول في لعبة رابين التفاوضية بشأن مشروعه والانتخابات التي يطرحها. واذا كان من المستبعد ان يكون لدى رابين، العسكري السابق والسياسي المخضرم، ابنة أوهام حول المزاج الحالي في الاراضي المحتلة وعلى الصعيد الفلسطيني العام، فان من الممكن ان تكون مراهنات رابين - وشامير ايضا - مراهنات أطول مدى. فطالما ان القمع لم يتمكن - ولن يتمكن، كما يقول قادة اركان الجيش الاسرائيلي - من وقف الانتفاضة، وبالتالي من وقف الانتصارات السياسية الفلسطينية التي نتجت عنها، فان المرحلة التالية في مواجهتها هي مرحلة محاولة تقسيم الشعب الفلسطيني بين « الداخل » و« الخارج »، بين سكان الضفة والقطاع الخائفين والمعذبين و« سكان الفيلات والفنادق » في الخارج (وهنا يتناسى الاسرائيليون طبعا الاوضاع المزرية لمئات الآلاف من الفلسطينيين في مخيمات اللجوء). والمحاولة قد تفشل، كما فشلت في بلدان مستعمرة اخرى قبل ذلك، ولكن لا بد منها. فلعل وعسى...

وهنا ينبغي ايضا توقع محاولات اخرى لتقسيم الشعب والثورة الفلسطينية. فلذلك في منطق الاشياء. وليس من المستبعد ابدا ان تسعى الادارة الاميركية نفسها - الى اللعب على هذا الوتر. ربما ليس وتر « الداخل » و« الخارج » بالضرورة، وانما وتر « المعتدلين » و« المتطرفين ». وهذه اسطوانة مألوفة ولا يستبعد ان تعود الى تعكير اسماعنا في الاشهر القادمة، خاصة بعد ما أثير بشأن اشتراطات اميركية متعلقة بالاشخاص والهيئات العاملة في إطار الساحة الفلسطينية.

وعموما، ففي زمن الانتفاضة الشاحة، لا يُخشى على وحدة الشعب وثورته. فحتى رئيس بلدية بيت لحم الياس فريج، المعروف بميوله للمساومة وبرسمي الدول العربية عنه منذ أمد بعيد، اضطر - في منتاح الانتفاضة - الى رفع صوته مؤخرا ضد الاحتلال وضد مشروع رابين وضد تقسيم الشعب الفلسطيني بين « الداخل » و« الخارج ». ولكن الاعداء يراهنون على مراحل اخرى، تجري فيها الرياح باتجاهات اخرى اكثر مؤاتاة لهم. ولذلك فهم لن يسلّموا ببساطة بسقوط ورقة تقسيم الشعب والثورة. فهذه الورقة ستبقى في عنهم حتى اللحظة ما قبل الاخيرة، حتى يضطروا الى التعامل مع الشعب الفلسطيني الموحد، في الداخل والخارج، بقيادته الواحدة - منظمة التحرير الفلسطينية - ويضطروا الى التعامل مع الحق الطبيعي لهذا الشعب في الالتقاء على أرض وطنه وتقرير مصيره بحرية وتكريس قيام دولته المستقلة على هذه الارض. وحتى ذلك الحين ستبقى الرجاجات الحارقة والحجارة تطاير وسيبقى الدم الطاهر يروي الارض المعتقلة، وسيبقى رابين وصحبه يتامرون على الانتفاضة وعلى الشعب، وستبقى هذه الحرب العبرية - الاسرائيلية الجديدة - كما أسماها شامير - مستمرة. فصراع الارادات لن ينتهي هذه المرة إلا بانتصار ارادة الشعب ■

وائل زيدان

Digitized by Birzeit University Library

رابين : لعبة بهلوانية افقها مسدود

شامير : التهرب من الضغط الدولي

حركات رابين السياسية تواكب تصعيدة للقمع

لعبة بهلوانية لا أفق لها

■ ماذا يريد اسحاق رابين ، وزير « الدفاع » الاسرائيلي من خطواته السياسية الاخيرة ؟ فبعد اعلان رابين ، في منتصف شهر كانون الثاني ، عن خطة سياسية « لحل المشكلة الفلسطينية » قوامها الدعوة الى انتخابات مجالس بلدية في الضفة الغربية وقطاع غزة لانتخاب قيادة فلسطينية تكون مهمتها المشاركة في مفاوضات مباشرة مع اسرائيل لتقرير أوضاع الاراضي المحتلة ، بعد ذلك اجرى مسؤولون في « الادارة المدنية » الاسرائيلية سلسلة من اللقاءات مع مجموعة من الشخصيات الفلسطينية ، في الضفة والقطاع ، كان اولها اللقاء بين شموئيل غورين ، منسق الانشطة الاسرائيلية في الاراضي المحتلة ، وفيصل الحسيني ، اثناء الاعتقال الاداري له ، ثم الحفت بلقاءات بين غورين نفسه وعدد من المحامين والنقابيين ورجال الدين في غزة .

وفي يوم ١/٣٠ ، اعلن اسحاق رابين عن تعديل خطته ، حيث كان يشترط وقف الانتفاضة قبل بحث الخطوات التنفيذية لانتخاب ممثلين عن الضفة والقطاع ، ولكنه ، في مهرجان لحزب العمل في مدينة تل ابيب ، اعلن عن استعداده لمناقشة بنود خطة مع « فلسطينيين من الضفة الغربية وغزة قبل انتهاء الاضطرابات (!) في الاراضي المحتلة ، من اجل التوصل الى اتفاق حول الاجراء الواجب تبنيه للتوصل الى حل مبالي للنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني » . واوضح رابين في هذا المهرجان اليهود العامة لخطته بالقول : « اذا اراد الفلسطينيون انتخابات حرة في الاراضي (المحتلة) فانها لا يمكن ان تجري على اساس العنف . عندما تبدأ المناقشات الاولى فان الهدوء سيسكب ونظم انفسنا لاجراء انتخابات وبعد تعيين فلسطينيين ومرور مرحلة انتقالية نحدد كيفيتها مع محادثينا يمكننا ان نفاوض بشأن حل مبالي » .

تفاصيل الخطة

وقد كشفت صحيفة « حداشوت » الاسرائيلية ، يوم ١/٣٠ ، عن مزيد من التفاصيل بشأن خطة رابين ، حيثما اوضحت انها تتضمن النقاط التالية :

■ الانتخابات : تتم بعد فترة ستة اشهر من الهدوء من اجل تشكيل قيادة فلسطينية محلية تتفاوض مع اسرائيل . لن تدخل الامم المتحدة « المناطق » بأي حال من الاحوال ! م . ت . ف . خارج العملية !!

■ يتم انشاء ادارة ذاتية لفترة محددة ، وفي نهايتها يتقرر مصير المناطق (المحتلة) وشكل التسوية بين الفلسطينيين وجيرانهم من المشرق والمغرب ! لا للدولة الفلسطينية المستقلة !

■ المفاوضات مع قيادة محلية شرط مسبق لاية مفاوضات .

■ رفض حق العودة للاجئين .

■ اشتراط ارتباط المناطق بكونفدرالية مع الاردن .

ما طرحه رابين ، سواء في خطته الاولى ، او في تعديلاته اللاحقة ، كان محاولة لاقران سياسة العصا ، المتبعة من قبله والمتمثلة بحملة القمع الفاشية الواسعة ضد سكان الارض المحتلة ، بسياسة الجزرة وقوامها هذا المقترح السياسي الذي هدفه الرغبة في الخروج من المأزق الذي تجد اسرائيل نفسها فيه بعد اكثر من اربعة عشر شهرا من بدء الانتفاضة ، وبعد العزلة الدولية الخانقة التي تعاني منها اسرائيل . والتعديلات التي قام رابين باضافتها ، يوم ١/٣٠ ، حاولت ان تتفادى الاشتراط ان يكون الممثلون الفلسطينيون المنتخبون من غير المؤيدين لمنظمة التحرير ، حينما قال ان « اي فلسطيني مقيم في الاراضي (المحتلة) هو شريك محتمل في المفاوضات ، مهما كانت اراؤه السياسية ، فانهم هم مستعدون للقيام به ، واذا كان سكان الاراضي يفكرون مثل منظمة التحرير الفلسطينية فان الامر لا يعني غير انني لن اتكلم الا معهم » .

هذه العبارة يمكن ان نلحص احد الاهداف التي يرمي اليها رابين من طرحه خطته ومن اللقاءات الفلسطينية - الاسرائيلية التي جرت مؤخرا في الاراضي المحتلة . كما يمكن ان نفسر بعض التصريحات التي صدرت من قبل اسحاق شامير ، رئيس الوزراء ، حينما قال ، يوم ١/٢٩ ، ان اسرائيل « مستعدة للتفاوض مع فلسطينيين وللاعتراف بحقوقهم المشروعة » والاحاديث المتكررة عن طرح الحكومة الاسرائيلية لخطة « سلام » خلال الاسابيع الستة القادمة واثناء زيارة شامير للولايات المتحدة الامريكية ، والتي اعلن عنها المتحدث باسم وزارة الخارجية الاسرائيلية بالقول « ان شامير سيعرض خلال زيارته الى واشنطن خطة للتسوية تفتح اجراء مفاوضات تحت اشراف الدولتين العظميين ، وباسكان الامم المتحدة المساعدة في التفاوض المباشر » .

فخطة رابين تهدف اساسا الى محاولة خلق قيادة فلسطينية محلية في الاراضي المحتلة تقوم اسرائيل بالتفاوض معها حول مستقبل الاراضي المحتلة ، وبما يعني محاولة الالتفاف على قيادة م . ت . ف . وعلى الحق في اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى ارض وطنهم كما نصت على ذلك قرارات الامم المتحدة

وهذا الامر عبر عنه رابين عندما قال في اجتماع جلسة مجلس الوزراء الاسرائيلي : « كلما انتقل مركز الثقل في القيادة الفلسطينية من الخارج الى داخل الضفة والقطاع ، كلما كان ذلك اكثر ايجابية وساهم في التقليل من شأن منظمة التحرير الفلسطينية » . صحيفة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية ، يوم ١/٣٠ . واوضحت الصحيفة ان رابين طالب الوزراء الاسرائيليين بالتمييز بين انجازات منظمة التحرير الفلسطينية وبين نقل مركز الثقل الى المناطق المحتلة !

رسالة رابين تخطيء العنوان

وبهذا يحاول رابين التخلص من المأزق الحاد الذي وصلت اليه السياسة الاسرائيلية في الارض المحتلة . فلا القمع قادر على وقف الانتفاضة ولا اسرائيل اقرت ، حتى الآن ، واعترفت بان طريق حل المشكلة الفلسطينية يمر عبر الاقمار يوتن م . ت . ف . ودورها في تمثيل شعبها . لهذا يحاول رابين الالتفاف على هذا المأزق المزدوج عبر ممارسة القمع وسد خيوط سياسية مع شخصيات فلسطينية مقربة او مضاطفة مع المنظمة في حوار غير مباشر ، وغير متكافىء . كما يريده - مع المنظمة .

وهجوم رابين السياسي هذا ترافق مع تصريحات شامير التي اشرنا اليها والتي استهدفت محاولة التخفيف من الضغط الدولي المتزايد على حكام تل ابيب . خاصة بعد النجاحات والاختراقات التي قامت بها منظمة التحرير الفلسطينية للموقف الاوروبي الغربي بعد صدور قرارات دورة الانتفاضة للمجلس الوطني الفلسطيني ، وبعد تصويت الجمعية العامة للامم المتحدة ، في جنيف ، باغلبية ساحقة لصالح عقد مؤتمر دولي حل ازمة الشرق الاوسط تحت اشراف الامم المتحدة وبحضور الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن وكافة اطراف الصراع في المنطقة ، وبعد قبول دولة فلسطين عضوا مراقبا في الامم المتحدة .

والمعلومات التي اوردها المتحدث باسم الخارجية الاسرائيلية ، حول الخطط العامة لمشروع شامير ، تشير الى محاولة اسرائيلية لتخفيف هذا الضغط الدولي عبر الموافقة على مؤتمر دولي مصغر برعاية الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وعبر مشاركة فلسطينية خارج اطار م . ت . ف . وتأتي هذه المواقف الاسرائيلية مع تزايد الاعترافات الفلسطينية للجبهة الاوروبية الغربية ، وهو ما تجلى في زيارات وفود المنظمة الى فنلندا والنمسا واسبانيا والعديد من اللقاءات الاوروبية الغربية - الفلسطينية التي جرى فيها الباحث حول اسس تطوير الموقف الاوروبي الغربي لدفع عملية السلام قدما في المنطقة وعقد المؤتمر الدولي حل ازمة المنطقة .

هذه هي اهداف تحركات رابين - شامير السياسية .

ولكن هل هذه المشاريع اي الحظوظ في الحياة ؟

داخل اسرائيل يبدو الخلاف واضحا حول مشروع رابين ، حيث اعتبره شامير « مشروعا شخصيا لا يلزم الا صاحبه » ، بينما اوردت صحيفة « معاريف » الاسرائيلية ، يوم ١/٣٠ ، معلومات تشير الى ان اسحاق شامير وموشيه ارينس ، وزير الخارجية الاسرائيلي ، لم يوافقا على خطة رابين ، ولكنهما وافقا على فتح الحوار مع الشخصيات الفلسطينية في الاراضي المحتلة دون اي اشتراط مسبق لأرائهم السياسية للمشاركة في هذا الحوار .

وهكذا يكون رابين وشامير قد اتفقا على بدء الحوار ولكنهما اختلفا على بنود خطة رابين ، مع ان الاثنين متفقان على رفض الدولة الفلسطينية المستقلة ورفض المؤتمر الدولي الفعال ورفض مشاركة م . ت . ف في اي مفاوضات حل ازمة المنطقة .

الموقف الفلسطيني : لاانتخابات قبل جلاء الاحتلال

اما الجانب الفلسطيني فقد كان واضحا في رده على هذه الخطط الجديدة - القديمة ، سواء داخل الارض المحتلة أو خارجها . فالقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة دعت ، في بيانها الاخير رقم ٣٣ ، الى افشال المقترحات الداعية الى اجراء انتخابات سياسية في الضفة وغزة واعتبرتها « مؤامرة سياسية لا تختلف عن سابقاتها مثل « الادارة المدنية » و« الحكم الذاتي » ومشروع شولتس . كما رفضت كافة الشخصيات الفلسطينية ، في الارض المحتلة ، هذه المشاريع وقالت بصراحة ان عنوان الشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده هو منظمة التحرير الفلسطينية وليس القدس أو غزة . واعلنت عن رفضها لاية انتخابات سياسية طالما جيش الاحتلال متواجد داخل الارض المحتلة . فالمطلوب دحر الاحتلال وتسوية سياسية شاملة للشعب الفلسطيني وليس لسكان الضفة والقطاع فقط . والموقف ذاته كررته منظمة التحرير الفلسطينية وكافة فصائل الثورة الفلسطينية .

لقد كانت خيوط لعبة رابين واضحة . محاولة احداث انقسام مفتعل بين جماهير الانتفاضة وم . ت . ف . ولكن هذه المحاولة كانت مكشوفة ، كما كان مصير اختها محاولة شامير الرامية لتنفيس الضغط الدولي المتزايد على حكام اسرائيل .

لقد حاول رابين ان يجعل من شخصه رغبة الجناح العمالي في حزب العمل . فكما هو قادر - برأيه - على قمع الانتفاضة فهو قادر على تحريك العملية السياسية في ظل غرق زعيم الحزب ، شمعون بيريس ، حتى أذنيه في المشكلات الاقتصادية ، وفي ظل العلاقة الودية بين رابين وزعماء تكتل « ليكود » وعلاقاته الطيبة مع واشنطن .

وهكذا يحاول رابين ان يعمل من اجل ان يرتب بيته الداخلي ، بيت حزب العمل ويخرج اسرائيل من عزلتها ويخفف الضغط عنها . ولكن هل يستطيع رابين الذي اصبح وضعه الآن كمن يمشي على حبل رفيع ومشدود لا يعرف اذا ما كان سيصل يوما ما الى نهايته ، قبل ان يقع على الارض ويحرقه اتون الانتفاضة اللاهب ! ■

سامر عبد الله

الانتفاضة : سد منيع امام مشاريع حكام اسرائيل

Digitized by Birzeit University Library

اعتقال المناضلة زهيرة عقل

اعتقلت السلطات الاسرائيلية ، في الخامس من كانون الاول ، المناضلة زهيرة عقل اداريا لمدة ٦ اشهر . والمناضلة زهيرة عقل عضو المكتب التنفيذي للجان العمل النسائي في المناطق المحتلة وامينة سر لجنة لواء القدس للاتحاد .

والجدير بالذكر ان المناضلة زهيرة عقل تعاني من عدة امراض في الانف والاذن والحنجرة والعمود الفقري ، وتواظب على العلاج الطبي اسبوعيا ، وبعد اعتقالها منعت السلطات عنها العلاج الطبي المذكور ، وتكتفي باعطائها حبوب (اكامول) بدعوى انه يشفي كافة الامراض .

ويوجد في سجن النساء حاليا (سجن هشارون) ، الذي كان يسمى سابقا سجن تلموند ، ٢٥ سيدة وفتاة في قسم خاص ، في حين خصصت الاقسام الاخرى للاحداث .

وتعاني المعتقلات من معاملة غير انسانية من قبل السجانات ، وبتاريخ ١٢/٢٦ اقتحمت الادارة غرف المعتقلات ، في الساعة الخامسة صباحا رغم البرد القارس ، وطلبت منهن الخروج من الغرف بحجة رشها (بيادة ضد الصراصير) المزعومة وتحت هذه الحجة قامت بتفتيش الغرف والامتعة .

كما تقوم ادارة السجن بمنع توفير الحاجات الاساسية والملحة نظريا من قبل ما يسمى بادارة السجون العامة مثل الملابس ، الراديو ، الصحف ، ازالة الشك . كما هو الحال في سجن نيفي ترتسا السابق للنساء ، وتمنع الادارة ايضا ادخال خيوط التطريز بحجة انها ستستعمل لتطريز اشكال

(بالوان الاحمر ، الاخضر ، الاسود) اي الوان العلم الفلسطيني .

بن جديد يستقبل عرفات

استقبل الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ، يوم ١/٣١ ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، الاخ ياسر عرفات ، الذي اطلعه على نتائج زيارته الاخيرة الى اسبانيا واتصالات المنظمة بالمجموعة الاقتصادية الاوروبية .

وقال عرفات ، في تصريح للتلفزيون الجزائري ، انه ابلغ الرئيس بن جديد بنتائج زيارته الاخيرة ، لاسبانيا وبما لمسه لدى المجموعة الاوروبية وحركة عدم الانحياز والدول الاسكندنافية من استعداد لدعم الجهود الرامية الى عقد مؤتمر دولي ، برعاية الامم المتحدة وبمشاركة الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن والاطراف المعنيين بنزاع الشرق الاوسط » .

لقاء نروكي - فلسطيني

التقى في تونس ، يوم ١/٣٠ ، وزير الخارجية النروكي تورفالد ستولتنبرغ ، الاخ ياسر عرفات ، رئيس اللجنة التنفيذية لم تبق له وصرح ستولتنبرغ بعد اللقاء ان المنظمة والنروج اتفقتا على ان « تظلا على اتصال ، وانهما تشتركان في وجهات النظر حول ضرورة ان « تواصل عملية السلام » .

من جهة اخرى اعلن ستولتنبرغ ردا على سؤال النساء مؤتمر صحفي مشترك قصير ، انه سيرحب بعرفات في النروج على ان تتخذ الترتيبات اللازمة لزيارة كهذه لاحقا .

القدومي يزور البرتغال

انهى رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، الاخ فاروق القدومي ، زيارة للبرتغال التقى فيها وزير الخارجية البرتغالي جداو ديفيوس بينيرو واوضح القدومي في ختام الزيارة ان البرتغال وافقت على رفع مستوى تمثيل مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في البرتغال .

عرفات يلتقي كرابسكي

التقى ، يوم ١/٢٩ ، الاخ ياسر عرفات ، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية مع المستشار النمساوي السابق برونو كرابسكي حيث تم بحث اخر التطورات على صعيد القضية الفلسطينية . وقد قال كرابسكي بعد اللقاء ، « في السابق كانت جميع الدول الديمقراطية الاوروبية ضدي . الآن اشعر بسعادة لان الملك حوان كارلوس ورئيس وزراء اسبانيا فيليب غونثالث التقيا عرفات في اسبانيا » .

فصائل م . ت . ف . تطالب باعمار مخيم شاتيلا

وجهت ، يوم ١/٢٦ ، فصائل منظمة التحرير الفلسطينية : الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، جبهة النضال الشعبي الفلسطيني ، جبهة التحرير الفلسطينية والحزب الشيوعي الفلسطيني في مخيم شاتيلا ، برقية الى رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، الاخ ياسر عرفات ، واعضاء اللجنة ، دعتهم « الى الاسراع في تحويل المبالغ المطلوبة لفصائل المنظمة لدفع اجور اليد العاملة لاعمار المخيمات ، بسبب الغلاء الفاحش الذي ينعكس سلبا على اهالي المخيم وبمنعهم من دفع اجور العمال » .

وقالت : ان المبالغ الموجودة لدى وكالة « الاونروا » تستخدم في مصاريف مؤسساتية لا تمس جوهر عملية اعمار المخيمات .

ندوة سياسية في مخيم خان الشيح

اقام المنتدى الثقافي الديمقراطي في مخيم خان الشيح ، قرب دمشق ، بتاريخ ١٩٨٩/١/٢٧ ، ندوة سياسية تحت عنوان « الانتفاضة والقيادة الوطنية الموحدة » القاها الفلق جمال رفوت عضو القيادة الوطنية الموحدة في غزة والذي ابعدته سلطات الاحتلال . وقد شارك في الندوة عدد واسع من الفعاليات السياسية وسكان المخيم .

تحدث الرفيق جمال رفوت عن العوامل والاسباب التي ادت الى انطلاقة واستمرارية الانتفاضة ، حيث استعرض تطور الانتفاضة وتشكيل القيادة الوطنية الموحدة . كما تحدث عن دور النسوي والفصائل الاساسية والمنظمات الجماهيرية الديمقراطية والوطنية ، والدور المتعاظم للطبقة العاملة الفلسطينية ودور الحركة الطلابية والمشاركة الواسعة للنسوة والفئات والقطاعات الاجتماعية الاخرى بمواجهة سلطات الاحتلال .

وتحدث عن انجازات وانتصارات الانتفاضة على الصعيد المحلي والاقليمي والدولي وعن القرارات السياسية الصادرة عن الدورة الاخيرة للمجلس الوطني وعنوانها الاساسي اعلان الاستقلال .

الذكرى الثانية لرحيل الفنان محمد أبو صلاح

افتتح في حلب بمناسبة الذكرى السنوية الثانية لرحيل الفنان الفلسطيني محمد أبو صلاح معرضا فنيا ضم مجموعة من أعمال الفنان الراحل غطت مختلف مراحل عمله الفني .

فقد عرض المركز الثقافي العربي بحلب الاتحاد العام للفنانين الفلسطينيين والنادي العربي الفلسطيني في حلب أعمال عدة للفنان الراحل . وحظي حفل الافتتاح بحضور فلسطيني واسع حيث شارك وفد عن الاعلام المركزي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ومجلة « الحرية » وكذلك مجلة « الهدف » ووفد من الاتحاد العام للفنانين الفلسطينيين في سوريا .

وستعطي « الحرية » في عددها القادم رسالة خاصة حول معرض الفنان الراحل محمد أبو صلاح

موسكو ترفض مشروعي شامير ورابين

حوامة - كابيتسا : اتفاق على رفض فكرة المؤتمر الدولي المصغر

رسالة موسكو

■ قام وفد قيادي من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، برئاسة الرفيق نايف حواتمة ، الامين العام للجبهة ، بزيارة رسمية الى الاتحاد السوفييتي ، في الفترة الممتدة من ١/٢٤ وحتى ١/٢٩ ، تلبية لدعوة رسمية من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ولجنة التضامن الافريقي - الآسيوي السوفييتية للتباحث في اوضاع النضال الفلسطيني ، وحماسة الانتفاضة الباسلة في الأرض المحتلة ، وافاق التحرك الجاري على الساحة الدبلوماسية من اجل دفع عملية السلام العادل والشامل في المنطقة الى الامام ، على قاعدة الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي الفلسطيني والعربية المحتلة عام ١٩٦٧ وممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية وفي مقدمتها حقه في تقرير مصيره وتثبيت دولته المستقلة على ارض وطنه المحررة . وللتباحث في تطوير اشكال التنسيق الفلسطيني - السوفييتي في هذا المجال .

لقاء مع لجنة التضامن السوفييتية

وفي اطار الزيارة التقى الوفد الفلسطيني ، يوم ١/٢٥ ، وفد هيئة رئاسة لجنة التضامن السوفييتية برئاسة ميخائيل كابيتسا وعضوية اناتولي ايلين سكرتير هيئة التضامن وليونيد ميدفدكو عضو هيئة الرئاسة وفاديم سيمتسوف مسؤول قسم الشرق الاوسط وميخائيل كوجيمنيكوف مسؤول القسم العربي في صحيفة « الأفريتسا » وعارف لطيوف عضو قسم الشرق الاوسط في لجنة التضامن السوفييتية .

وقد اكد الجانب السوفييتي تأييده الحازم لقرارات المجلس الوطني والتمسك بانعقاد المؤتمر الدولي وفق قرارات الامم المتحدة ، ورفض كافة الحلول الجزئية الاميركية والاسرائيلية مثل مشروعي شامير ورابين . كما اكد الجانب السوفييتي رفضه لفكرة المؤتمر الدولي المصغر برئاسة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية . كما قدر الوفد السوفييتي تقديرا عاليا سياسة الجبهة الديمقراطية وصحة خطها في المجلس الوطني ، واشاد بعمق العلاقة المحررة . وللتباحث في تطوير اشكال التنسيق الفلسطيني - السوفييتي في هذا المجال .

لقاء مع لجنة التضامن السوفييتية

وفي اطار الزيارة التقى الوفد الفلسطيني ، يوم ١/٢٥ ، وفد هيئة رئاسة لجنة التضامن السوفييتية برئاسة ميخائيل كابيتسا وعضوية اناتولي ايلين سكرتير هيئة التضامن وليونيد ميدفدكو عضو هيئة الرئاسة وفاديم سيمتسوف مسؤول قسم الشرق الاوسط وميخائيل كوجيمنيكوف مسؤول القسم العربي في صحيفة « الأفريتسا » وعارف لطيوف عضو قسم الشرق الاوسط في لجنة التضامن السوفييتية .

وقد اكد الجانب السوفييتي تأييده الحازم لقرارات المجلس الوطني والتمسك بانعقاد المؤتمر الدولي وفق قرارات الامم المتحدة ، ورفض كافة الحلول الجزئية الاميركية والاسرائيلية مثل مشروعي شامير ورابين . كما اكد الجانب السوفييتي رفضه لفكرة المؤتمر الدولي المصغر برئاسة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية . كما قدر الوفد السوفييتي تقديرا عاليا سياسة الجبهة الديمقراطية وصحة خطها في المجلس الوطني ، واشاد بعمق العلاقة الاستراتيجية بين الاحتلال السوفييتي والجبهة الديمقراطية والتي اكدتها تجربة النضال المشترك .

الجانب الفلسطيني تطرق الى الاوضاع في منطقة الشرق الاوسط والضغوط الاميركية على منظمة التحرير الفلسطينية لتهدئة الانتفاضة بحجة تأهيل المنظمة للاشتراك في تسوية ازمة الشرق الاوسط وفق الشروط الاميركية . كما عرض الوفد الفلسطيني موقف الجبهة الديمقراطية من تشكيل الحكومة المؤقتة لدولة فلسطين مؤكدا على ضرورة تشكيلها مع فصائل وقوى م . ت . ف والقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة والتحضيرات الوطنية الفلسطينية في داخل الارض المحتلة وخارجها . واكد اصرارم . ت . ف على رفض الضغوط الاميركية وعلى تصعيد الانتفاضة حتى دحر الاحتلال .

وفي هذا المجال اكد الوفد الفلسطيني على اتفاقه مع الموقف السوفييتي برفض الحلول الجزئية الاميركية ومشروعي شامير ورابين والاصرار على عقد المؤتمر الدولي الفعال لحل ازمة الشرق الاوسط وفق قرارات الامم المتحدة ورفض الاطار الدولي المصغر الذي يدعو له شامير .

ولقاء مع بولياكوف

وصباح يوم ١/٢٦ التقى وفد الجبهة الديمقراطية برئاسة الرفيق نايف حواتمة ، الامين العام للجبهة ، في مقر وزارة الخارجية السوفييتية وفدا من وزارة الخارجية برئاسة الرفيق فلاديمير بولياكوف ، رئيس دائرة الشرق الاوسط وشمال افريقيا في وزارة الخارجية .

وفي اللقاء اكد بولياكوف على تأييد الاتحاد السوفييتي لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني ، وتمسكه بعقد المؤتمر الدولي الفعال لحل ازمة الشرق الاوسط وفق قرارات الامم المتحدة . واشار الى رفض الاتحاد السوفييتي فكرة المؤتمر الدولي المصغر برئاسة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية . وشدد بولياكوف على اهمية التطورات التي شهدتها القضية الفلسطينية على الساحة الدولية بفعل الانتفاضة الشعبية في الارض المحتلة وبفعل قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاخيرة .

الوفد الفلسطيني اكد ، من جانبه ، تصميم الشعب الفلسطيني على تصعيد الانتفاضة ومواجهة كل المحاولات والضغوط الهادفة لاجهاضها . كما اكد على رفض منظمة التحرير الفلسطينية والقيادة الوطنية الموحدة لكافة الضغوط الاميركية والمناورات الاسرائيلية التي عبر عنها مشروعا شامير ورابين للمساومة على حقوق الشعب الفلسطيني ، وخاصة حقه في دولته المستقلة . واكد حواتمة على ضرورة التمسك بقرارات المجلس الوطني وعلى اهمية انعقاد المؤتمر الدولي الفعال بمشاركة الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن وكافة اطراف الصراع ، بما فيها دولة فلسطين ورفض مشروع الاطار الدولي المصغر للمفاوضات المباشرة والذي يدعو له شامير .

وتم في الاجتماع بحث تطوير اشكال التنسيق الفلسطيني - السوفييتي من اجل دفع عملية السلام العادل

Digitized by Birzeit University Library

والشامل ، للمنظمة الى الامام ودفع واشنطن الى التراجع عن مواقفها الحالية الرافضة للمؤتمر الدولي الفعال ولدولة فلسطين وتمثيلها في المؤتمر الدولي كطرف متكافىء . كما تم بحث اشكال العمل المشتركة السوفييتية - الفلسطينية لتكثيف الضغط الدولي على المحتلين الاسرائيليين لدفعهم الى الرضوخ للارادة الدولية والانسحاب من الاراضي المحتلة . وتناول البحث كذلك كيفية تطوير اشكال الدعم للانتفاضة الباسلة في الاراضي المحتلة ووضع حد للقمع الدموي الذي يتعرض له سكانها .

وفي يوم ١/٢٥ اجرت لجنة موسكو مقابلة مطولة مع الرفيق حواتمة اذيعت في برنامج ركن الشعب الفلسطيني على مدار الايام ٢٧ - ١/٣١ .

ومقابلة مع صحيفة « الانباء » الكويتية

وفي يوم ١/٢٩ اجرى الرفيق نايف حواتمة مقابلة مع مراسل صحيفة « الانباء » الكويتية في موسكو ، الزميل سلام سافر ، تناول فيها أهم ما دار في المباحثات السوفييتية - الفلسطينية . وفيما يلي أهم ما جاء في المقابلة :

قال حواتمة ، الذي احتشم يوم ١/٢٨ سلسلة من اللقاءات والمباحثات في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ووزارة الخارجية السوفييتية : « لقد عكست قرارات المجلس الوطني درجة الدقة التي تناولتها مباحثات الجبهة في موسكو بين ١٢ - ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) من العام ١٩٨٨ قبل ثلاثة اسابيع من انعقاد المجلس الوطني وكان طريدة « الانباء » السبق في معرفة وقائع هذه المباحثات وقد جاء ما نشرته « الانباء » متطابقا تماما مع قرارات المجلس الوطني . ولقد قلت في حينها بوضوح ، في حديثي مع الصحيفة ، ان قرارات تشرين الثاني (نوفمبر) ستكون حلقات تاريخ مترابطة : اعلان ولادة دولة فلسطين والبيان السياسي الذي يحدد الاساس القانوني للحل الشامل وهو المؤتمر الدولي وقيام الاسس للحكومة المؤقتة . وهذا ما حدث فعلا لسبب اساسي كونه القاسم الوطني المشترك وهو ما احدث انقلابا سياسيا شاملا في العالم ادى الى تطوير موقف اوروبا الغربية نحو تفهم حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والصفة التمثيلية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتحول الى ضغط واضح على الادارة الاميركية لفك حوار مع م . ت . ف . كما ان ديمومة الانتفاضة وقرارات مجلس الجزائر فرضت على واشنطن التراجع وفتح باب الحوار واحدثت قرارات الجزائر هزة كبيرة داخل المجتمع الاسرائيلي .

وقال حواتمة ، ان مباحثات وفد الجبهة في موسكو تناولت طائفة من المواضيع الواسعة والمهمة تركزت حول صمود الانتفاضة ١٤ شهرا متواصلة وقرارات مجلس الجزائر . وقد اكد لنا الجانب السوفييتي وقوفه الى جانب الانتفاضة وضد كل الضغوط الاميركية والاسرائيلية لوقفها ، سواء تحت شعار « التهدئة » او الشعار الاميركي الحديث (وقف العنف المتبادل بين الفلسطينيين والاسرائيليين) فالاحتلال هو اصل العنف الدموي المسلط على الشعب الفلسطيني ولا يجوز وضع الحلاء والضحية في كفتي ميزان واحد . واكدت المباحثات ان هدف واشنطن ، وقف الانتفاضة ، حتى ترتسم منطقة الشرق الاوسط الى حالة الجمود والركود والتي كانت قبل الانتفاضة وهذا يفتح الباب امام هجوم الحلول الاميركية المنفردة » .

تحذير سوفييتي

واشار حواتمة الى ان الجانب السوفييتي حذر من المناورات الجارية لتفتيت الانتفاضة وتقديم قيادة بديلة عن القيادة الوطنية الموحدة مشيرا الى محاولات الدوائر الغربية تنشيط عدد من الشخصيات المحافظة على حساب القيادة الوطنية للانتفاضة .

وقال : « لقد اكد لنا السوفييت تمسكهم بحق فلسطين في بناء دولتها وفي الحل العادل والشامل من خلال المؤتمر الدولي الفعال بمشاركة جميع الاطراف والدول الخمس الاعضاء في مجلس الامن . واكدوا رفضهم القاطع لصيغة المفاوضات المجزءة بوفد فلسطيني - اردني مشترك برعاية واشنطن لان في هذا احياء لسياسة كمب ديفيد وتعارض مع الارادة الدولية الواسعة للحل الشامل والعادل » .

واضاف : « كما يرفض السوفييت صيغة المؤتمر الدولي المصغر الذي دعا له شامير ، مؤخرا ، لانه يهدف الى شطب التمثيل الفلسطيني المستقل وشطب المؤتمر الدولي برعاية الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة فقط الامر الذي يلغي دور الامم المتحدة والدول الخمس الاعضاء في مجلس الامن » .

رفض صيغة رابين

واوضح ، ان الجانبين الفلسطيني والسوفييتي ، كما اكدت المباحثات التي اجراها وفد الجبهة في موسكو ، يرفضان صيغة رابين باجراء انتخابات بلدية وقروية في ظل الاحتلال تمهيدا للحكم الذاتي « لفترة مؤقتة . واكد الجانبان على ان هذه المشاريع كلها تعكس استمرار الضغوط الاميركية والاسرائيلية لفرض حلول منفردة » .

وقال ، اننا على تفاهم تام مع السوفييت على ضرورة الحل العادل والشامل للقضية الفلسطينية ، الامر الذي يتطلب التسريع بدء اعمال اللجنة التحضيرية للدول الخمس الاعضاء في مجلس الامن ، تمهيدا لعقد المؤتمر (الدولي) باشراف الامم المتحدة وبحضور جميع الاطراف لتوفير الضمانة على الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والاستقلال والعودة وفقا لقرارات الامم المتحدة وجلاء الاحتلال عن جميع الاراضي ووضع ترتيبات الامن والسلام لجميع دول المنطقة » .

سفارة فلسطين

واشار الى ان « الجانب الفلسطيني طرح على السوفييت اهمية رفع درجة تمثيل مكتب م . ت . ف . في الاتحاد السوفييتي الى مستوى سفارة فلسطين ، وحيا الجانبان الاتفاق المبدئي على تشكيل لجنة تنسيق سوفييت - فلسطينية مشتركة لبحث ازمة الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية من جميع الوجوه . وقد اكد لنا الجانب السوفييتي تقديره العالي لتشكيل اللجنة . وان قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورة الانتفاضة تشكل الاساس الصالح لحل القضية الفلسطينية وازمة الشرق الاوسط لانها تستند ، تماما ، الى قرارات الامم المتحدة والشرعية الدولية مؤكدين على التمثيل المستقل لمنظمة التحرير الفلسطينية » .

رفض ابتزاز واشنطن

وقال حواتمة ، اكد وفد الجبهة ، في المباحثات ، على الرفض الكامل لضغوطات واشنطن وبان م . ت . ف . تواصل اتصالها وفق قرارات المجلس ، وحذر الوفد من اي تراجع عنها وبان الضغط الاميركي يهدف الى تفكيك سياسة م . ت . ف . وتصريض الوحدة الوطنية للتناقضات والمشاكل وهذا ما حذرت منه القيادة الموحدة بالتداخين ٣٢ و٣٣ .

وكشف حواتمة النقاب عن ان « الجانبين الفلسطيني والسوفييتي تتوفر لديهما معلومات تشير الى ان واشنطن ما زالت ترفض الاعتراف بالصفة التمثيلية لمنظمة التحرير والاعتراف بالحقوق الوطنية المستقلة للشعب الفلسطيني وتطرح تمثيل الفلسطينيين وليس م . ت . ف . في مراحل التسوية وعلى اساس المفاوضات الثنائية المباشرة . وهذا يعني بوضوح ان على الولايات المتحدة تطوير موقفها وعدم الاكتفاء بالحوار مع المنظمة بل الاعتراف بالصفة التمثيلية لها وحق شعبها في تقرير المصير والاستقلال » .

واشار حواتمة الى ان المباحثات تناولت « مسألة الحكومة المؤقتة لدولة فلسطين ، حيث اكد الجانب الفلسطيني على ان هذه الحكومة يجب ان تتشكل وفق الاسس التي قررها المجلس الوطني في دورة الانتفاضة من فصائل م . ت . ف . والشخصيات الوطنية المنتمية برنامج المنظمة وعلى اساس التعددية السياسية وبما يجسد الوحدة الوطنية وان تسمي القيادة الوطنية الموحدة شخصيات العادل والشامل للقضية الفلسطينية ، الامر الذي يتطلب التسريع بدء اعمال اللجنة التحضيرية للدول الخمس الاعضاء في مجلس الامن ، تمهيدا لعقد المؤتمر (الدولي) باشراف الامم المتحدة وبحضور جميع الاطراف لتوفير الضمانة على الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والاستقلال والعودة وفقا لقرارات الامم المتحدة وجلاء الاحتلال عن جميع الاراضي ووضع ترتيبات الامن والسلام لجميع دول المنطقة » .

ابعاد القيادة الموحدة عن تسمية شخصيات الداخل بما يؤدي الى اضعافها » .

واوضح ، لقد لاحظ الجانب الفلسطيني ان ضغوط واشنطن لوقف الانتفاضة تحت شعاره « وقف العنف المتبادل » والعودة الى صيغة الوفد الفلسطيني - الاردني المشترك والمفاوضات المباشرة وعدم الاعتراف الى الآن بالصفة التمثيلية لمنظمة التحرير ومحاولة دفع الشخصيات بديلا عن فصائل م . ت . ف كل هذه الضغوط تندرج تحت عنوان ما نسميه واشنطن ، تأهيل الاطراف الفلسطينية للمشاركة في الحل » . وهذا يذكرنا بدعوة واشنطن لتأهيل مصر السادات للمشاركة في الحل باعادة تركيب البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية للمجتمع المصري بما ينجم مع خطط التسوية الاميركية ، وهذا ما جاء بكمب ديفيد ، بعد خمس سنوات على حرب اكتوبر المجيدة ، حيث انجرت واشنطن مع السادات ، تأهيل مصر للتسوية الاميركية » .

الانتفاضة : اتفاق بين الجانبين على اهمية دعمها وتطويرها

وتطرق الى ان « الجانب السوفييتي اكد على ان وحدة م . ت . ف . وتطوير الانتفاضة هما الاساس في الانقلاب السياسي الذي احدثته قرارات المجلس الوطني على نطاق العالم » . كما اكد على ان « تشكيل الحكومة المؤقتة شأن فلسطيني ، ومن الضروري الوصول الى اتفاق بشأنها باتفاق كل فصائل م . ت . ف . اما مسألة التوقيت فتعود ايضا للجانب الفلسطيني عندما يرى ذلك ضروريا » .

وقال حواتمة : « لقد اشار الجانب السوفييتي الى ضرورة تأمين التضامن العربي للتسريع بعقد المؤتمر الدولي الفعال ، وخاصة تطبيع العلاقات بين م . ت . ف . وسوريا والاردن ومصر ولبنان الدول المدعوة للمؤتمر الدولي . واعطى الجانب السوفييتي اهمية خاصة للعلاقة بين م . ت . ف . والدول العربية التي لها اراضي محتلة ، مشيرا بذلك الى سوريا ولبنان والاردن الذي ، فضلا عن علاقته التاريخية مع شعب فلسطين ، له الساحة من الشخصيات لتهيئتهن دور الوحدة الوطنية الفلسطينية المجسدة في م . ت . ف . ويبرهن ان تكون هذه الحكومة مقبولة على حد تعبير كثير هذا الاتجاه من الدوائر الغربية » .

اما الاتجاه الثاني فيقترح تشكيل حكومة مؤقتة وفقا لقرار المجلس الوطني في الجزائر وعدم الارتداد عن الاسس السياسية والتنظيمية لهذا القرار وتشكيل الحكومة من فصائل م . ت . ف . والشخصيات المنتمية برنامج المنظمة وقرارات دورة الانتفاضة ، وان تسمي القيادة الموحدة شخصيات الداخل لتمرير نفوذها بدلا عن تشجيع تشكيل قيادة موازية من الشخصيات البعيدة عن القيادة الموحدة ، والتي تختلف كثيرا عن المستوى الذي يطرحه برنامج الانتفاضة في الحرية والاستقلال .

اما الاتجاه الثالث فيعلق في المضمون مع الاتجاه الثاني ، ولكنه يرى ان الوقت لم يحن بعد لاعلان الحكومة الفلسطينية ، ويعتقد ان الوقت المناسب هو عقبة (الدولي) حتى تأخذ الحكومة دور المفاوض في المؤتمر اتفا في الجبهة الديمقراطية تتبنى الاتجاه الثاني لان موقفه يتسجم تماما مع قرار المجلس الوطني . ولقد تحملت الجبهة اعباء النضال على امتداد ربع قرن ولكل تفصيل قافلة ضخمة من الشهداء ، استشهدوا دفاعا عن حق العودة والدولة وتقرير المصير والتمثيل المستقل فيما يترك الاتجاه الاول الباب مفتوحا لخلق تناقضات بين الائتلاف الوطني الذي تتشكل منه م . ت . ف . وحكومة الشخصيات ، وخلق ، مباشرة ، تناقضات بين القيادة الموحدة ، التي تقود الانتفاضة والمؤقتة على ملبوس انسان ، وبين شخصيات تقع على هامش الانتفاضة امثال الياس فريج وفائز ابو رحمة وحكمة المصري وحنا سنيورا وسري النبية .

وبالوقت ذاته فاننا لا نجد في الاتجاه الثالث موقفا صحيحا حيث يدعو الى التأجيل لحين عقد الدولي ، وذلك لانه رفض ربط تشكيل الحكومة المؤقتة بالتفاوض . فالحكومة المؤقتة للجزائر ملأ تم اعلانها بالحظة نفسها التي اعلنت فيها الجمهورية الجزائرية في ايلول (سبتمبر) عام ١٩٥٨ فيما بدأت المفاوضات عام ١٩٦١ في فرنسا .

ونحن نعتقد بان للحكومة المؤقتة وظائف متعددة في مقدمتها توسيع الاعتراف بدولة فلسطين ، حيث توجد دول مهمة تربط اعترافها بوجود دول العالم والدفاع في المؤسسات شؤون دولة فلسطين من دول العالم والدفاع في المؤسسات الدولية عن الانتفاضة ضد القمع والابادة الجماعية والاعداد ورعاية شؤون الشعب الفلسطيني في الشتات على قاعدة دولة مقابل دولة . كما ان اعلان الحكومة المؤقتة يضاعف الضغط على الادارة الاميركية لتعترف بالصفة التمثيلية لدولة فلسطين - فالحكومة هي حكومة دولة فلسطين ، وهذا ما ترفضه باصرار الادارة الاميركية . فقد اعلن بوش بعد تسلمه الرئاسة عن رفض اعلان اعلان دولة فلسطين مؤقتا . وكما صرح بوش فان هذا اعلان من جانب واحد يقرر صيغا مصير السيادة السياسية على الارض الفلسطينية ، بينما يقول الامريكان ، في رسائلهم لمنظمة التحرير الفلسطينية ، من حق اسرائيل ان تطالب بضم الضفة الغربية وغزة في المفاوضات ومن حق الفلسطينيين - ولا تذكر اطلاقا اسم م . ت . ف . ان يطرحوا في المفاوضات تقرير المصير وان الولايات المتحدة لن تتحالف الى جانب الاسرائيليين . ونحن نعرف صيغا اذا كان تقرير المصير يقوم الى دولة مستقلة فان الولايات المتحدة ستقف ضد حق تقرير المصير بها المضمون وهذا يؤكده المسؤولون الاميركان باشكال مباشرة وبالقنوات الدبلوماسية غير وسطاء متعددين » .

وقال حواتمة في ختام حديثه : « نتارض مطروحات التأجيل الاميركي لتفتيت التحرير ، ونرى في قيام الحكومة المؤقتة تغييرا للحناق على ضغوط واشنطن بالارتداد الى صيغة الوفد الفلسطيني - الاردني المشترك . وقد اكدت مباحثاتنا في موسكو التفهم العميق الذي يبديه الجانب السوفييتي لطموحاتنا ومواقفنا » ■

Digitized by Birzeit University Library

رأي
في الأحداث
فيصل حوراني

المجموعة الاوروبية على الخط

■ قد تقودنا نظرة سطحية بدور دول المجموعة الاوروبية في المساعي المبذولة لحل القضية الفلسطينية الى تقييم هذا الدور بدور المهرج في السيرك . فالمهرج الذي يظهر ، أساساً ، ليملأ الفراغ بين الفقرات الصعبة ويتيح لكواليس السيرك ما يلزم من وقت لاعداد هذه الفقرات ، هو الذي يحظى من الجمهور بأوفر الحفاوة وأشد الانتباه ، في حين لا يحظى مؤدو الفقرات الصعبة الا ببعض هذا وذاك .

لكن لا تجوز الاستهانة بدور هذه المدينة من دول اوروبا الغربية ، حتى لو بدا ثانوياً بالقياس لدور الولايات المتحدة . فهذه الدول لا تجرح ، ودورها له اهميته الخاصة من حيث انه مؤشر يدل على اتجاهات الرياح المقبلة من الغرب ومن حيث ان له تأثيراً ، يقل او يكثر ، حسب الاحوال ، في توجيه هذه الرياح .

من هنا ، يمكن فهم هذا الاهتمام الفلسطيني المنصب ، خصوصاً في هذه المرحلة ، على دول المجموعة الاوروبية . لا شك في ان العين الفلسطينية ترنو الى الولايات المتحدة ، ولا شك ، ايضاً ، في ان الجهد الفلسطيني ، في تعامله مع الغرب عموماً ، يستهدف الوصول الى قلب الولايات المتحدة وتليين موقفها . غير ان الموجهين الفلسطينيين لهذا الجهد يدركون ان عواصم اوروبا الغربية تشكل بوابات مفتوحة على العاصمة الاميركية وان تحقيقهم لاي تواجد في العواصم الاوروبية يجعلهم أقرب الى العاصمة الاميركية .

ومن هنا يمكن ، ايضاً ، فهم طبيعة التحرك الاوروبي الغربي ، المتجدد هذه الايام ، نحو الشرق الاوسط ومنظمة التحرير الفلسطينية . فهو تحرك تحفزه الرغبة الاوروبية في جني المنافع المترتبة على بدء الحوار الاميركي - الفلسطيني ، والواضح ان المنافع التي تترقبها اوروبا الغربية كثيرة ، وفي البال انها تتطلع ان تكسب على الجانبين العربي والاميركي ، كليهما .

فاوروبا الغربية ، التي تظهر ازاء العرب وجهاً أقل صرامة من الوجه الاميركي ، تعرف ان الثمن الذي قبضته من هؤلاء العرب ، سلفاً ، حتى الآن ، سوف يتضاعف اذا نجحت في اقناعهم بانها قادرة على التقليل من قباحة الوجه الاميركي ، وسيتضاعف اكثر فاكثر اذا حققت ذلك فعلاً . واوروبا الغربية التي تسعى ، عملياً ، لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهداف السياسة الاميركية ، تدرك ان نجاحها في حلم م . ت . ف . على الاقتراب من هذه السياسة سوف يخلق لها حالة من المنافع الاخرى على الجانب الآخر ، في إطار المنافع الكثيرة التي يتقاسمها العالم الغربي .

وهذا كله يمكن ايضاحه ، بصورة اجلى ، حين نمعن النظر في اهداف المسعى الذي تتولاه ، الآن ، اللجنة الثلاثية ، الاسبانية - الفرنسية - اليونانية ، التي شكلتها المجموعة الاوروبية واوكلت اليها تحقيق التقارب بين وجهات النظر الفلسطينية والاسرائيلية والاميركية وتوفير المناخ الملائم لعقد المؤتمر الدولي المنشود للسلام في الشرق الاوسط .

لقد التقطت المجموعة الاوروبية ، بذكاء التاجر الدولي الخبير ، حقيقة الاجماع ، او الانصياع الدولي العام لطلب عقد المؤتمر الدولي فتبنت المطلب ، مستزرعة ، بهذا ، الجانب العربي ومستثمرة المزيد من مكافاته العديدة لها . وفي الوقت نفسه ، تجنبت المجموعة الاوروبية الزام نفسها بأي صيغة محددة من الصيغ المتداولة للمؤتمر الدولي ، تاركة الباب مفتوحاً للتساهم مع الصيغة التي ستقبل بها الولايات المتحدة في نهاية المطاف ، مسترضية ، بهذا ، الادارة الاميركية ، وتاركة الباب مفتوحاً للحصول على مزيد من المكافآت .

وأدركت المجموعة الاوروبية ، بحكم تجارب معظم دولها مع حركات التحرر الوطني في البلدان الآسيوية والافريقية التي كانت تستعمرها حتى وقت قريب ، المغزى الطبيعي لقيام الانتفاضة الوطنية الفلسطينية ، فاظهرت شيئاً من التعاطف مع الانتفاضة وشيئاً من التفهم لأهدافها ، كما أظهرت الامتعاض من الممارسات الوحشية التي ترتكبها اسرائيل ضد مواطني الارض المحتلة ، فاسترضت العرب بهذا ، وكذلك ، ادركت المجموعة الاوروبية مدى خشية الولايات المتحدة من التأثيرات القائمة والقادمة للانتفاضة ، فتبنت الدعوة الاميركية لوقفها ، متذرعة باحاجة الى وقف العنف وافساح المجال امام الجهد السياسي السلمي ، فأرضت الولايات المتحدة ونالت موافقتها على التحرك الاوروبي السلمي ، ما دام هدف الادارة الاميركية الاول ، ولعله الوحيد ، هو وقف الانتفاضة .

ان هذا كله مفهوم ، ولا جدوى من البحث عن الوصف الملائم له في قائمة القيم الاخلاقية . فالتجارة لها قيم لا تتطابق ، بالضرورة ، مع قيم الاخلاق الحميدة ، بل تتجافى معها ، في اغلب الاحيان .

لكن المهم في الامر ان مصالح المجموعة الاوروبية تجعلها مضطرة الى امرين : ان يكون لها ، على تمايز مواقف دولها ، موقف مشترك موحد حين تدخل المعترك الذي تتصارع فيه قوى عظمى كتلة لها هذه الصفة ، وان تمسك العصى من مكان يقع بين طرفيها .

وفي الامر الاول فائدة للجانب العربي ، خصوصاً اذا أحسن استثماره . ذلك ان الحرص على موقف مشترك يتيح للدول الاوروبية الاكثر تفهماً للمطالب الفلسطينية ، كاليونان واسبانيا وربما ، ايضاً ، فرنسا ، ان تمارس تأثيرها بمواجهة الدول الاقل تفهماً ، كبريطانيا والمانيا الغربية . وبالاستخدام العربي الصحيح للعوامل الضاغطة على الغرب عموماً ، يمكن لهذا النوع من التأثير ان يزداد باستمرار .

وفي الامر الثاني ، يصير امساك العصى من مكان في وسطها ، ايما كانت مقتضياته ، أفضل من الاصطفاف السافر الى جانب الولايات المتحدة . وهنا ، ايضاً ، يمكن للاستخدام العربي الصحيح للعوامل المواتية ان يدفع اليه الاوروبية ، اكثر فاكثر ، نحو النقطة الانسب .

انه الصراع الطويل الممتد من أجل توفير او انتزاع التأييد للحقوق الوطنية الفلسطينية . وما اشد الحاجة الى الثبات ، الطويل والممتد ، ايضاً ، في هذا الصراع ■

بعد اجتماع مدريد الفلسطيني - الأوربي الغربي

اوروبا الغربية : خطوات ناقصة والمطلوب اعتراف بدولة فلسطين

عرفات مع الوزراء الثلاثة

من اللقاء مع غونزالث

من اللقاء مع الملك حسين كارلوس

■ شهدت العواصم الأوروبية الغربية ، مؤخراً ، حركة دبلوماسية واسعة تجاه التعاطي مع مشكلة الشرق الاوسط ، سواء عبر استقبال وفود فلسطينية مهمة في هذه العواصم ، أو عبر ارسال مندوبين دبلوماسيين غربيين الى عواصم المنطقة ، للتباحث في سبل حل أزمة الشرق الاوسط . رولان دوما ، وزير الخارجية الفرنسي زار الارض المحتلة ، وفي مدريد عقدت لقاءات فلسطينية - أوروبية غربية مهمة .

ماذا كانت أبرز نقاط هذه الاجتماعات واللقاءات ؟

قال مصدر فرنسي مطلع ، يوم ١/٢٣ الماضي ، « أن زيارة وزير الخارجية الفرنسي رولان دوما الى اسرائيل ، التي انتهت في اليوم نفسه ، لم تسجل أدنى تقارب بين موقفي الدولتين بخصوص الصراع العربي - الاسرائيلي ، لكنها اتاحت مواصلة الحوار ، وتبديد شائعات عن تدهور العلاقات الثنائية » .

بهذه الكلمات خص المسؤولون الفرنسيون نتائج زيارة وزير الخارجية الفرنسي ، رولان دوما ، الى اسرائيل ، حيث أجرى محادثات مع رئيس الوزراء الاسرائيلي ، اسحاق شامير ، ووزير خارجيته ، موشيه أرينس ، ومع وزير المالية ، رئيس حزب العمل ، شمعون بيريس .

وقد لوحظ الخلاف في وجهتي النظر الفرنسية والاسرائيلية بشأن المسيرة السلمية في الشرق الأوسط منذ اليوم الاول للزيارة وخاصة فيما يتعلق بالمؤتمر الدولي . وقد ظهر هذا الخلاف من خلال تصريحات الطرفين . ففي الوقت الذي أعلن فيه الوزير الفرنسي أن « مرحلة جديدة تبدأ في الشرق الاوسط . وهناك فرصة ثمينة توفر السلام والاستقرار والامن لشعوب المنطقة يجب استغلالها » ، أعلن المتحدث باسم رئيس الوزراء الاسرائيلي الى بارنر أن « شامير أعاد ، خلال لقائه مع دوما ، التأكيد على موقف اسرائيل من عقد مؤتمر دولي ومن المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية » .

ومن الجدير ذكره أن فرنسا كانت من الدول الاوروبية الغربية السباقة التي قبلت بفكرة المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط ، بل وذهبت الى أبعد من ذلك حينما دعت ، مع الاتحاد السوفييتي ، الى تشكيل لجنة تحضيرية لعقد المؤتمر الدولي وبحضور جميع الاطراف المعنية بالنزاع في الشرق الاوسط ، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية .

ولكن من الملاحظ أن الموقف الفرنسي أخذ منحى آخر في المرحلة الاخيرة ، حيث دعت فرنسا ، ومن خلال رسالة وجهتها الى منظمة التحرير الفلسطينية عبر ممثلها في باريس ، الى قبول فكرة الاتحاد الكونفدرالي مع الاردن . وهذا طبعاً يعطي لاسرائيل فرصة في الاصرار على مواقفها . وقد عبر عن ذلك اي بارنر بقوله ، أن شامير ذكر دوما ، بأن اسرائيل ترغب في مفاوضات مباشرة مع فلسطينيين من الضفة الغربية وغزة ، وكذلك مع مصر والاردن ، واعتبر أن بعض العناصر الغربية عن النزاع مثل فرنسا وأوروبا تستطيع التمهيد لمثل هذه المفاوضات » .

مدريد : لقاء فلسطيني - أوروبي غربي مهم

وفي اطار المحاولات الاوروبية للعب دور دفع في عملية السلام في الشرق الاوسط الى الامام ، وصل يوم ١/٢٦ الماضي الى العاصمة الاسبانية مدريد وفد فلسطيني برئاسة الاخ ياسر عرفات ، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطينية ، وعضوية الرفيق ياسر عبد ربه والاخ فاروق القدومي عضوي اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير . وتجيء هذه الزيارة بناء على دعوة موجهة من قبل المجموعة الاقتصادية الاوروبية التي تألفت وزراء خارجية كل من اسبانيا ، فرانسيكو فرنانديز ، وفرنسا ، رولان دوما واليونان ، كارلوس بابوليلس والمفوض الاوروبي للشؤون المتوسطية ، أبيل ماتوت ـ لاجراء اتصالات مع جميع أطراف النزاع في الشرق الاوسط من أجل تشجيع انعقاد مؤتمر دولي للسلام .

وكان المسؤولون الاسبان قد وصفوا اللقاء ، عشية انعقاده ، بأنه «لتعضيم الحقائق » . وصرح ناطق باسم وزارة الخارجية الاسبانية : « يريد الوزراء الثلاثة معرفة موقف المنظمة من عملية السلام ومقارنته بموقف اسرائيل الذي اطلع عليه وزير الخارجية الاسباني والفرنسي أخيرا » .

والجدير بالذكر أن تلاقي المجموعة الاوروبية يضم الوزراء الثلاثة المسؤولين عنها ، فالاسباني هو رئيسها الحالي واليوناني هو رئيسها السابق والفرنسي هو رئيسها المقبل .

وقد عبر الجانبان عن ارتياحهما للقاء . فقد قال مصدر دبلوماسي اسباني أن اللقاء يشكل « مرحلة جديدة مهمة من مراحل عملية السلام في الشرق الاوسط التي بدأت في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨ في البرلمان الاوروبي ، في ستراسبورغ ، بمبادرة من فرنسا والمجموعة الاقتصادية الاوروبية » . ووصف وزير خارجية فرنسا هذا اللقاء بـ « المثمر جدا والمفيد » . وذكر أن احتمال تشكيل « اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي التي اقترحتها فرنسا ، بالاتفاق مع الاعضاء الاوروبيين والمجموعة الاوروبية ، كانت من المسائل التي تناولها البحث » .

وقال دوما « ان اجتماع مدريد سيؤدي لاحقا ، بعد توحيد مواقف معظم الدول العربية والمجموعة الاقتصادية الاوروبية ، الى تعزيز فرص التوصل الى السلام في الشرق الاوسط بحيث تتمتع كافة الدول بحقها بالعيش داخل حدود معترف بها من قبل الامم المتحدة بعد انتهاء كافة مخاطر الحرب » .

وأكد دوما أن « لنا أيب متمسكة بوجهات نظرها : الاعتراض على عقد مؤتمر دولي وعدم اجراء مفاوضات مع منظمة التحرير ورفض دولة فلسطينية ، ولكن ثمة تغييرات طفيفة في موقف اسرائيل تحمل على الاعتقاد بأن طريقا يمكن أن يفتح » .

أما الوزير الاسباني ، فرانسيكو اوردونيز ، فقد عبر عن اعتقاده أن « سنة ١٩٨٩ ربما تكون سنة السلام في المنطقة » . وأضاف « أن ليس هناك جدول زمني في الوقت الراهن بشأن اتفاق التنسيق الذي توصلت اليه منظمة التحرير والمجموعة الاقتصادية الاوروبية لتنشيط عملية السلام في الشرق الاوسط . وأكد اوردونيز أن ثمة رغبة في دفع هذه العملية قدما داخل المجموعة الاقتصادية الاوروبية » .

وعلم من مصدر دبلوماسي اسباني أن الطرفين ، توصلا الى اتفاق تعاون لتشجيع عملية تؤدي الى سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط » .

الوفد الفلسطيني : على أوروبا أن تلعب دورا فعالا في المنطقة

أما الوفد الفلسطيني فقد أعرب عن اعتقاده بأن المجموعة الاوروبية يمكن أن تلعب دورا فعالا ونشيطا لحل النزاع العربي ـ الاسرائيلي . وأكد الوفد الفلسطيني على أن الانتفاضة الشعبية الفلسطينية ستستمر حتى انجاز البرنامج الذي وضعته دورة الانتفاضة للمجلس الوطني الفلسطيني الذي لاقى ترحيبا عالميا واسعا والذي على اثره كان هذا اللقاء الاول من نوعه .

وشدد الاخ ياسر عرفات ، في مؤتمر صحافي عقده بعد اللقاء ، على « الدور الاساسي الذي يمكن ويجب على أوروبا القيام به من أجل السلام في الشرق الاوسط » . ودعا عرفات الرئيس الاميركي جورج بوش الى فتح صفحة جديدة في سياسة الولايات المتحدة .

والجدير بالذكر أن الوفد الفلسطيني قد استقبل ، أيضا ، من قبل رئيس الوزراء الاسباني فيليب غونثاليث وملك اسبانيا خوان كارلوس .

اسرائيل : ردود فعل حانقة

وكرد فعل اسرائيلي على هذا اللقاء ، أصدر وزير الزراعة الاسرائيلي ابرهام كاتز أوز ، يوم ١/٢٥ ، الأوامر لأجهزة الوزارة بتجميد كل علاقاتها مع وزارة الزراعة اليونانية .

وأفاد ناطق باسم وزارة الزراعة أن « هذا القرار صدر بسبب المواقف السياسية المعادية لاسرائيل التي اتخذها اليونان أخيرا » . وذكرت مصادر دبلوماسية اسرائيلية أن اليونان اتخذت في الاشهر الاخيرة ، بصورة متصاعدة ، مواقف مؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية وهذا ما يفسر قرار كاتز أوز .

أما الخارجية الاسرائيلية فقد صرح الناطق باسمها قائلا : « ان اسرائيل أعربت عن أسفها الشديد للقاء الذي جرى في مدريد بين وزراء خارجية اسبانيا واليونان وفرنسا ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات .

وأكد الناطق « لقد شعرنا بخيبة عميقة لهذا اللقاء الذي نأسف لحصوله . والكلام المطمئن الذي يوجهه عرفات الى الغرب لا يغير شيئا في الوقائع . ان القادة العرب يستفيدون من أية فرصة لتأكيد رفضهم لدولة اسرائيل . ومنظمة التحرير من جهتها لم تتخل عن الارهاب . واللقاء الذي عقد في مدريد مع رئيسها سيعزز تصميم هذا الاخير على اللجوء الى العنف » . ■

■ مع دخول الانتفاضة شهرها الخامس عشر ، وتحولها الى حقيقة من حقائق كفاح الشعب الفلسطيني واصراره على نيل الحرية والاستقلال ، تتعاظم خبرة الانتفاضة وقيادتها الوطنية الموحدة وتتعزز صلابتها السياسية الثورية الواقعية ، حيث احدثت الانتفاضة قفزة نوعية في وعي الشعب الفلسطيني وثقته بقدراته كما ان نتائج الدورة الـ ١٩ للمجلس الوطني « دورة الانتفاضة » ، وما تمخض عنها من نتائج تاريخية في مقدمتها الاعلان عن قيام دولة فلسطين ، حولت شعار الانتفاضة المركزي « الحرية والاستقلال » الى هدف ملموس تتوحد تحت لوائه كل قطاعات الشعب وتخوض نضالاتها موحدة تحت رايات القيادة الوطنية الموحدة من اجل تجسيد هذا الهدف بتحقيق السيادة الوطنية على ارض دولة فلسطين وارغام الغزاة المحتلين على التسليم والرحيل

وفي معمعان النضال البطولي الذي تخوضه الجماهير الشعبية في ظل الانتفاضة ، ترسخت حلة من الحقائق التي تعكس نضجها في وعي وسلوك القيادة الوطنية الموحدة ، ويحدد ذلك نجاحاته في تدامات هذه القيادة .

تحذير من سياسة واشنطن

ادركت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة حقيقة وطبيعة السياسة المناورة للولايات المتحدة والتي ما يزال جوهرها يكمن في الدعم السياسي المطلق واستمرار التنكر لحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره من خلال دولته التي اعلن عنها في مجلسه الوطني ، كما ادركت ان هدف الولايات المتحدة من الدخول في الحوار مع المنظمة محاولة للخروج من مأزق العزلة التي فرضتها عليها الانتفاضة واتباع سياسة تكتيكية تهدف الى وقف الانتفاضة وانقاذ حليفتها اسرائيل من « ورطتها » ومحاولة الضغط على م . ت . ف . للدخول في مفاوضات مباشرة عبر التخلي عن موضوع المؤتمر الدولي بما يعني عزل م . ت . ف . وقضية الشعب الفلسطيني والاستمرار بها ، وبالتالي فرض حلول تتنقص من حق الشعب الفلسطيني بالاستقلال بدولة فلسطينية

وهذا ادركت القيادة الوطنية الموحدة ان ارغام الولايات المتحدة على الحوار مع م . ت . ف . لم يكن ليتم لولا الانتفاضة وتعاظم انجازاتها الملموسة على الارض وعلى صعيد الرأي العام العالمي ، وبالتالي فالحصان الفلسطيني الرابح في حلبة الصراع يتجسد في استمرار وتصعيد حرب الاستقلال الوطني (الانتفاضة) مما يؤدي الى ارغام الولايات المتحدة على المزيد من الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني من خلال الاعتراف بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد له والبدء بالتحضير للمؤتمر الدولي وهو ما اكده النداء رقم « ٣٢ » بالقول : « ان انتفاضتكم الشجاعة والعظيمة ، التي تدخل هذه الايام شهرها الرابع عشر بمناد ثوري وتضحية متواصلة ، هي التي ارغمت الولايات المتحدة على فك عزلتها عالميا بقرار الشروع بالحوار مع م . ت . ف . وبأسمكم نقول للولايات المتحدة ان هذه الخطة لا تعتبر سوى حد ادنى ومتواضع لقبولكم دورها السياسي كوسيط مقبول . وانها اذا ارادت فعلا ان تحظى بهذه المكانة ، عن جدارة ، عليها ان ترفق حوارها بالاعتراف بـ م . ت . ف . كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني وبحقوقنا الوطنية في العودة وتقرير المصير وتحقيق سيادة دولتنا المستقلة على ترابنا الوطني . وان القيادة الوطنية الموحدة تحذر من مغبة ادخال الحوار في دهاليز التسوية والاستهزاء بالدماء الزكية والتضحيات العظيمة لجماهير شعبنا » . وبهذا تحدد القيادة الوطنية الموحدة الهدف الرئيسي من هذا الحوار وعلى اية ارضية يتم . فعلى قاعدة استمرار ومواصلة تصعيد الانتفاضة على الولايات المتحدة ان تطور مواقفها تجاه الشعب الفلسطيني ، وليس مطلوبا ان يكون الحوار أداة في يد الولايات المتحدة لفرض اي شكل من اشكال التراجع او فرض الشروط الاميركية على الشعب الفلسطيني وم . ت . ف . وهنا تؤكد القيادة الوطنية الموحدة ، ايضا ، على ضرورة تطوير موقف بلدان اوروبا الغربية برفع مستوى موقفها السياسي وبما يتضمن احقاق الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ، والضغط على الولايات المتحدة واسرائيل لعقد المؤتمر الدولي كامل الصلاحيات بمشاركة م . ت . ف . بوفد مستقل وعلى قدم المساواة مع الاطراف الاخرى وباشراف الامم المتحدة .

Digitized by Birzeit University Library

اصوات متساوية مع هذه المؤامرة التي تستهدف انتفاضتكم الباسلة ، وتعود في النداء - ٣٢ لتؤكد رفضها لكل هذه المحاولات وتكشف اهداف الصهيوني من ورائها حين يؤكد النداء ، ان محرمي الاحتلال يعتقدون ان هذه الاجراءات التصعيدية ستخلق المناخ المناسب في دولة فلسطين لاحياء ما يسمى بمشروع « الادارة الذاتية » وانما نعي ان سياسة التصعيد والقمع الصهيوني هما بمثابة محاولة من جانب العدو الصهيوني لفك طوق العزلة الدولية والمأزق السياسي الذي افرزته الانتفاضة . »

وانطلاقا من هذا الوعي العميق بطبيعة السياسة الاسرائيلية اولا ، والتمسك بأهداف الانتفاضة والشعب ثانيا ، تؤكد القيادة الوطنية الموحدة في نداائها رقم - ٣٢ ان « استمرار الانتفاضة وتصعيدها وكفي الحجر الفلسطيني واستمرار تصاعد الكفاح بكل اشكاله ليس مرهونا باحوار الاميركي ولا بالانتخابات البلدية ، وانما مرهون بالانجازات السياسية لقيادتنا الشرعية م . ت . ف . وبالوصول الى جلاء قوات الاحتلال عن ارضنا الفلسطينية وتمتعنا بالحرية والاستقلال والسيادة » . وبالتالي فالهدف هو الاستمرار بالانتفاضة حتى تجبيد الدولة وتحقيق العودة وبهذا الطريق يتم قبر كافة المشاريع ، وقد عبرت القيادة الموحدة عن ذلك بدقة وعمق شديدين ، حيث ان الطريق للوصول الى ذلك يكمن في تعزيز الوحدة الوطنية ووحدة القيادة الموحدة وادواتها الكفاحية والصدامية ، ورفض كل محاولات التدخل البيرقراطي في عملها كما عبر النداء - ٣٢ من ذلك بالقول . « ان القيادة الوطنية الموحدة تبارك لجماهير شعبنا ميلاد أنبوذ الجيش الشعبي الفلسطيني وتؤكد ان هذا هو حجيش م . ت . ف ، جيش الانتفاضة المبارك ، الذي يشكل أساسا من القوى الضاربة ، ويضم كافة الاطراف ويخضع لتوجيهات وامرة القيادة الموحدة » .

وهي بذلك تحسم كونها المرجعية السياسية والكفاحية لشعب الانتفاضة وانها الامتداد الطبيعي لم . ت . ف . على قاعدة التكامل ، وكونها بالاساس تشكل جبهة متحدة تقود الشعب وتعكس ارادته الشعبية الموحدة بدقة ، وان مهمتها الرئيسية هي في تصعيد كافة اشكال الانتفاضة الشعبية وصولا لفصم العلاقة مع الاحتلال ، وتصعيد مظاهر العصيان الوطني للوصول الى العصيان الشامل .

ان القيادة الوطنية الموحدة تدرك ، وباستمرار ، طبيعة مهامها المتزايدة سياسيا وكفاحيا ، وهي تقود الشعب بحربه الاستقلالية ضد الاحتلال ، وابتداع اشكال نوعية جديدة في المواجهة الجماهيرية تساهم في تصعيد وتأثر الخط الهجومي للانتفاضة وتعميق عزلة سلطات الاحتلال وتحقيق الهزيمة الساحقة لكافة مشاريعه واجباره على التسليم بالرحيل والجلاء عن ارض دولة فلسطين ■

جمال زقوت

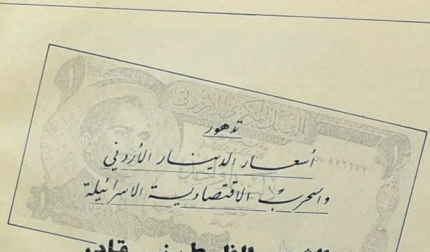

الشعب الفلسطيني قادر على مواجهة التحديات الاقتصادية

■ يعيش الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة أزمة اقتصادية عنوانها انخفاض قيمة الدينار، وهو العملة الأساسية المتداولة ومانرتب على ذلك من انخفاض القدرة الشرائية لمجموع العاملين والموظفين بشكل لم يسبق له مثيل، وارتفاع أسعار المواد الضرورية والاستهلاكية بنسبة تصل الى ٢٨ بالمائة في المئة الاسرائيلي . وإذا أضفنا هذين العنصرين نتائج الحرب الاقتصادية التي تشنها سلطات الاحتلال الاسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني ستكون أمام أزمة اقتصادية حادة هذه الأزمة التي تحاول سلطات الاحتلال مقاقمتها بهدف التأثير السلبي على مسار الانتفاضة وهذا السبب لن نصال وصمود شعبنا الانتفاضة على الجبهة الاقتصادية تكتسب أهمية خاصة، بل ويشكل شرطا ضروريا لانتقال الانتفاضة الى طور أرقى

انخفاض قيمة الدينار

سجل سعر الدينار الاردني انخفاضا شديدا في الأراضي الفلسطينية المحتلة فقد بلغ سعره مؤخرا ٣,٢ شيكل اسرائيلي وانخفض خلال الاسبوع الماضي الى ٢,٩ شيكل مقابل ٤,٢ شيكل قبل شهر وأكثر من خمسة شواكل قبل ثلاثة أشهر - صحيفة «هارتس» الاسرائيلية، يوم ٢٥/١ -

ومن الجدير بالذكر أن رواتب العاملين الفلسطينيين في مؤسسات القطاعين العام والخاص في الضفة والقطاع تدفع بالدينار الاردني الذي انخفضت قيمته الشرائية الى مايقارب النصف .

وفي ظل ثبات الأجور حيث يبلغ متوسط الاجور للموظفين والعاملين مائة دينار فقط وفي ظل الارتفاع الكبير للاسعار، وهبوط القيمة الشرائية للدينار فإن ثمة أعباء اقتصادية ومعيشية جديدة ستقع على كاهل الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة

برنامج التقشف الاسرائيلي

لقد تأثرت المناطق المحتلة بالأزمة الاقتصادية الاردنية وبشكل خاص بانخفاض قيمة الدينار الاردني نظرا للترابط الوظيفي بين الاقتصادين . وبدأت المناطق المحتلة تتأثر، أيضا، بأزمة الاقتصاد الاسرائيلي وخاصة بعد اعلان «برنامج التقشف الاقتصادي» الذي أعده وزير المالية الجديد شمعون بيريس، ومترتب عليه من تخفيض قيمة العملة الاسرائيلية بنسبة ١٣,٥ بالمائة، وزيادة أسعار المواد الاساسية بنسبة تتراوح بين ١٢ - ٢٨ بالمائة، حيث شملت الزيادة أجرة النقل والكهرباء والجبن والوقود والبيض والحليب ومشتقاته، إضافة لـ ٢٠٠ سلعة استهلاكية شملتها نسبة الارتفاع بالاسعار - تقرير الصحافة الاسرائيلية، يوم ٢٨/١ - وكانت السلطات الاسرائيلية قد رفعت رسوم العلاج في المستشفيات والدوائر الصحية في المناطق المحتلة بنسبة بلغت ٤٥ بالمائة. وإذا كان من شأن الزيادة في الاسعار وانخفاض قيمة العملة الاسرائيلية الشرائية، إضعاف القدرة الشرائية لدى الأجراء والعاملين الاسرائيليين، وخلق أزمة اقتصادية متفاقمة، فإن من شأن هذه الزيادة أن تنعكس بشكل أكثر سوءا على المناطق المحتلة التي تعتبر هذا الحكومة الاسرائيلية سوقا تابعا لها، خاصة أن السلع الاسرائيلية تزعم شبكة من المصدرين الاسرائيليين المحتمين وتوكلائهم في المناطق المحتلة، وعصير نظام ضريبي وتعرفة جمركية لاتمثل لها في أنظمة الاستغلال، الامر الذي يؤدي الى ارتفاع نسبة الاسعار في المناطق المحتلة الى مستوى يفوق كثيرا الارتفاع الرسمي الناجم عن برنامج التقشف الاسرائيلي الذي اعلنه بيريس وهو مابدأ تحدث فعلا، فقد تحدثت صحيفة «القدس» يوم ١/٢٠ عن ارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية في المناطق المحتلة بشكل جنوني. حتى المواد التي يدفع ثمنها بالدينار الاردني ارتفعت بشكل لايطاق».

حرب شرسة على جبهة الاقتصاد

لايقتصر تأثير الازمة الاقتصاد الاردني وبرنامج التقشف الاسرائيلي على الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة عند حدود ارتفاع الاسعار وتوقف الاجور كما هو الحال لدى الطرفين. بل إن انعكاس الأزمة الاقتصادية على المناطق المحتلة يأتي بصيغة أكثر استفحالا بفعل الحصار والتخريب المتواصلين اللذين تمارسهما سلطات الاحتلال الاسرائيلي ضد شعب الانتفاضة

ففي الأونة الأخيرة وسعت سلطات الاحتلال الاسرائيلي من نطاق عمليات المداهمة العسكرية والاقتحام للمحلات التجارية والاحياء والقرى بهدف انتزاع الضرائب والغرامات من التجار وأصحاب الاعمال والمهن. وبدأت تلجأ لأشكال من السطو وسرقة البضائع والمواد الغذائية التي تقدر بعشرات الالاف من الدنانير. وتلجأ، أيضا، الى اسلوب احتجاز السيارات أو مصادرتها واحتجاز هويات التجار وتحويلهم الى مقر الضرائب والجمارك. ومن النماذج الساطعة للقرصنة الاسرائيلية واسلوب نهب موارد المواطنين بالعنف ماحدث في قرية يديا، قرب نابلس، حين اقتحمت القوات الاسرائيلية القرية وفرضت نظام حظر التجول عليها وفرضت دفع الضرائب بالقوة والبطش على ٢٠٠ مواطن قدرت قيمتها بنصف مليون دينار اردني. ووصل الامر بسلطات الاحتلال، في قلقيلية، الى حد رفض استلام معاملات المواليد الجدد أو إصدار شهادة ميلاد قبل ان يقوم والد الطفل بدفع ضريبة الدخل. وفي تطور لاحق اصدرت سلطات الاحتلال تحذيرا لأصحاب الاعمال والمهن في الضفة الغربية يقضي به «إضافة حق بيوت الضرائب والضرائب الجمركية ودفعات الغرامات وفوارق القيمة وفوارق الارباط والفائدة الى المبالغ والضريبة المطلوبة، في حالة تأخر المعنيين عن الدفع لمدة تتجاوز الشهر» - صحيفة «القدس» يوم ٢٦/١ -

من جهة أخرى يقوم المستشار القضائي للحكومة الاسرائيلية، يوسف حريش، بإعداد مشروع قانون يعتبر كل من يستلم أموال او تمتلكات من م . ت . ف في عداد المحاقين الخائنين. وهذا القانون «يمنح السلطات الاسرائيلية أدوات أكثر نجاعة لوضع اليد على أموال وتمتلكات مصدرها م . ت . ف سواء تم نقل الاموال بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو بواسطة منظمات ومؤسسات مشروعة أو شبه مشروعة، وذلك للحيلولة دون تلقي السكان في المناطق المحتلة أي دعم مالي من الخارج» - صحيفة «الفجر» المقدسية، يوم ١٢/٢٩ -

وتعمل الحكومة الاسرائيلية على منع أو إعاقة تصدير المنتوجات الفلسطينية بهدف إلحاق أفدح الخسائر بالاقتصاد الفلسطيني. فقد انخفضت نسبة الصادرات من المناطق المحتلة الى الاردن، وصرها للدول العربية، الى أكثر من ٦٠ بالمائة وتنخفض نسبة الصادرات الى اسرائيل بنسبة ١٥ بالمائة وبدأت الحكومة الاسرائيلية تمنع من شراء المحاصيل وبعد فترة تقوم بشرائها بأسعار متدنية تماما، كما حدث مع محاصيل «العنب» والتفاح، والموزيات «وكما يحدث الان مع حمضيات قطاع غزة حيث تم تخفيض سعر الكريفروت من ١٥ - ٤٠ بالمائة بفعل التسويق والتلاعب الاسرائيلي في عمليات التصدير المتفق عليها مع حولندا» - صحيفة «الفجر» المقدسية، يوم ٢٦/١ -

مقابل الحصار الاسرائيلي، والحرب المعلنة التي تستهدف تقويض صمود الانتفاضة وقطع الطريق على تطورها، مازالت الاسواق العربية شبه مغلقة أمام المنتوجات الفلسطينية وخاصة حمضيات قطاع غزة، التي تشكل أهم انتاج اقتصادي لاهالي القطاع وكذلك زيت الزيتون الذي اتجه الضفة الغربية وقد يتم استيراده للاسواق العربية. ومن الجدير بالذكر أن السلطات الاردنية قررت لاول مرة استيراد الزيت الفلسطيني الى نسبة ١٠ بالمائة من مجموع القيمة المعدة للتصدير

التحدي أشمل من الازمة الراهنة

المعركة التي يخوضها شعب الانتفاضة ليست في مواجهة الأزمة الاقتصادية الراهنة، وكل البدعات المترتبة عليها وحسب، بل هي المعركة الأوسع والأشمل التي بدأت مع اندلاع الانتفاضة المجيدة المعركة التي تستهدف فصل عرى علاقات التبعية للاقتصاد الاسرائيلي وخلق مقومات اقتصاد وطني مستقل. حيث يتم التصدي للنتائج المترتبة على تأثيرات خطة التقشف الاسرائيلية وأزمة الاقتصاد الاردني على المناطق المحتلة. إن تصعيد المقاطعة المنظمة للسلع والمنتوجات الاسرائيلية، التي لها بديل فلسطيني أو التي لاتعتبر سلعا ضرورية أو ملحة، وتطوير الصناعة الوطنية كما ونوعا، واستصلاح الاراضي وتطوير المنتوجات الزراعية باتجاه اسبغات المزيد من العمال الفلسطينيين في المشاريع الانتاجية الوطنية والامتناع الشامل عن دفع الضرائب والغرامات وتقليص قوة العمل الفلسطينية العاملة داخل مايسمى بالخط الاخضر، إن تصعيد النضال في هذه المجالات هو الرد المؤثر والحازم على نتائج الازمة الاقتصادية الراهنة.

إن الشعب الذي اختار طريق الانتفاضة الحافل بالتضحيات، والذي بدأ يتحول في ظروف معقدة من شعب مستهلك الى شعب منتج، قادر على معالجة الازمة الراهنة. وقد قدمت القيادة الوطنية الموحدة الرد عبر النداء رقم - ٣٣ - الذي اكد على متابعة المعركة الاشمل وهي فصل عرى علاقات التبعية للاقتصاد الصهيوني ومقاطعة وتطوير الانتاج والامتناع الشامل عن دفع الضرائب .. وفي الوقت نفسه دعا «الى عدم رفع الاسعار أو التلاعب بقوت الشعب». وحذر النداء الفئة التي وصفت حجامها الانانية الضيقة فوق مصلحة الشعب والانتفاضة ورفعت الاسعار جريا وراء جشع الربح الوفير بالقول : «إن الشعب وبغالبه الشعبية وقوته الضاربة لن تتوانى عن معاقبة كل من يتلاعب بقوت الشعب وكل من يتاجر بآلامه ومعاناته» وطالب النداء الصيارفة بعدم التلاعب بأسعار العملة باتجاه تحديد سقف لسعر صرف الدينار.

والاهم من ذلك توجه النداء الى أصحاب المصانع والمداخيل والمؤسسات الوطنية بضرورة زيادة اجور العمال والموظفين بنسبة تتلاءم مع انخفاض الدينار بحيث لاتقل هذه الزيادة عن ٤٠ بالمائة، ودعا النداء اللجان والاتحادات العمالية والمهنية الى العمل الجاد لتحقيق ذلك. ■

مهند عبد الحميد

المصانع الوطنية دور مهم في مواجهة التحديات الاقتصادية

Digitized by Birzeit University Library

سياسة العصا والجزرة الاسرائيلية

رد القيادة الموحدة : تصعيد الانتفاضة ورفض للمشاريع المشبوهة

■ مع بدء تصعيد الاجراءات القمعية الاسرائيلية الجديدة ضد المواطنين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بدا نائب رئيس الاركان الاسرائيلي الميجر جنرال ايهود براك ، انه واثق من ان الجيش الاسرائيلي « سيتمكن بمرور الوقت من التقليل من « الاحتجاجات » الفلسطينية » ، وقال : « يجب ان لا نفكر وا على اساس ايام واسابيع ، ولكن « الاحتجاجات » لن تستمر الى الابد . انه صراع طويل ومعقد » ! واضاف « انني واثق انها ستقل تدريجيا واننا سنحقق الهدوء النسبي الذي ينبغي » !

ولكن هل يمكن هذا التصريح طبعة الواقع على الارض ؟

على ما يبدوان الجنرال براك لم يستمع الى تقارير ضباطه من القادة الميدانيين عن الوضع في المناطق المحتلة ، والذين لا يشاطرونه الرأي ، بل يؤكدون ان الجيش الاسرائيلي غير قادر بالمطلق حتى على وضع حد للانتفاضة التي تتنامى وتتصاعد باستمرار . وبدت ثقة براك ، الرائدة عن حدها ، متناقضة كليا مع هذه التقارير المقدمة الى وزير الحرب اسحاق رابين حيث اخبروه فيها ، بانهم استنفدوا كل ما لديهم من افكار لاحباء الانتفاضة المستمرة منذ اكثر من ثلاثة عشر شهرا» ! وقال الميجر جنرال موشي ياكوشيا ، احد مستشاري رئيس الاركان ، للاذاعة الاسرائيلية ، يوم ١٩٨٩/١/٢٦ « اننا نواجه مشكلات في تحقيق اهدافنا » !

رد القيادة الموحدة : تصعيد شامل

وكانت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة دعت الجماهير الفلسطينية المنتفضة الى مواجهة الاجراءات القمعية الجديدة من خلال :

١ ـ الاضراب العام والشامل والخروج الى الشوارع وتحدي حظر التجول ورفع الاعلام الفلسطينية وكتابة الشعارات الوطنية على الجدران .

٢ ـ رفض الانصياع الى الاوامر العسكرية الاسرائيلية ، كخطوة اولى على بداية العصيان الكامل لها .

٣ ـ الايعاز لألوية ووحدات الجيش الشعبي الفلسطيني قبول التحدي وشن عمليات عسكرية ضد الدوريات الاسرائيلية ونقاط ارتكازها ومراكزها ، ومهاجمة سوائب المستوطنين وابتداع اشكال نضالية اكثر تطورا وفعالية

وكانت وكالات الانباء قد ذكرت ان ايام الاضراب ، التي دعت اليها القيادة الوطنية الموحدة ، كانت شاملة حيث اغلقت المتاجر ابوابها وشلت حركة السير وامتنع العمال عن الذهاب الى المشاريع الاسرائيلية . واخترق المواطنون حظر التجول وخرجوا في مظاهرات عارمة وارتفعت الاعلام الفلسطينية وكتبت الشعارات المنددة باجراءات اسحاق رابين القمعية الجديدة ، ودارت معارك واشتباكات عنيفة في كافة مناطق الضفة والقطاع بين قوات الاحتلال والمستوطنين من جهة ، وبين وحدات الجيش الشعبي الفلسطيني من جهة ثانية مما ادى الى سقوط سبعة شهداء فلسطينيين وجرح ١٩٨ اخرين بجروح مختلفة من جراء اطلاق الرصاص الحي والبلاستيكي والكسور المعدنية عليهم والشهداء السبعة هم : الشهيد عصام هاشم خليل غانم (١٩ عاما) ، الشهيد مصطفى محمد مراعبة (٤٠ عاما) ، الشهيد خالد فهمي عتال مرداوي (١٨ عاما) ، الشهيد محمد عمر خليل (٢٠ عاما) ، الشهيد ادريس خليل (٣٥ عاما) ، الشهيد عوض محمد صيام (٤١ عاما) ، وشهيد سابع سقط يوم ١٩٨٩/١/٣٠ لم يعرف اسمه بعد .

وامام العنف الفاشي الاسرائيلي طورت وحدات الجيش الشعبي اشكال عملياتها العسكرية ونصبت الكمائن الليلية لقوات الاحتلال وزرعت المسامير والمثلثات الحديدية على الشوارع وسكبت الزيوت على المنعطفات ، كما نفذت عددا من الهجمات ضد مراكز ونقاط مراقبة قوات الاحتلال داخل وخارج القرى والمخيمات والمدن .

واستطاعت هذه الوحدات اعطاب واحراق وتحطيم ٩٤

شومرون : الاعتراف بسيادة الفلسطينيين

سيارة وباص عسكري . وقامت وحدات اخرى بمهاجمة مقر الحاكم العسكري في جباليا ومراكز الشرطة في رفح وجباليا وبيت لهم . واجبرت سلطات الاحتلال على اغلاق مركزي الشرطة في رفح وجباليا . كما احرقت مكتب العمل في سلفيت وهاجمت مكتب ضريبة الدخل في طولكرم وبنك لومي في نابلس . وكانت وحدات الجيش الشعبي قد اجبرت سلطات الاحتلال على اغلاق فروع بنك ديسكونت الاسرائيلي في الضفة الغربية . واغلقت وحدات الجيش الشعبي المحاولات الاسرائيلية لاقتحام عدد من القرى واعلنتها محررة مثل قرى كفر راعي وتحمة ويعبد والبيلة الحارثية والياصون وميثلون وقفوعة ، حيث ازدانت شوارعها بالاعلام الفلسطينية والشعارات الوطنية . ووقفت مجموعات الجيش الشعبي بين صفوف القوات الاسرائيلية اربع اصابات وجرحت اثنين من المستوطنين .

وتلبية لنداء القيادة الموحدة برفض الانصياع للاوامر العسكرية الاسرائيلية ، التي يصدرها قادة الاحتلال الميدانيون ، رفض تجار سوق الشهداء ، في مدينة رفح ، الانصياع للاوامر العسكرية القاضية باغلاق محلاتهم التجارية البالغة ٢٠٠ على تجاري لمدة شهر كامل ، وتحدوا القرار وفتحوا محلاتهم في اليوم التالي

وفي هذا السياق ، رفض اهالي قلقيلية ـ حي كفار سابا ـ الانصياع لنداءات حرس الحدود الاسرائيليين بالخروج من منازلهم ليلا والتجمع في معمل للطوب في الحي المذكور . وفي الوقت ذاته رفضت مخيمات غزة والجلزون وبيلاطة والامعري والدهيشة الانصياع لأوامر حظر التجول ، وخاضوا اشتباكات عنيفة جرح فيها عشرات المواطنين واعتقل عدد اخر بينهم اكثر من مائة

رابين : ملابحة الانتفاضة بنية بعض المطالب !

طالب وطنية في قطاع غزة . هذا التحدي البطولي اجبر قادة الاحتلال ، وعلى رأسهم الجنرال دان شومرون رئيس الاركان الاسرائيلي ، على الاعتراف بحدة المواجهة والاستعداد العالي للتضحية والقدرة الهائلة للمواطنين الفلسطينيين في سبيل تحقيق حلمهم باقامة دولة فلسطين المستقلة . وفي غضون ذلك صرح شومرون للاذاعة الاسرائيلية ، ١٩٨٩/١/٢٦ ، « بان قدرة الفلسطينيين على تحمل المعاناة فاقت كل توقعات القادة الاسرائيليين » !! وادعى الجنرال شومرون ان عدد المصابين قد تقلص بنسبة ٣٣ بالمائة بالقياس مع النصف الاول من السنة الاولى للانتفاضة . وارجع هذا السبب الى عاملين : اولهما : استخدام قوات الاحتلال للطلقات البلاستيكية والمطاطية ! وثانيهما انخفاض حدة المظاهرات وانخفاض عدد المشاركين فيها !

وفضحت صحيفة « جيروزالم بوست » الاسرائيلية ادعاءات شومرون عندما ذكرت ان التظاهرات والصدامات في ارتفاع مستمر وقالت : « ان الاحصائيات التي تصدر شهريا حول اعمال المقاومة ضد الجيش الاسرائيلي والمواطنين في الاراضي الفلسطينية المحتلة تدل على ان عمليات الابعاد لم يكن ما سوى تأثير مؤقت وحدود » . وقالت ان شهري اب وايلول اظهرا تصاعدا مستمرا في عدد اعمال المقاومة ، فقد ارتفع عدد هذه الاعمال من ١٤١٠ ـ ١٨٥٢ عملا في شهر اب وفي ايلول الى ٢٣٢٨ ، في حين بلغت ما بين التاسع من كانون الاول وتشرين الثاني الجاري الى ٢٧٩٠ عملا ـ صحيفة « الدستور » الاردنية ، يوم ١٩٨٩/١/٢٧ » .

محاولات ترهيب وترغيب !!

وكنتيجة لاستمرار الانتفاضة وبوادر الفشل الذريع للتصعيد القمعي الجديد ، والتي عبر عنها مستشار رئيس الاركان موشي ياتسوشيا للاذاعة الاسرائيلية ، يوم ١٩٨٩/١/٢٦ ، بالقول : « اننا نواجه مشكلات في تحقيق اهدافنا » ! ، تحاول سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، وبطريقة غير معلنة ، الانقضاض على الانتفاضة ، عبر اللجوء الى استخدام اساليب الترهيب والترغيب مع الشخصيات الوطنية الفلسطينية في الاراضي المحتلة حيث قام مسؤولون اسرائيليون من وزارة الحرب الاسرائيلية ، وبناء على طلب من اسحاق رابين ، بعرض اغراءات وحوافز سياسية واقتصادية على بعض الشخصيات الفلسطينية ، وهو ما كشفته صحيفة « معاريف » الاسرائيلية ، يوم ١٩٨٩/١/٢٧ ، حين اوضحت حدوث لقاءات بين شمونيل غوريس منسق شؤون الاحتلال وبين الشخصية الوطنية الفلسطينية فيصل الحسيني في سجنه بكفار يونا ، وعرضت عليه ان يتصل بقادة الانتفاضة من اجل اعلان قيوفم اجراء انتخابات في الضفة والقطاع وذكرت الصحيفة ان مسؤولين اسرائيليين ، ابلغوا رغباء فلسطينيين بانهم يفكرون باعادة فتح الجامعة الاسلامية وتخفيض الضرائب » ! واضافت : « انه اعتبارا من اول شباط سيسمح للسكان الذين عليهم ضرائب متأخرة بدفعها بدون فوائد او غرامات » !

ويذكر ان المواطنين الفلسطينيين رفضوا دفع الضرائب المفروضة عليهم من قبل سلطات الاحتلال تلبية لنداءات القيادة الموحدة

وكان وزير الحرب ، اسحاق رابين ، قد اقترح ، مؤخرا ، اجراء انتخابات بلدية في الضفة والقطاع والاقتراح من بعض المعتقلين بشرط وقف الانتفاضة لفترة تتراوح بين ثلاثة وستة اشهر .

وتأتي هذه اللقاءات في اعقاب اعتراف رابين بان سياسته القمعية قد فشلت ، وبان عمليات الابعاد والاعتقالات وهدم المنازل لم تحد من تنامي وتصاعد الانتفاضة واستمرارها . ورغم هذا الاعتراف الا ان رابين يصر على الاستمرار في سياسة العصا والجزرة ، سياسة القمع والتلويح ببعض المكاسب للعصرية لجماهير الانتفاضة . ولكن رابين يعلم جيدا ان سياسته الجديدة لن تلقى مصيرا افضل من سياساته السابقة ■

ماهر كيوان

التصعيد القمعي الاسرائيلي الجديد

النازية الجديدة !

■ في اعقاب الاجراءات القمعية الجديدة التي اصدرها وزير الحرب ، اسحاق رابين ، والذي اعطى فيها الضوء الاخضر لجنوده لاطلاق النار والرصاص البلاستيكي والكرات المعدنية على كل فلسطيني ، تقوم الدوريات العسكرية الاسرائيلية بترجمة هذه الاوامر بممارسات ارهابية لم يشهد لها مثيل حتى خلال الحرب العالمية الثانية بحق المواطنين الفلسطينيين .

وتجسدت هذه الممارسات بالعديد من الظواهر الفاشية اليومية ، من بينها : اولا : ظاهرة اطلاق النار والرصاص البلاستيكي بدون سابق انذار على المارة وبدون مبرر . وهناك العديد من الامثلة ، ولعل اوضحها هو استشهاد الشاب عصام هاشم محمد خليل غانم (١٩ عاما) ، من قرية حيلة قضاء قلقيلية ، حيث اطلقت عليه ١٢ رصاصة على المواطن مصطفى محمد مراعبة (٤١ عاما) من قرية راس عطية عندما ذهب يعزي باستشهاد قريبه الشهيد عصام ، فسقط شهيدا هو الآخر . وقامت سلطات الاحتلال باحتجاز الجثتين وطلبت غرامة قدرها ١٠٠٠

Digitized by Birzeit University Library

دينار اردني ، كذلك استشهاد الشاب خالد فهمي عتال مرداوي (١٨ عاماً) من قرية حيلة المجاورة لمدينة قلقيلية بعد نصب قوات الاحتلال لكمين ليلي له ولرفاقه ، مما ادى الى جرح ثلاثة شبان كانوا معه ، في الوقت الذي قتلت فيه المواطن عوض محمد صيام بالهراوات والضرب المبرح والقاه جثة وهي مدماة وممزقة على احد ارصفة مدينة تل ابيب . وقد ادعت قوات الاحتلال ان المواطن اصيب بسكتة قلبية ! ومن الدلائل الاخرى جرح ١٩٨ فلسطينياً بالرصاص خلال اقل من اسبوع ، غالبية جراحهم في الرأس والصدر والعنق ، وهو دليل على النية المبيتة بالقتل .

ثانياً : ظاهرة القاء القنابل الغازية السامة والخانقة داخل المنازل والمدارس والمساجد والكنائس ، بقصد القتل عمداً او تسمماً ، ولعل اكبر دليل وشاهد على هذه الفاشية المقننة من عطفاها ما جرى في مخيم الدهيشة والمناطق الاخرى والتي ادت الى اصابة عائلات بكامل افرادها بالاختناق والتسمم . وعلى سبيل المثال جرى نقل عائلة ابراهيم القصاص ، يوم ١/٢٤ والمكونة من الزوجة واطفالها الخمسة الى المستشفى وهم بحالة اختناق ، وشبه غيبوبة . كذلك تم القاء القنابل السامة على منزل نوال مزهر وهي حامل ، مما ادى لاصابتها بالاغماء ونقلها الى المستشفى . كما ذكرت وكالات الانباء انه تم نقل العديد من اطفال مخيم الدهيشة الى المستشفيات نتيجة استنشاقهم كمية كبيرة من الغازات الملقاة داخل منازلهم .

ثالثاً : حظر التجول ولفترات طويلة على المخيمات والقرى : فرضت سلطات الاحتلال حظر تجول على العديد من المناطق لتشمل ، في اغلب الاحيان ، ثلث الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع ومن المناطق التي ما زال حظر التجول مفروضاً عليها : قرية حيلة ، قرية راس عطية ، مخيم المغازي ، مخيم دير البلح ، مخيم البريج ، مخيم طولكرم ، قرية دنابة . اضافة الى العديد من المخيمات والقرى والمدن الاخرى التي يشملها حظر التجول لفترات غير طويلة .

رابعاً : اقتحامات واسعة النطاق في اليوم الواحد ، حيث شنت قوات الاحتلال عمليات اقتحام على ١٥ قرية ومخيم ، يوم ١/٢٦ ، حسب ما ذكرته صحف الارض المحتلة .

كما شملت عمليات الاقتحام العديد من القرى والمخيمات بينها قرى رام الله وقرى نابلس ، ومنها قرية الباذان وبلاطة البلد ، والمخيم المجاور ومخيم قلنديا ومخيم الجلزون وعسكر القديم وقرية سالم وبيورين وصانور وقفوعة وبيت وفاه .

خامساً : هدم منازل المواطنين ، حيث اقدمت قوات الاحتلال على نسف هذه المنازل بالمتفجرات بتهمة الانتماء الى اللجان الشعبية او المشاركة في رشق الحجارة ! كما هدمت منازل اخرى بذريعة عدم الترخيص واخذ اذن من الادارة المدنية وقد شملت عمليات النسف والهدم : نسف منزلين في قرية الفريديس ، نسف منزل المعتقل سامي خير النجار من جباليا البلد ، نسف منزلين في طولكرم تعودان لكل من سعيد حالوب واديب حالوب ، نسف خمسة منازل في عقربا/ نابلس واغلاق منزلين اخرين ، نسف منزل مكون من طابقين في بيت عوا يعود للمواطن اسماعيل عبد الهادي ، نسف اربعة منازل في الظاهرية تعود لكل من : زياد الهواريين وعيد زيد الهواريين وعمود احمد الفحم ومنزل حسن محمود حسين ، نسف منزل في رنتيس يعود للمواطن ابراهيم اسماعيل ، نسف منزلين في بلدة سعير يعودان لـ محمد عبد الحافظ القروح وخليل عبد الرحمن المطور ، نسف منزل في دير جهاز يعود لـ محمد حسين العودة ، هدم تسعة منازل في زعترة . كما اغلقت سلطات الاحتلال ستة منازل في حانوتيس وجباليا ومخيم الشاطىء واقدمت على هدم أسوار مدرسة خولة في مخيم رفح . وادت عمليات النسف بالمتفجرات الى تصدع العديد من المنازل وتحطيم نوافذها .

سادساً : جرف اشجار مثمرة وتهديم جدران استنادية ومصادرة ١٠٠٠ دونم في قرية دير دبوان ، كذلك اقتلاع العديد من اشجار الزيتون والحمضيات في طولكرم وقلقيلية وكفر راعي والفريديس وبتير . وردم بئرين ارتوازيين .

سابعاً : شن حملة ضريبية شرسة ، حيث قامت سلطات الضريبة بشن حملة ضريبية ضد المواطنين الفلسطينيين شملت مداهمة المنطقة الصناعية والتجارية في جنين وسوق الخضار في بيت لحم وسوق الشعراء في رفح ، والعديد من المناطق الاخرى ، واقامت الحواجز الضريبية على مداخل المدن والقرى والمخيمات وحجزت هويات المواطنين وسياراتهم واثاث منازلهم . والبضائع الموجودة في علاتهم لقاء المبالغ الباهظة المفروضة عليهم كذلك فرضت ضريبة مقدارها ١٣ الف دينار اردني على مدرسة سيافة ، النصر ، في نابلس .

هذا اضافة الى مواصلة اغلاق المدارس المتبقية في قطاع غزة ، ورياض الاطفال في القدس ، بذريعة خوف السلطات على الاطفال الفلسطينيين من الدخول في اشتباكات مع قوات الاحتلال ■

اعداد : م . ك

من سيارات القمع الجديدة : هدم المنازل .

عشرون عاماً على انعقاد الدورة الخامسة للمجلس الوطني الفلسطيني

دورة استلام فصائل المقاومة لـ م . ت . ف .

م . ت . ف . من التأسيس الى الدورة الخامسة .

■ جاء قيام م . ت . ف . نتيجة تمخاض طويل جددت فيه الحركة الوطنية الفلسطينية نفسها لأول مرة منذ عام ١٩٤٨ بعد ان عانت من التمزق مع غياب مؤسسات الشعب الفلسطيني الكيانية السياسية والاجتماعية والثقافية . ومع تأسيس المنظمة ارسيت اللبنات الاولى الضرورية واللازمة لاعادة بناء وتجديد صياغة الكيان الوطني الفلسطيني ، فاتحة بذلك الآفاق امام مجمل التطورات اللاحقة حتى وصلت الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة بـ م . ت . ف . الى درجة عالية من النضج والواقعية في برامجها النضالية عبر مسارها الطويل والصعب لتأخذ شكلها واطارها القانوني بقيام دولة فلسطين .

المؤتمر الاول

تمخضت نتائج المؤتمر الاول المنعقد في مدينة القدس يوم ٢٨ أيار ١٩٦٤ ، الذي سمي لاحقاً بالمجلس الوطني الفلسطيني الاول ، باعلان مجموعة من القرارات المهمة في مقدمتها اقرار الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الاساسي لـ م . ت . ف . اللذان جاءا تعبيراً عن رؤية البرجوازية الفلسطينية على الرغم من مشاركة عدد من مندوبي واعضاء المنظمات والقوى الفلسطينية الناشئة في تلك الفترة ومنها حركة القوميين العرب ذات الجذور البرجوازية الصغيرة . واصبح الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الاساسي اول وثيقتين برنامجيتين للشخصية الوطنية الفلسطينية في التاريخ المعاصر للقضية الفلسطينية وترافقا مع مجموعة من القرارات الاخرى مثل تأسيس كتائب فلسطينية عسكرية نظامية وشبه نظامية بموافقة عربية صدرت عن مؤتمر القمة المنعقد في ايلول ١٩٦٥ سميت بجيش التحرير الفلسطيني وتوزعت في كل من سوريا والعراق ومصر .

واجهت م . ت . ف . بعد ان اعلنت عن نفسها في المؤتمر الاول ردود افعال متعددة على كل المستويات الدولية والعربية والفلسطينية وحتى الاسرائيلية . ولا شك ان أهمية هذا الحدث كانت حاضرة في اذهان القوى والاطراف والتنظيمات الفلسطينية التي اجمعت رغم كل الانتقادات الكثيرة على الحديث عن أهمية قيام المنظمة . ومن الطبيعي جداً بحكم الصراع بين القيادة التقليدية للحركة الوطنية الفلسطينية والبرجوازية الناشئة التي اخذت تتصدى لقيادة النضال الوطني الفلسطيني ، ان تعلن الهيئة العربية العليا برعاية أمين الحسيني رفضها لانشاء م . ت . ف . معتبرة هذا التشكيل تدميراً لقضية فلسطين ، من جانب آخر رأت في ذلك تجاوزاً لها ولدورها التاريخي في قيادة الشعب الفلسطيني . اما حركة القوميين العرب فانها أساساً تعاونت مع الشقيري في بناء المنظمة بحكم حسن العلاقة التي تربط بين الشقيري ومصر الناصرية في انشاء م . ت . ف . وبحكم العلاقة الجيدة التي كانت تربط الناصرية بالقوميين العرب ، فشارك اعضاء من القوميين العرب في جلسات المؤتمر وفي لجانه المتخصصة . الا ان المؤتمر خيّب امال

Digitized by Birzeit University Library

الدورة الخامسة للمجلس الوطني : دورة تاريخية في حياة المنظمة

الحركة كما افصح عن ذلك تعليق لناطق رسمي باسم الحركة حول الكيان الفلسطيني معتبراً ان الصورة الماجرة التي برزت في المؤتمر كانت نتيجة للرضوخ المتواصل للقوى الرجعية مشيراً الى الضغوط الاردنية التي مورست على احمد الشقيري . كذلك أبدت الحركة مجموعة من الملاحظات على طريقة الاعداد للمؤتمر وعدم وجود لائحة داخلية ، الا انها في المحصلة اعلنت تأييدها للمنظمة ودعت الجميع الى ضرورة المشاركة فيها . اما احمد الشقيري فقال في حديث خاص حول ذلك : « ان اسباب الصراع بين الفرسان العرب بعود الى مطالبة هؤلاء باربعة مقاعد في التنفيذية في عملية واضحة ومكشوفة للسيطرة عليها واخضاعها لهم »[١٠] .

من جهتها شاركت حركة « فتح » في المؤتمر الاول بعدد محدود من الافراد أدت مشاركتهم ، كشخصيات فلسطينية مستقلة ، بعيدة عن الانتماء التنظيمي ، وكانت نظرتها اساساً للعمل الوطني الفلسطيني والدور الخاص للشعب الفلسطيني في نضاله من أجل تحرير وطنه تتناقض مع رؤية احمد الشقيري . ومن هذا المنطلق نظرت « فتح » الى المنظمة بكثير من الشك والريبة واعتبرت ان المنظمة جاءت بقرار عربي ولذا فهي وليدة الانظمة العربية ولن تستطيع خلقاً لذلك ، وفي ظل تبعيتها وخضوعها الكامل للدول العربية ، ان تلعب اي دور فلسطيني مستقل . ورأت ان العمل الفلسطيني الوطني يجب ان يكون مالكاً استقلاليته في اطار الدعم العربي في معركة التحرير ، من هنا نادت بشعارها المعروف « ان فلسطين هي طريق الوحدة » .

على هذا الاساس اسرعت حركة « فتح » ، وعلى ارضية التحضير لبدء الكفاح المسلح ، بالقيام باولى عملياتها العسكرية وبذلك امتلكت زمام المبادرة والالتفاف الشعبي الواسع الذي اخذ يتعزز يوماً بعد يوم مع ازدياد وتيرة الكفاح المسلح . ورغم موقفها السلبي تجاه المنظمة الا انها اعتبرت ان المنظمة كيان أولي يجب اتصال من داخله لتطويره والعمل على سيطرة القوى الفلسطينية عليه وتلمس ذلك من الدور اللاحق لحركة « فتح » في هذا الاطار ، وتستظلمه بوضوح ما قاله الشهيد خليل الوزير في مذكراته : « لا نخفي على أحد انه رغم تقييمنا للمنظمة ولدورها الخفي الا اننا اعتبرنا انها اطار رسمي يجوز شرعية عربية ولا بد لنا من الاحتفاظ به والحرص على اقتحامه والسيطرة عليه »[١١] . من خلال هذا السياق اعلن مكتب م . ت . ف . في بيروت ان اي عمل عسكري هو من صلاحيات جيش التحرير الفلسطيني الذي يتولى وحده مسؤولية التعبئة العسكرية لابناء الشعب الفلسطيني من اجل تحرير ارضه .

الدورة الثانية

وفي ظل بدء العمل العسكري انعقدت الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة بتاريخ ٣١/٥/١٩٦٥ لتشهد قاعات المؤتمر نشاطاً واضحاً ومتميزاً لمختلف القوى الفلسطينية التي وزعت على اعضاء المؤتمر بيانات ودراسات قدمتها الى المجلس تشرح فيها وجهة نظرها ازاء العمل الفلسطيني المستقل وتدعو للوحدة الوطنية والى العمل لتحويل م . ت . ف . الى منظمة ثورية حقيقية .

فقد قدمت حركة « فتح » مذكرة طالبت فيها المجلس واعضاءه بـ « تقديم الحساب عن عام مضى من عمر م . ت . ف . » وموجهة مجموعة انتقادات الى المنظمة وقيادتها معتبرة اياها بعيدة عن مجرى النضال الثوري الحقيقي والجماهيري حيث قالت : « ان كان البعض قد فهم العضوية شرفاً وكأنه يفرض وجوده على الجماهير من خلاله فان هذا من أهم الاسباب التي ابعدت الجماهير عن المنظمة والقائمين عليها »[١٢] . وبالمقابل دعت الى العمل المنظم وانشاء فرق المقاومة الشعبية وعدم ايمام الجماهير بان جيش التحرير هو الذي سيقوم بالمهمة العسكرية في تحرير الارض الفلسطينية ورأت ان حرب التحرير الشعبية هي السبيل لها وهي تحتاج الى وحدة وطنية لذلك قالت : « ان الاعباء الملقاة على عاتق اللجنة التنفيذية تستوجب ان تتألف هذه اللجنة من عناصر قوية متماسكة في ظل قيادة جماعية »[١٣] .

اما حركة القوميين العرب فقد تبدلت مواقفها تجاه المنظمة بعد عام كامل واصبحت اقل غموضاً لتقدم الى الدورة الثانية مواقف صاغت فيها افكارها فيما يتعلق بتنظيم الشعب الفلسطيني في اطار م . ت . ف . وذلك في مشروعين يضمان مبادىء التنظيم الشعبي واقتراحات بتعديل النظام الاساسي للمنظمة[١٤] . وفي حقيقة الامر ان الحركة ظلت تعمل من داخل المنظمة وكان لها عمل ، او اكثر ، في اللجنة التنفيذية كما انها سعت لبناء تنظيم شعبي يرتبط بالمنظمة بينما يكون لها هي السيطرة عليه .

وبالنتيجة ، وبفضل نمو وتصاعد العمل الثوري الفلسطيني المسلح وازدياد تأثير المنظمات الناشئة ـ رغم ان العديد من اعضاء القيادات البرجوازية المتحكمة في مقدرات وامور المنظمة حاولت الاساءة الى سمعة ودور العمل الفلسطيني الجديد الذي تقوده التنظيمات الفلسطينية ـ فقد خرجت قرارات الدورة الثانية متقدمة عن قرارات الدورة الاولى وأقرت التنسيق بين الفصائل الثورية والمنظمة لتهيئة أرضية أداة الثورة . وتبع ذلك اعلان الشقيري في مؤتمر صحفي عقده في بيروت انه « بدأ اتصالات بحركة « فتح » من اجل الصهر والتنسيق والعمل على تحرير فلسطين » . اضاف في تصريح آخر لوكالة « انباء الشرق الاوسط » ، ان المنظمة تؤيد « فتح » لانها تؤيد من يحمل السلاح » . واضاف انه سيواصل الاتصالات بحركة « فتح » لهذه الغاية[١٥] . وأقرت الدورة الثانية قانون التنظيم الشعبي والعمل على تسهيل مهمة جيش التحرير الفلسطيني .

الدورة الثالثة

في ظل انفراط عقد التضامن العربي بعد الازمة اليمنية وظهور سياسة المحاور العربية ، خاضت م . ت . ف . صراعاً عنيفاً ومكشوفاً مع النظام الاردني بعد انتهاء الدورة الثانية واتسم هذا الصراع بالتوتر البالغ عندما اعلنت المنظمة عن رفضها في تسليح القرى الفلسطينية في الضفة الغربية كتسلح واضح لتأثرها بالعمل المسلح الاحد في النشاط والتراثية . كما تأزم الموقف بين المنظمة والاردن مع رغبة الاولى في فرض التحييد الالزامي على الفلسطينيين في الاردن وتطبيق قرارات التنظيم الشعبي ومشروع الجباية المالية الصادرة عن الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني . واسام مجحر المنظمة عن تحقيق ذلك حتى من خلال مؤتمر القمة العربي الثالث ، دعا احمد الشقيري الفلسطينيين الى البحث عن مخرج لتحقيق مطالبهم خارج هذه المؤتمرات .

تعود جذور الموقف الاردني ، سابق الذكر ، الى موقفه التاريخي الرافض لمبدأ وجود كيان سياسي فلسطيني مستقل ، وادى الصراع بين المنظمة والاردن والمترافق ، مع تزايد العمل العسكري المسلح ضد اسرائيل ، الى ترك بصمات على قرارات الدورة الثالثة وعلى موقف القيادة المتنفذة في المنظمة . وبالتزامن مع الصراع مع النظام الاردني ، وجيدت المنظمة نفسها تواجه متاعب حقيقية احدث تكثر مع تزايد وتعزيز الحضور المادي لفصائل الثورة والالتفاف الجماهيري حولها مما دفع بقيادة المنظمة الى الدعوة لحضور لقاءات فلسطينية في بيروت من اجل توحيد العمل الفلسطيني حيث شاركت في اللقاء كل التنظيمات الناشئة عدا حركة « فتح » ، التي اعتبرت هذه اللقاءات عملاً مكتبياً بلا فعل على الواقع ودعت الى اللقاء فوق ارض المعركة .

امام ذلك انتهرت الهيئة العربية العليا لفلسطين الوضع المتأزم الذي تمر فيه المنظمة بسبب الاحداث السابقة ووجهت مذكرة يوم ٦/٩/١٩٦٦ الى اجتماع مجلس الجامعة العربية حول تجربة المنظمة تتهم فيها الدول العربية ، بالاعمال في تأييد الخطوات الفردية الدكتاتورية التي أدت لتشكيل المنظمة ، ، وقالت في مذكرتها ان « ثلاثة اعوام مرت على المنظمة كانت مليئة بالعبث والمشاكل ، ودعت الى « اتحاد ما يقتضي من اجراءات فعالة وسليمة لاصلاح الوضع القائم »[١٦] .

اما حركة القوميين العرب فانها كانت مشغولة بمجموعة التطورات الكبيرة التي كانت تتفاعل داخل جسم الحركة والتي ظهرت بنمو الاتجاهات الماركسية فيها .

هزيمة حزيران : تعاظم العمل المسلح بعد الهزيمة

معركة الكرامة : تأثيرات واسعة على العمل الوطني الفلسطيني

في هذه الاثناء انعقدت الدورة الثالثة للمجلس الوطني ، في غزة بتاريخ ٢٠/٥/١٩٦٦ ، مؤكدة ان هدف المنظمة هو تحرير فلسطين ولا يتحقق ذلك الا بالاشتباك اليومي مع اسرائيل . واشارت قرارات الدورة الى ضرورة العمل لتوفير الحرية لم . ت . ف . للتحرك بين صفوف شعبها وضرورة الالتزام الاردني بذلك . ودعت الى وحدة العمل الثوري الفلسطيني في اطار المنظمة واشارت ، للمرة الاولى ، الى ضرورة ابتناء قيادة جماعية لهذا العمل الثوري . لذلك طلبت اللجنة التنفيذية ان يعمل على تحقيق ذلك الامر من خلال الاتصال بالقوى والتنظيمات الفلسطينية .

ومع اشتداد الخلاف بين المنظمة والنظام الاردني ، بعد انتهاء اعمال الدورة الثالثة للمجلس ، قامت الحكومة الاردنية بخطوة تعسفية باغلاق المقر الرئيسي للمنظمة في مدينة القدس ، عاصمة الشعب الفلسطيني ، فقلت اللجنة التنفيذية مقرها ودوائرها بصورة مؤقتة الى القاهرة . وسحبت الحكومة الاردنية اعترافها بالمنظمة بعد ذلك بايام قليلة في مذكرة رفعتها الى جامعة الدول العربية .

وكرد فعل مباشر على الخطوات الاردنية برز صوت التحدي في خطابات احمد الشقيري ضد النظام الاردني ، حيث اعلن ان المنظمة سوف لن تتوانى عن عارضة الكفاح المسلح وتعبئة الشعب الفلسطيني انطلاقاً من الاردن ، وان المنظمة لن تنتظر موافقة الملك حسين على هذا الامر . وادان الشقيري عمليات مطاردة الفدائيين والاشتباك معهم واستطرادا في هذا الاطار اصدر مكتب المنظمة في بيروت بيانا اعلن فيه تشكيل مجلس قيادة الثورة لتحرير فلسطين في اعقاب مؤتمر عسكري عقد في الارض المحتلة تلبية لنداء م . ت . ف . واعلن ان المجلس الجديد مسؤول عن قيادة العمليات العسكرية داخل فلسطين المحتلة . الا ان حركة « فتح » اعلنت في بيان لها انه لا علم لها بذلك وقالت : « اننا نتأمل من الذين يعتبهم الامر ان يكونوا على مستوى المسؤولية ، قولاً وعملاً ، وخصوصاً وان الجماهير المناضلة ترفض الاقوال دون الافعال » .

عدوان حزيران وآثاره على المنظمة

ادت نتائج حرب حزيران من الناحية المباشرة الى احتلال ما تبقى من الارض الفلسطينية واحتلال اراضي عربية جديدة وتهجير مئات الالاف من الفلسطينيين والعرب . ورغم هذه الهزيمة الا انها لم تضعف البناء الكياني المؤسساتي الناشىء للشعب الفلسطيني بل على العكس من نكبة عام ١٩٤٨ التي قوضت المؤسسات الكيانية الفلسطينية فقد عززت أهميته م . ت . ف . ومكانتها ويعود ذلك الى :

■ اضطلاق الكفاح المسلح بقوة بعد الحرب عبر مؤسسات فدائية شعبية ورفع وتيرة الاستقطاب الشعبي لها ، العربي والفلسطيني ، في ظل نتائج الهزيمة كما شكل عاملاً حاسماً في سيادة برامج القوى الثورية .

■ انحسار سيادة الدولة الاردنية عن الضفة الغربية وان احتفظ النظام الاردني بقوة سياسي . ان هذا الانحسار للنفوذ الاردني ادى الى اعطاء التنظيمات الفلسطينية مجالاً ارحب لاخذ دورها في صفوف الشعب الفلسطيني من خلال التماس المباشر مع العدوي الصفة الغربية التي اصبحت جاهزها متصلة ، لاول مرة منذ النكبة ، بالجماهير الفلسطينية في قطاع غزة والمناطق المحتلة عام ١٩٤٨ .

لقد ولدت حرب حزيران دفعاً جديداً لروح المقاومة لدى الشعب الفلسطيني حيث دخل العمل العسكري ، بعد حرب حزيران ، مرحلة جديدة مع مرحلة العمل بشكل القواعد المتحركة ليثبت بذلك تطورا على المستوى الكمي والنوعي . الامر الذي دفع بحركة القوميين العرب الى التحلي عن ربط البدء بالكفاح المسلح بالظرف العربي المناسب واعلانها من دمشق ، من خلال اجتماعاتها مع بعض الفصائل ، عن بدء كفاحها المسلح على هضبة الجولان وداخل الاراضي المحتلة والقيام بعمليتي السوير سول وفندق الاميامادو في مدينة القدس . ودعت قيادة

Digitized by Birzeit University Research Center

جامعة الكويت
13 -02- 1989

فلسطين

المنظمة الى تأييد العمل الفدائي ودعمها له والتخلي عن خططاتها السابقة ومطالبتها بانزال جيش التحرير فورا الى ارض المعركة.

الدورة الرابعة

نتيجة لحرب حزيران وبمجموعة التفاعلات اللاحقة احد المغموض يكتنف وضع م . ت . ف . وساد الشعور بضرورة اعادة النظر في بناء المنظمة واجهزتها العسكرية والسياسية لتمكينها من مواجهة مطالب المرحلة الامر الذي دعا سبعة من اعضاء اللجنة التنفيذية الى رفع مذكرة لرئيس اللجنة التنفيذية يطلبون منه التنحي عن منصبه وفعلا قدم احمد الشقيري استقالته وفضلت على الفور ليترأس يحيى حمودة اللجنة التنفيذية بالوكالة

وهكذا برزت مرحلة جديدة على صعيد العمل الوطني الفلسطيني ، اصدرت على اثره حركة ، فتح ، بيانا يوم ١٩٦٨/١/٤ تدعو فيه مختلف التنظيمات الفلسطينية الى عقد مؤتمر في القاهرة لتحقيق الوحدة ودعم الكفاح المسلح وتعبيده . وانعقد المؤتمر في ١٩٦٨/١/١٧ في حضور ثمانية تنظيمات فلسطينية ناشئة بغياب الجبهة الشعبية والمنظمة . واصدر المؤتمر قرارا حول المنظمة والمجلس الوطني دعا فيه الى :

■ تشكيل لجنة تحضيرية متساوية من اعضاء المنظمات المشتركة بالمؤتمر واعضاء اللجنة التنفيذية والغايات لاختيار مجلس جديد يمثل الشعب الفلسطيني بكل تجمعاته .

■ وضع خطة للمجلس القادم منسجمة مع الثورة الشعبية المسلحة .

■ تشكيل مجلس عسكري ودعوة جيش التحرير للتنسيق معه .

الا ان الجبهة الشعبية اعتبرت ان المنظمة هي الاطار الذي يجب ان يتم الالتفاف فيه وسجلت للشقيري الموقف الحازم الذي اتخذه في قمة الخرطوم للحيلولة دون تقديم الانظمة العربية أيا كي تنزال في صوره نتائج هزيمة حزيران . واعتبرت المنظمة انها هي الاطار الوحدوي ، فبادرت على الفور الى تشكيل لجنة فرعية للاتصال مع حركة ، فتح ، من اجل بحث موضوع الوحدة الوطنية وتشكيل مجلس وطني جديد . وتم الاجتماع الاول في بيروت لتواصل بعده الاجتماعات حيث تم الاتفاق الاولي على تشكيل مجلس وطني جديد . وترافق ذلك مع محاولة المنظمة لتعزيز موقفها في تعاملها مع المنظمات الفلسطينية الاخرى بتأييدها قوات التحرير الشعبية التي بدأت عملها المسلح في هذه الفترة التي شهدت معركة الكرامة ، التي اراد العدو منها توجيه ضربة قاصمة ضد التجمع الرئيسي لقوات الثورة في الاردن . لكنها على العكس من ذلك اعتبرت نقطة تحول في مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني انتقلت بالعمل العسكري من التجابة المحدودة ومكنت الثورة من اختراق الحصار الاعلامي والحصول على مزيد من الدعم والاعتراف الجماهيري

كما تأثرت حصيلة الاجتماعات اللاحقة بين م . ت . ف والمنظمات الفلسطينية (فتح ، والجبهة الشعبية) بشكل واضح بنتائج معركة الكرامة حيث طالبت حركة ، فتح ، بتشكيل لجنة تحضيرية تتولى اختيار اعضاء المجلس الوطني الجديد وبعد حوارات وصراعات طويلة تقرر تشكيل هذه اللجنة من ٢١ عضوا واتفق على توزيع مقاعد المجلس الوطني الجديد باغلبية واضحة لحركة ، فتح ، .

امين الحسيني . رفض انشاء م . ت . ف

الشقيري . رفض استلام الفصائل للمنظمة

وهكذا انعقدت الدورة الرابعة للمجلس الوطني بالقاهرة بتاريخ ١٩٦٨/٧/١٠ لتشكل محطة رئيسية اولى في تسلم التنظيمات الفلسطينية مهمات العمل في اطار المنظمة . فشاركت فيه جميع المنظمات عدا الجبهة الشعبية التي اتهمت البعض بمحاولة السيطرة على المنظمة ومقدرتها كذلك انسحب من المجلس ممثلو جيش التحرير وقوات التحرير الشعبية لأسباب تتعلق بالخلاف حول نسب التمثيل .

وعلى صعيد القرارات الصادرة عن الدورة ، شكلت ست لجان فرعية لخلصة واحدثت تعديلات واسعة على الميثاق القومي حيث عدلت بعض مواده والغي بعضها واضيفت مواد جديدة لصبح اسمه ، الميثاق الوطني الفلسطيني ، حيث تم الفصل فيه بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وتعديل مسألة انتخاب اعضاء اللجنة التنفيذية . وبالرغم من ذلك جددت هذه الدورة انتخاب اعضاء اللجنة التنفيذية القديمة دون مشاركة الفصائل في عضويتها وكلفت باجراء الاتصالات السريعة لعقد مجلس وطني جديد خلال مدة اقصاها ستة شهور لانتخاب لجنة تنفيذية من كل المنظمات المشاركة .

الدورة الخامسة

سيرت اللجنة التنفيذية القديمة امورم . ت . ف . واجرت الاتصالات اللازمة لتشكيل المجلس الوطني الجديد الذي تألف من ١٠٥ اعضاء من ممثلي جميع المنظمات العاملة وبعض المستقلين وكان توزيعه كما يلي :(٨) حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، فتح ، ٣٣ ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ١٢ ، طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) ، ١٢ ، جيش التحرير وقوات التحرير الشعبية : ٦ ، مستقلون : ٤٢ .

وانعقدت الدورة الخامسة بغياب جيش التحرير والجبهة الشعبية خلافات اساسية حول نسب التمثيل ، علما ان الجبهة الشعبية قد حددت في تقريرها السياسي المقدم الى مؤتمرها المنعقد في تلك الفترة اهمية العمل الوحدوي مع حركة ، فتح ، و م . ت . ف . في اطار النضال الوطني الفلسطيني .

لقد اعتبرت الدورة الخامسة ، دورة تاريخية في حياة م . ت . ف . والشعب الفلسطيني ، حيث اسفرت عن توحيد نشاط المقاومة وتشكل قيادة الكفاح المسلح واتخذت لاول مرة لجنة تنفيذية تكون اكثرية اعضائها من المنظمات الفدائية ■

عادل بدوي

المصادر

(١) راشد حميد ، مقررات المجلس الوطني الفلسطيني ، م . ت . ف . مركز الابحاث ١٩٧٥

(٢) اوراق من ملفات الشهيد ابو جهاد حلقة ١٦ جريدة « الشرق الاوسط » بتاريخ ١٩٨٨/١١/٢٣

(٣) مذكرة حركة ، فتح ، الى الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني تاريخ ١٩٦٥/٥/٣١

(٤) المرجع السابق

(٥) فيصل حوراني ، (الفكر السياسي الفلسطيني) ص ٩٥ ، صادر عن مركز الابحاث م . ت . ف . ١٩٧٩

(٦) راشد حميد ، مقررات المجلس الوطني ، ص ١٤

(٧) المرجع السابق

(٨) « الموسوعة الفلسطينية » الجزء الرابع ، ص ١ ، طبعة اولى ، ١٩٨٤

اسرائيليات

« الموساد » تعاون مع فرانكو لتهجير « اليهود الاصحاء » !

كشف ايسر هرئيل ، رئيس جهاز « الموساد » الاسبق ، النقاب عن تعاون قديم بين مسؤولين كبار في سلطة فرانكو الفاشية الاسبانية ، وجهاز « الموساد » وذلك في بداية الستينات . فقد أتاحت سلطة فرانكو ، للموساد ، تهريب ٧٦ الف يهودي من شمال افريقيا الى اسرائيل عن طريق فرنسا بعد تجميعهم في الجيوب الاسبانية المحتلة داخل المغرب .

وكانت عملية هجرة اليهود غير المشروعة قد بدأت عام ١٩٦٠ واستمرت حتى أواخر عام ١٩٦٣ . وأشار هرئيل الى انه تلقى امرا من رئيس الحكومة الاسرائيلية آنذاك ، دافيد بن غوريون ، بعدم السماح للمسنين والمرضى واصحاب العاهات بالهجرة الى اسرائيل وابقائهم في الدول العربية !

ازمة حادة في « الموساد »

يعاني جهاز الاستخبارات الخارجية الاسرائيلي « الموساد » من ازمة داخلية متفاقمة حسب المصادر الصحافية الاسرائيلية ، في وقت بات فيه مؤكدا انه ستتم إقالة مسؤوله وتعيين رئيس جديد له وقد افاد شموئيل إيتان ، الذي خدم في صفوف « الموساد » في شعبة العلاقات العلمية وشغل منصب مستشار رئيس الحكومة لشؤون الارهاب ، في حديث له لصحيفة « هارتس » اليسارية : « باب المطلوب هو ثقة كاملة ١٠٠ بالمائة بين رئيس الموساد ورئيس الحكومة » . واضاف انه يفضل ان يكون رئيس « الموساد » من داخله « لان مثل هذا التعيين ، من شأنه ان يشيع الحماس في صفوف العاملين في هذا الجهاز » ! واشارت صحيفة « معاريف » الى ان تعيين رئيس « للموساد » منوط حاليا ، وفق الائتلاف الحكومي ، باتفاق رئيس الحكومة شامير ونائبه وزير المالية شمعون بيريس .

انتخابات السلطات المحلية في اواخر شباط

من المقرر ان يتم في الثامن من شباط فحص قوائم المرشحين التي قدمت لوزارة الداخلية الاسرائيلية ، وذلك في اطار الانتخابات للسلطات المحلية التي ستجري في الثامن والعشرين من الشهر نفسه وقد صرح المؤول عن الانتخابات للسلطات المحلية بوزارة الداخلية ، ايهود تيلا ، انه لن يسمح لقائمة حركة « كاخ » العنصرية التي يتزعمها الحاخام مئير كاهانا ، او لقائمة مرتبطة بهذه الحركة ، ان تخوض المعركة الانتخابية

ويذكر ان عدد قوائم المرشحين اليهود للعضوية في ١٤٨ سلطة محلية بلغ ١١٦٠ قائمة وعدد المرشحين لرئاسة السلطات المحلية هو ٨٠ مرشحا ، بينما بلغ عدد المرشحين الاهالي حوالي ١٤ الف مرشح للرئاسة والعضوية .

اما بالنسبة لانتخابات السلطات المحلية العربية فيجري في ٤٨ سلطة محلية ، ويتنافس على رئاستها ١٦٠ مرشحا

ويذكر ان عدد قوائم العضوية في السلطات المحلية العربية بلغ ٤٣٣ قائمة

مخيم احتجاجي مقابل معتقل أنصار - ٣

نظمت لجنة « السنة الـ ٢١ » الهبورية المناهضة للاحتلال الاسرائيلي ، ابتداء من يوم الخميس ١/٢٦ ، وعلى مدار ثلاثة ايام ، مخيما نصبت فيه الخيام قبالة معتقل انصار - ٣ الرهيب في النقب . وكان هذا المخيم - حسبما جاء في بيان صحفي وزعته اللجنة - مركزا لنشاطات مختلفة ، احتجاجا على سياسة الاعتقالات الادارية ، وعلى ظروف الاعتقال القاسية التي يعاني منها المعتقلون الفلسطينيون في انصار - ٣ .

وتوزعت نشاطات هذا المخيم التظاهري الاحتجاجي على الشكل التالي :

■ يوم الخميس ١/٢٦ : نشاطات حول النواحي القانونية والشرعية للاحتلال ، وللاعتقالات الادارية ، تحدث خلالها قضاة ومحامون مشهورون ويبارزون عن عدم قانونية الاجراءات والممارسات ضد المواطنين الفلسطينيين .

■ الجمعة ١/٢٧ : نشاطات حول النواحي الاجتماعية والنفسية لسياسة الاعتقالات الادارية ، تحدث خلالها عاملون اجتماعيون وعلماء نفسيون عن نتائج الاعتقالات الادارية وانعكاساتها على المعتقلين وأفراد عائلاتهم ، وعن التأثيرات النفسية للاحتلال على الجنود الاسرائيليين وعلى المجتمع الاسرائيلي عامة

■ السبت ١/٢٨ : نشاطات حول النواحي المعنوية والثقافية والدينية للاحتلال ، وممارساته . وكان بين المشاركين عدد من اليهود المتدينين المعارضين لسياسة الاحتلال

هذا ، وتخللت المحاضرات والنقاشات نشاطات وفقرات فنية متنوعة ، عكست واقع الاحتلال وظروف المعتقلين في انصار - ٣ . كما قرئت رسالة من المعتقلين ورسالة من جنود الاحتياط الاسرائيليين ، تصفان ما يجري في وسط الجنود الذين يخدمون في المناطق المحتلة

« الهستدروت » تهدد باعلان الاضراب العام

الازمة الاقتصادية التي تعاني منها الاوضاع الاسرائيلية ، سببت نزاعات بين الحكومة وه الهستدروت ، وقال حاييم هابرفلد ، رئيس التنظيم المهني في « الهستدروت » ، في محاولة منه لتبرير الازمة : « ان اشغال الحكومة بالتحضير للانتخابات ، وتشكيل الائتلاف الحكومي بعدها ، كان سببا لهذه الازمة » . واعترف ان هذا الوضع يلقي بعزيد من الاعباء على مستخدمي القطاعات ، وطالب الحكومة بدفع علاوة غلاء كتعويض للاجيرين عن رفع الاسعار ، وتخفيض قيمة الشيكل الذي جرى مؤخرا .

كما هدد هابرفلد باعلان الاضراب العام اذا لم يستجب المشغلون لهذا الطلب . وقال مصحا اسباب هذا التهديد : « ان المشغلين يماطلون في التوصل الى اتفاق بهذا الشأن ، حتى انهم يرفضون كل الاقتراحات التي تتقدم بها « الهستدروت » ، ويريدون الحصول على اكبر كمية من الارباح من وراء التخفيض وغلاء الاسعار . وعلى ما يظهر فان الحكومة تدعم موقف المشغلين ، ولا يبق امام « الهستدروت » الا اعلان الاضراب » .

وكانت « الهستدروت » ، النقابة العامة ، قد نظمت مظاهرة امام مبنى رئاسة الوزراء ، يوم ١/٢٢ ، احتجاجا على الخطة الاقتصادية التي وضعها وزير المالية شمعون بيريس ، واعتمدتها الحكومة وشارك في المظاهرة العاطلون عن العمل والمتقاعدون ، وبعض اعضاء الكنيست ، ودعا المتظاهرون الحكومة الى اعطاء الاولوية لحث مشكلة البطالة .

السجن لاربعة صحافيين اسرائيليين « بتهمة الانتماء الى الجبهة الديمقراطية »

أدانت المحكمة المركزية الاسرائيلية في القدس ، يوم الاربعاء ١/٢٥ ، اربعة من محرري صحيفة « طريق الشرارة » التي كانت تصدر بالعبرية والعربية . وذلك « بتهمة الانتماء الى الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، وتقديم خدمات لتنظيم غير مشروع » . حسب ما ورد في نص الحكم الذي نشرته الصحافة الاسرائيلية . وقد حكمت المحكمة على يعقوب بن أفرات بالسجن لمدة سنتين ونصف السنة ، واربع سنوات مع وقف التنفيذ ، وعلى مجال شفارتس وأساف اديف بالسجن لمدة سنة ونصف السنة ، وثلاث سنوات مع وقف التنفيذ ، وعلى روبي بن أفرات بالسجن تسعة اشهر ، وافرج عنها فورا نظرا لأنها قضت فترة الحكم اثناء التحقيق والمحاكمة

ويذكر ان الصحافيين الاربعة (رجلان وامرأتان) اعتقلوا منذ ثمانية اشهر وظلوا في السجن منذ ذلك الوقت ، ورفضت استئنافات تقدموا بها الى المحكمة العليا الاسرائيلية للافراج عنهم حتى تنتهي المحاكمة .

Digitized by Birzeit University Library

استقالة عوزي برعام من العمل

صورة الحزب المفكك

■ أعلن عوزي برعام عن استقالته من منصبه كسكرتير عام لحزب العمل ، بعد سلسلة طويلة من الخلافات العلنية مع قيادة الحزب . وقد جاءت هذه الخطوة لتكشف امام الانظار ، وبشكل سافر ، حجم الازمة التي يعاني منها الحزب ، والتصدع والانقسام في صفوفه اللذان تفاقما بصورة عيدة وحدة الحزب منذ ظهور نتيجة انتخابات الكنيست الاخيرة .

في مؤتمر صحفي عقده برعام ، يوم ١/١٥ ، تحدث عن الاسباب التي دعته الى اتخاذ هذه الخطوة ، فطرح سببا سياسيا حين قال انه كان على حزب العمل ، ان يتجاوب مع اشارات الانفتاح الصادرة عن منظمة التحرير الفلسطينية . واكد انه يمثل تيارا واسعاً في حزب العمل يعتبر ان قضية السلام في الشرق الاوسط تشكل قضية اساسية . قضية الخلاف الثانية التي طرحها برعام هي مشاركة حزب العمل في حكومة اسحاق شامير ، والتي اعتبرها « احتقارا للناخبين » . وقد كان منذ اللحظة الاولى ضد المشاركة في حكومة شامير ، ومن ابرز الداعين الى ذهاب حزب العمل للمعارضة ، باعتبار ان حكومة شامير ليست حكومة ائتلاف وانما هي حكومة ليكودية سيتعين على حزب العمل فيها ان يخدم سياسة « الليكود » . وفي حينه رفض منصبا وزاريا عرضه عليه شمعون بيريس وتفاقم خلافه مع قيادة الحزب عندما تحددت الحقائب الوزارية لوزراء العمل ، بحيث اصبح « وزراء العمل محبطين تماماً ، فالسياسة الخارجية في يد شامير وارينس ، ونحن نحتفظ بحقيبتين رئيسيتين : وزيرة الدفاع ، وقمع الانتفاضة ، ووزير المالية ليضع الاعباء على اليهود » . صحيفة « عل همشمار » الاسرائيلية ، يوم ١/١٨ - واعلن برعام انه غير مستعد لتحمل مسؤوليات سياسية يختلف قادة الحزب حولها . وهو يرى انه من خلال الائتلاف مع « الليكود » ، عام ١٩٨٤ ، ضيع الحزب وجهه الايديولوجي واضطر للمساومة مع الواقع الذي يتطلبه الائتلاف ، وان مشاركة العمل في الحكومة الحالية ستكون مدمرة . وان مواقف ومبادىء الحزب قد تاكلت بهذه المشاركة نفسها ، انني كسكرتير عام لحزب العمل ، الذي يشترك اثنان من قادته في مناصب خطيرة في الحكومة : احدهما يتولى ذلك الانتفاضة والآخر يتولى انزال الضربات الاقتصادية المتلاحقة بالعمال والاجيرين ، لم يعد بوسعي الاستمرار في عملي هذا كسكرتير عام للحزب » - الاذاعة الاسرائيلية ، يوم ١/١٥ -

عندما تترك شخصية مهمة في حزب العمل مثل برعام فرصتين للصعود باتجاه زعامة الحزب ، رفض الوزارة ، ثم التخلي عن منصب الامين العام ، فان هذا يشكف عن عمق واتساع الازمة الحدية التي يعاني منها الحزب ، خصوصا وان برعام ليس وحده ، بل له مؤيدون كثيرون في قاعدة الحزب ، يرون ان الحزب بسياساته المساومة قد خسر الكثير من رصيده وخذل ناخبيه ومؤيديه . واعتمادا على وجود تيار مؤيد له فان برعام لا يعتبر الاستقالة من منصبه نهاية المطاف لحياته السياسية ، بل بداية للعمل على تقوية مركزه من اجل خوض معركة رئاسة الحزب في المؤتمر الذي سيعقد بعد عامين .

الخلافات تشمل كافة القضايا

في طرحه لاسباب استقالته وضع برعام العناوين الرئيسية للازمة التي يعاني منها حزب العمل . فعلى الصعيد السياسي شهدت مواقف الحزب تدهورا شاملا بدأ مع الانتفاضة وتفاقم مع تشكيل الحكومة الائتلافية الجديدة . فشمعون بيريس تخلى عن مقولة « المؤتمر الدولي » حتى بالصيغة التي كان يطرحها وهي « المؤتمر المظلة » والحزب يتخذ موقفا سياسيا موحدا . فلكل من زعمائه موقف مختلف بشأن الحل في الشرق الاوسط وبشأن الموقف من المناطق المحتلة . المشروع الذي اقترحه اسحاق رابين مؤخرا ، والذي يدعو في جوهره الى انتخابات يختار بموجبها سكان المناطق المحتلة « ممثليهم للمفاوضات » ، شريطة ان تتوقف الانتفاضة اولا . هذا المشروع طرحه رابين - كما هو واضح - دون بحثه في الحزب . بدليل ان عوزي برعام يدعو الحزب الى « التجاوب مع اشارات الانفتاح الصادرة عن منظمة التحرير الفلسطينية » ، وضرورا فايتسمان قال في اجتماع المجلس الوزاري المصغر ، يوم ١/٢٥ ، انه يجب اتخاذ قرار حاسم يقضي باجراء مفاوضات مباشرة مع منظمة التحرير وان « اسرائيل لم تكن لديها خطط سياسية في كل الحروب التي خاضتها ولذلك خسرت السلام » - صحيفة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية ، يوم ١/٢٥ - ورئيس كتلة حزب العمل في الكنيست حاييم رامون اعتبر ان مشروع رابين منفصل عن الوضع القائم حاليا ، حيث يحاول من خلاله الالتفاف على المشاكل الاساسية . اما القضية الاهم للدلالة على تغيير العمل لجلده السياسي فهو موقف بيريس المؤيد لمبادرة رابين ، وعندما سئل عن تفسيره لغياب اي ذكر للمؤتمر الدولي في المبادرة قال في حديث لاذاعة الجيش ، يوم ١/٢٢ : « عقد المؤتمر الدولي كان جزءا من تسوية مع الاردن . واليوم فان « الليكود » على استعداد لما يشبه مؤتمرا دوليا تحت شروط معينة ، ولكن هذا يأتي متأخرا وفي ظروف صعبة . واذا كان ينبغي اجراء افتتاح دولي للمفاوضات فسنوافق على الامر » . وبدلا ينقل بيريس من داعية للمؤتمر الدولي ، الى محايد ومستعد للقبول بما يريده « الليكود » ، لقد انغلق على نفسه وعلى مهمته كوزير لمالية وتوقف كليا عن حث « الليكود » على الموافقة على المؤتمر الدولي .

وتتعكس الخلافات داخل حزب العمل في العقيد من المواقف ، على مدى الاسابيع الماضية ، ففي مظاهرة لحركة « السلام الآن » قال عضو الكنيست لوفا الياف ان الانتفاضة لن تتوقف الا بالتفاوض مع منظمة التحرير . كما طالبت اللجنة السياسية لشبيبة حزب العمل باجراء تغيير في برنامج الحزب الخاص الذي يقضي بمنع اي اتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية وتغيير جذري في علاقة الحزب بها ، وهذه هي المرة الاولى التي يدعو فيها جسم رسمي في الحزب الى تغيير موقف الحزب من المنظمة - صحيفة « الاتحاد » الهيفاوية ، يوم ١/٤ - ولا تخرج عن هذا الاطار الصحة التي اثارها لوفا الياف واورا نمير المعراخيات عندما ذهبا الى باريس للقاء ممثلين عن منظمة التحرير ، متحديين زعماء الحزب الذين يعارضون اي شكل من اشكال الاتصال بالمنظمة .

اما بشأن سياسة القمع التي يتبعها وزير « الدفاع » اسحاق رابين في مواجهة الانتفاضة فان هناك ، ايضا ، خلافات حوفها في صفوف الحزب . لقد نجح شامير في جر العمل الى ائتلاف يضمن له استمرار رابين العمالي في ممارسة السياسة القمعية التي تثير القلق حتى لدى بعض الوزراء الليكوديين الذين يرونها مبالغة في « وضع الاصبع على الزناد » . هذه السياسة يتقدمها علنا العديد من الاعضاء في حزب العمل ، من بينهم موشيه شاحال وزير الطاقة وميردخاي غور الوزير بلا حقيبة ، وفي جلسة الحكومة الاسبوعية ، يوم ١/٢٢ ، تم بحث موضوع الرصاص البلاستيكي على اثر طلب موشيه شاحال باعادة بحث الاوامر الصادرة للجيش وفحص قانونيتها من جديد . ويندرج في اطار هذا النقد التصريحات العديدة التي صدرت عن اكثر من شخصية في حزب العمل مؤكدة ان الانتفاضة لن تنتهي بالحل العسكري .

العنوان الآخر الذي وصعه برعام ضمن اسباب استقالته هو الاقتصاد ، فبيرس ، في رأيه ، اخلى ساحة السياسة الخارجية له « الليكود » وتفرغ لوضع الاعباء الاقتصادية على كاهل المجتمع الاسرائيلي . وقد لاقى بيريس في معركته الاقتصادية حملة نقد واسعة من زعماء حزب العمل ، من رابين الذي اعترض على التقليصات في ميزانية « الدفاع » ، الى عوزي برعام وميردخاي غور واسحاق نافون ، اضافة لقادة « الهستدروت » بزعامة اسرائيل كيسار ، الذين يرون ان الخطة تضع الاعباء على كاهل العمال والاجيرين . اما اورا نمير فوصفت حزب العمل بانه اصبح يمثل اغنياء اسرائيل ، وان الاجيرين فضلوا التصويت لقوائم اخرى ، وبدون اصوات هؤلاء لن ينجح الحزب في الفوز بافضلية الاصوات في الانتخابات القادمة . هذا وتكاد الصحافة الاسرائيلية تجمع على الهبوط الحاد في رصيد حزب العمل لدى الناخبين ، فصحيفة « جيروزالم بوست » تقول في عددها ، يوم ١/٢٣ ، ان هناك احتمالا كبيرا لخسارة حزب العمل لعدد من السلطات المحلية « اليهودية » لصالح « الليكود » في الانتخابات البلدية ، التي ستجري في شباط القادم .

رابين : قمع تحت توجيه « الليكود »

الائتلاف : ضياع لحزب العمل

الصراع على المناصب القيادية

من الطبيعي ان تتعكس الخلافات داخل الحزب في الصراع على المناصب القيادية ، ومع ان هذا الصراع ليس جديدا الا انه ازداد تفاقما في ظل ازمة الحزب . فما ان اعلن برعام عن استقالته من منصب حتى بدأ الصراع على خلافته . وحتى الثاني من شباط - موعد اجتماع مركز الحزب ليتخب بالاقتراع السري الامين العام الجديد - يدور الصراع بين مرشحين هما اورا نمير وسيخا حاريش ، اي بين رابين الذي يدعم اورا نمير المحسوبة على جناحه في الحزب ، وبيريس الذي يدعم حاريش . اما الصراع على رئاسة الحزب - وهو صراع قائم بين بيريس ورابين - فيتضم اليه الآن كثيرون لمنافسة الطرفين . فعوزي برعام قرر ان يبدأ العمل من اجل خوض معركة الرئاسة في مؤتمر الحزب بعد عامين ، وميردخاي غور اعلن ، هو الآخر ، انه بدأ استعداداته لخوض معركة الرئاسة ، وان كان يتطلق من اسباب مختلفة تماما عن أسباب برعام ، فقد اكتشف ان بيريس كان ينوي ان يستبعده من قائمة وزراء الحزب ، فكان الرد بيده العمل للجلوس مكانه في مقعد الحزب الاول .

الصورة ، اذن ، من خلال هذا كله تظهر حزبا مفككا ، يفتقر الى وحدة الموقف في كل القضايا ، السياسية والاقتصاد والامن ، ويتركم ذلك كله في الصراع على المناصب القيادية . ويكاد الحزب يبدو وكأنه يقايدنون ، فمع ان بيريس هو رئيس الحزب ، فان رابين هو الذي يبدو سيد الموقف ، يطرح المبادرات ويشرر ردود العمل . كل هذا له بدايته المبكرة ، ولكن الانتفاضة احدثت في صفوف الحزب الهزة التي اخرجت كل شيء الى السطح ، وارغمت زعماءه على الخروج من اقنعتهم . فالرمز الذي كان يستطيع بيريس فيه ان يستخدم اللغة المزدوجة ويطرح حلولاً تحتمل تفسيرات متناقضة ، هذا الرمز قد ولى ، واصبح على زعماء العمل ان يضعوا اجابات محددة على الاسئلة الصعبة .

وصعوبة الامتحان هي التي تفسر التخبط والتناقض والخلاف المعلن في الحزب ، هذه الهزة لم تؤثر على حزب العمل وحده بل شملت كافة القوى في اسرائيل ، ولكن نتائجها كانت اكثر وضوحا عليه لانه كان دائما الحزب الاكثر تنظيما

عبلة ناصر

Digitized by Birzeit University Library

بن جديد يدعو لتوسيع حرية الصحافة

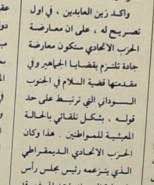

دعا الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد مؤسسات الدولة الى التحلي عن « أميال الى السرية » الذي لم يعد جائزا ، وبالسماح للصحافة الوطنية بلعب دورها ، وقال ، في خطاب القاه في افتتاح المؤتمر الوطني للمؤسسات ، ان على وسائل الاعلام الوطنية ان تطلع على الواقع وان تكشف نقاط الضعف في الادارة فتقضي بذلك على ما يولده غياب المعلومات من اضطراب وغموض .

واعلن الرئيس الجزائري انه سيمرض قريباً ، قانوناً جديداً للاعلام يضمن حرية الصحافة في الجزائر ويمنع في الوقت نفسه « المؤسسات والافراد من التجاوزات المشهرة او الكتابية للمليين بمسون قضية الحسابات » كما اوصى بتشجيع الكشافات الوطنية ولا سيما لدى كادر الشباب الذين « ينبغي تحمل اخطائهم غير المتعمدة الناجمة عن قلة الخبرة » .

هذا ودعا بن جديد الموظفين الاداريين الجزائريين الى التزام سياسة تقشف حقيقية وادارة اكثر صرامة .

الاتحادي السوداني يتحول الى المعارضة

اختارت اغلبية البرلمانية للحزب الاتحادي الديمقراطي السوداني ، امين عام الحزب الشريف زين العابدين زعيما للمعارضة في الجمعية التأسيسية السودانية .

واكد زين العابدين ، في اول تصريح له ، على ان معارضة الحزب الاتحادي ستكون معارضة جادة تلتزم بقضايا الجماهير وفي مقدمتها قضية السلام في الجنوب السوداني التي ترتبط على حد قوله ، بشكل تلقائي بالحالة المعيشية للمواطنين . هذا وكان الحزب الاتحادي الديمقراطي الذي يتزعمه رئيس مجلس رأس الدولة السوداني احمد الميرغني قد انسحب من الائتلاف الحاكم في اعقاب رفض الحكومة السودانية لاتفاق السلام الذي توصل اليه مع حركة جيش تحرير السودان ، في تشرين الاول الماضي .

مبارك : الاصوليون يحاولون خلق دولة داخل الدولة !

اعلن الرئيس المصري حسني مبارك انه سيجري ، التعامل بشدة مع الاصوليين الذين يلجأون الى العنف لفرض عقيدتهم على الناس ومحاولة خلق دولة داخل الدولة ، واكد مبارك ، الذي كان يتحدث بمناسبة الاحتفال بعيد الشرطة المصرية ، ان « لا حياة للاحزاب في مصر ، لان شعب مصر بتراثه وقيمه ، يرفض الارهاب وينبذ الأثم والعدوان وسفك الدماء » وشدد على ان لا تهاون امام تحدي القانون وأمن المواطنين وقال ان سلاح القانون ليس سلاح ارهاب ، كما يزعم اصحاب الغوى والغرض ، مؤكدا ان الحفاظ على الامن والاستقرار هو مسؤولية قومية لا تتحمل التقصير .

وتطرق مبارك الى ازمة الشرق الاوسط فدعا العرب الى التضامن ، وانتقد بشدة « العنف الاسرائيلي ضد المتظاهرين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين » .

مطالبة باطلاق سراح المعتقلين في سجون عمان

قالت اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الانسان في الخليج وشبه الجزيرة العربية ، ان الحكومة العمانية ما زالت تحتجز مجموعة من المواطنين العمانيين بدون محاكمة منذ تشرين الاول العام ١٩٨٧ ودعت الى اطلاق سراحهم فورا .

وذكرت اللجنة في بيان لها ان الحكومة العمانية اعتقلت هؤلاء المواطنين بسبب قيامهم بنشاطات ثقافية واجتماعية . وقالت ان المعتقلين تعرضوا لصنوف متعددة من التعذيب وان احد المعتقلين ، ويدعى ياسين علي محمد ، قد اصيب بامراض مزمنة من جراء التعذيب .

واضافت اللجنة ان السلطات العمانية اصدرت احكاما بالسجن تتراوح ما بين ستين و١٥ سنة بحق المعتقلين بدون ان تسمح لهم بفرصة للدفاع عن انفسهم .

وقالت اللجنة ان اعتقال هؤلاء المواطنين يشير خرقا فاضحا للاعلان العالمي لحقوق الانسان ، ودعت الهيئات الحقوقية والدولية والاقليمية الى التدخل لاطلاق سراح المعتقلين ورفع يد التعذيب والاضطهاد عنهم .

خطوتان عراقيتان لتسهيل استئناف مفاوضات السلام مع ايران

اعلن الرئيس العراقي صدام حسين ان بلاده وافقت على تشكيل « لجنة عسكرية مشتركة » مع ايران تستهدف تعزيز وقف اطلاق النار بين البلدين ، كما وافقت على رفع الحظر الجوي المفروض ، منذ العام ١٩٨٠ ، على تحليق الطائرات المدنية التي تؤمن المواصلات مع ايران فوق اراضيها .

ونقلت الوكالة عن الرئيس العراقي قوله ان العراق مستعد لاستئناف محادثات السلام بشرط ان لا تضع ايران شروطا مسبقة .

هذا وكان اليابانيون قد زار كلا من طهران وبغداد في محاولة لتحريك محادثات السلام العراقية - الايرانية ، وقد نقل عنه قوله ان زيارته « كانت مفيدة ومثمرة » .

من جهتها كانت ايران قد ابلغت وسيط الامم المتحدة بان اليابان نابيا « ستبذل كل ما بوسعها من اجل احلال السلام مع العراق » ولكنها اصرت على انه « يتعين على بغداد ان تسحب قواتها من الاراضي الايرانية اولا » .

في الصميم

على « مجاعة » السلام !

التجمع الرباعي الذي يجري العمل لتأسيسه بين العراق والاردن ومصر واليمن الشمالي ، يسود (لمن ينظر الى تجربات الوضع العربي نظرة بعيدة) وكأنه آخر مسمار تريد الانظمة العربية ان تدقه في نعش « الجامعة العربية » الذي بدأ بعد مجلس التعاون الخليجي والاتحاد المغاربي واخيرا التجمع الرباعي . سيكون وجود الجامعة العربية بدون اي معنى ، بل انها ستكون ، في الواقع ، دون اي مهمات عملية توجب بقاءها قائمة .

اللهم الا لاغراض شكلية ترتأيها هذه الانظمة بين حين واخر .

وعلى الرغم من ان اوضاع الجامعة العربية اصبحت تسير في هذا المنحى ولكن ما يجري يدعو حقا للاعتقاد بان هذه الخطوات هدفها انهاء آخر الاوراق التي بيد هذه الجامعة . فالجامعة العربية وهي في واقع الحال ، ومن المجلس السياسي القومي ، اكثر من كونها اطارا للتعاون والتنسيق بين الدول العربية ، كان يمكن لها ان تستوعب حتى تلك الحاجات الاقتصادية والسياسية ، التي تعبر عنها التشكيلات والتجمعات والاتحادات ، القائمة او التي يجري العمل على قيامها ، لو (لو ؟) عملت الانظمة العربية جدا ومسؤولية على ايفائها وتفعيلها بدل تقبيرها .

ان الشعارات القومية التوحيدية ، التي يجري في ظلها تشكيل المحاور العربية ، سياسية كانت ام اقتصادية ، لن يكون باستطاعتها ، ان تحجب تلك الحقيقة الساطعة ، حقيقة ان هذه السياسة هي سياسة تجنيت اكثر منها سياسة توحيد !

من مناقشات ندوة مجلة « المنهج »

عن « البيريسترويكا » ، التفكير السياسي الجديد ، والنضال الفلسطيني

● داود تلحمي ●

■ في الندوة التي نظمتها المنهج « والمنهج » في دمشق خلال شهر كانون الاول الماضي ، بعنوان « البيريسترويكا عربياً » ، تحدث الرسيل داود تلحمي ، رئيس تحرير « الحرية » ، في اليوم الاول للندوة مفيداً على المداخلات التي قدمت في صباح ذلك اليوم . في ما يلي نص مداخلته ، كما ستنشرها مجلة « المنهج » مع المداخلات والنقاشات الاخرى ، في عدد خاص سيصدر خلال أيام قليلة ■

■ طلب مني ان أعقب على المداخلات التي قدمت هذا الصباح ، ولكن قبل أن ادخل في مناقشة هذه المداخلات ، أود أن أعبر عن وجهة نظري بشأن العنوان العام لهذه الندوة ، وأولاً بشأن « البيريسترويكا » نفسها كما يمكن أن نفهمها .

وقبل كل شيء ، أعتقد أن « البريسترويكا » ، كما يمكن أن نفهمها من خلال ما يجري حالياً في الاتحاد السوفيتي ، هي أولاً اعادة اعتبار للماركسية كمنهج نقدي ، وهي بالاساس تحرير للعقل من القوالب الجامدة . اما اعادة اعتبار للماركسية كمنهج نقدي على صعيد النظرية والتحليل كما على صعيد الممارسة والعمل . فالتحليل النقدي هنا لا ينحصر تطبيقه على الواقع في البلدان الرأسمالية ، وانما كذلك على الواقع في البلدان التي يبنى فيها الاشتراكي . فالمشكلة بالأساس ، على الصعيد الفكري ، كانت تكمن - بالنسبة للتجربة السوفييتية أولا - طوال الفترة الماضية . وخاصة منذ اواخر العشرينات وتوطد سلطة ستالين ، في غياب التطبيق الفعلي للنظرية الماركسية ، للبادية التاريخية ، على الواقع الحي في الاتحاد السوفييتي نفسه ، في المرحلة الجديدة والشاقة التي هي مرحلة الانتقال نحو البناء الاشتراكي . سمعنا جميعنا عن قرار السلطات السوفييتية باعادة كتابة تاريخ الاتحاد السوفييتي ووقف العمل بكتب التاريخ السابقة ، التي لم تكن تعتمد منهجاً مادياً تاريخياً فعلياً في تناول الوقائع والاحداث وتطورها ، ولم تكن بالاساس تتناول الوقائع وأشخاصها بالدقة والصرامة العلمية اللتين كانتا تلازمان الكتابات الماركسية السابقة ، كتابات ماركس ولينين وغيرهما عن التاريخ السابق أو التاريخ الذي كانوا يعيشونه أو يباشرون في صنعه ، وكنا سمعنا عن مقولة غرباتشوف الشهيرة عن اعادة « اسكان التاريخ بالشخصيات » .

ومن هذه الزاوية ، فلا بد أن نرحب بما أتت به « البيريسترويكا » وسياسة « العلانية » . فلاسنات - من الاعتبار للماركسية وللهادية التاريخية . ولكن ذلك لا يعني بالطبع أننا نعتبر المرحلة الماضية من التاريخ السوفييتي ، بمجملها ومن كل جوانبها ، مرحلة سلبية ومرحلة سوداء . فموقف كهذا لن يكون الا شكلاً جديداً من أشكال هذه « السلبية » التي أتت « البيريسترويكا » لتنقدها وتتجاوزها . فالتحليل العلمي للتاريخ الحديث للاتحاد السوفييتي ينبغي أن يسجل ، بإنصاف ودقة ، الصورة من كافة جوانبها ، بإيجابياتها وسلبياتها ، بالانجازات الهائلة التي تحققت والاخفاقات الكبيرة التي اصطدمت بها التجربة . ولسنا هنا بالطبع بصدد الدخول في تفاصيل تحليل كهذا ، إنما أردنا أن نسجل ضرورة معالجة الخطأ بتصويب له وليس بإحلال خطأ آخر مكانه .

الانسان في مركز الضوء

جانب آخر ألفت « البريسترويكا » ضوءاً ساطعاً عليه ، وهو كون الانسان في مركز النظرية الاشتراكية العلمية . فالاشتراكية العلمية ليست نظرية مجردة ، وهي ليست أكاديمياً فكرية تحاول أن تطبقها على الواقع ، أو تحاول أن تقولب الواقع حتى يتطابق معها . بل هي نظرية وضعت بالاساس من أجل خدمة الانسان ومستقبل البشرية . ومن هذه الزاوية ، لا يمكن تجنيد بعض المفاهيم والممارسات التي تنبع بالاساس من تجاهل هذه الحقيقة ، ومن إحلال الارادوية ونزعات الاستبداد المتطلقة مناهل مكانها ، ومن احتقار الانسان ودوره الفاعل كصانع للتاريخ وليس مجرد اداة له . ولدينا نماذج من ممارسات كهذه في مرحلة القمع الواسع في الثلاثينات في الاتحاد السوفييتي ، وهو القمع الذي لم يستهدف أعداء الثورة والاشتراكية وفلول الطبقات المقهورة فحسب وانما تطاعات واسعة من الجماهير الشعبية نفسها (الفلاحين بفئاتهم المختلفة) وكذلك ناشطين وقادة في الحزب الشيوعي والسلطة السوفييتية نفسها ، وتعمل هذه الارادوية الاستبدادية سنويات متوحشة حتى في عصرنا الراهن ، كما يتضح من تجربة بول بوت الدموية في كمبوديا في النصف الثاني من السبعينات ، وهي تجربة رفعت أيضاً لواء الاشتراكية العلمية (على الصعيد النظري) ، لكنها لوثته أيما تلوث على صعيد الممارسة .

واذا كانت عملية « اعادة البناء » المطروحة في الاتحاد السوفييتي راهناً تستهدف بالاساس اعادة النظر في محمل المفاهيم والممارسات الموروثة من المرحلة المعروفة بالتقليدية ، فإن من الضروري الاشارة هنا - وهو ما فعله من زاوية معينة الدكتور لؤي ادهم - الى أن اعادة البناء هذه على الصعيد الاقتصادي ، أي اعادة النظر في أشكال التنظيم الاقتصادي السابقة المتمددة على مركزية ذات مطلقة ، تحمل في طياتها ، الى جانب الايجابيات المتوقعة ، جملة من السلبيات المحتملة ، وهي سلبيات غير خافية عن أذهان المسؤولين والاخصائيين السوفييت (كما تبين من خلال أحاديث أجريتها بعضهم في موسكو في حزيران ١٩٨٧) . فإذا كانت المركزية المفرطة على صعيد التنظيم الاقتصادي ، وعلى الصعيد الاداري عامة ، أفرزت فيما أفرزت ، إشكالات واضحة يتحدث عنها المسؤولون والمثقفون السوفييت اليوم باستفاضة ، فإن بعض الاجراءات الاقتصادية الجديدة تحمل معها أيضاً جوانب سلبية ، من تفاوت متزايد في المداخيل الى التنامي المحتمل للايديولوجية البورجوازية الصغيرة لدى الاوساط التي ستنشىء المشاريع الصغيرة الخاصة أو تتولى استئجار الارض لفترة طويلة ، لكن حجم هذه المشاريع في اطار البنية العامة للاقتصاد السوفييتي يفترض أن يكون متواضعاً ، نظراً لأن ملكية وسائل الانتاج الرئيسية ستبقى عامة . أما فيما يتعلق بتلبي الاحتياجات الاستهلاكية للمواطنين السوفييت ، فينبغي النظر اليه من زاويتين ، وليس من زاوية واحدة فقط . فهناك حاجات استهلاكية فعلية ، وهي متنامية ، مع تنامي مستوى التطور الاجتماعي والتقدم العلمي ، وهي حاجيات استهلاكية قد تتأجل بفعل اكتشافات ، أو بفعل تصنيع واسع وانتشار متزايد لها في البلدان الرأسمالية المتطورة ، ثم لا تلبث هذه الحاجيات أن تفرض نفسها على المجتمعات الاخرى بفعل تأثير وسائل الاتصال الحديثة وسرعة انتقال الخبر في عصرنا الراهن . لنأخذ مثلاً جهاز التلفزيون الذي كان لا حضوره تقريباً

Digitized by Birzeit University Library

في أنحاء العالم قبل نصف قرن ، ليصبح الآن حاجة تكاد تكون ضرورية في كل منزل ، حتى في البلدان الاقل تطوراً في العالم . والامر نفسه ينطبق على اعتراضات أخرى وقفت في المجال الاستهلاكي ، وفي اطار السعي الرأسمالي المحموم لتوسيع نطاق الاستهلاك بإقامة عجلة الصناعة الاستهلاكية دائرة باستمرار . ومن الطبيعي أن تكون هناك عقولات دائمة من قبل المؤسسات الاحتكارية في البلدان الرأسمالية المتطورة لاختلاق احتياجات استهلاكية مفتعلة ، لا فائدة جدية لها لتطوير حياة الانسان ، ومهمة مواجهة هذه النزعة الاستهلاكية الضارة مهمة رئيسية على جدول أعمال الجبهات المعنية بالتوجيه والتخطيط في البلدان الاشتراكية ، وهي مهمة ذات طابع ايديولوجي بالدرجة الرئيسية .

الحريات الديمقراطية بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي

مسألة أخرى تناولها الدكتور ماهر الشريف في مداخلته ، واعتقد أنه مصيب في طرحها ، هي مسألة الحريات الديمقراطية التي تطرحها القيادة السوفيتية الآن بقوة تحت عنوان «العلانية» ـ «الغلاسنت» ـ واصلاح النظام السياسي ، كما اتضح بشكل خاص في الكونغرس التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفيتي الذي انعقد في أواسط العام ١٩٨٨ . وهنا ينبغي التأكيد على مسألة مهمة : إن ظروفاً تاريخية عديدة واكبت نشوء وتطور الثورة السوفيتية ، وهي ظروف كان من المفترض أن يعاد النظر في ترتيباتها بعد أن تم تجاوزها وتم توطيد السلطة السوفيتية . فمسألة الحريات الديمقراطية في البلدان الرأسمالية المتطورة هي مسألة أكثر تعقيداً من الصور المبسطة التي كانت ، وما زالت ، الى حد معين في بعض الاوساط ، تقدم بها للحريات الديمقراطية في البلدان الرأسمالية المتطورة ليست منحة أو كرماً من الطبقة الرأسمالية الحاكمة ، بل هي بالاساس انتزعت انتزاعاً مهيباً بفضل النضالات الجماهيرية ، وخاصة نضالات الطبقة العاملة ، طوال القرن الماضي ومطلع القرن الحالي . ولنتذكر أن حرية التنظيم والتعبير والنشر هي أمور حديثة نسبياً في معظم البلدان الرأسمالية ، وفي بعضها بكاد عمرها لا يتجاوز القرن . وفي بلد رأسمالي متطور مثل فرنسا ، لم يتم الاقرار بحق المرأة في الاقتراع والترشيح في الانتخابات الا قبل أقل من نصف قرن ، بعد الحرب العالمية الثانية . صحيح أن الحريات الديمقراطية في البلدان الرأسمالية مشروعة ، وان الطبقات الحاكمة تحاول الالتفاف عليها وافراغها من مضمونها والاغتصاب الدائم منها ، لا بل تحتقرها أحياناً لصالحها من خلال امكانياتها المالية الهائلة ، لكن ذلك لا يلغي كون هذه الحريات الديمقراطية مكتسباً مهماً من مكتسبات الحركة الجماهيرية ، والعمالية خاصة ، مكتسباً يجري الدفاع عنه والنضال من أجل تطويره وتعميقه كل يوم من قبل القوى الديمقراطية والطبقة العاملة في هذه البلدان وهذه قضية صراعية يومية في هذه البلدان .

وبالمقابل فإن الحريات الديمقراطية في البلدان الاشتراكية ينبغي أن تكتسب طابعاً أعمق وأكثر غنى وجدية ، ولا يكتفى بالاستعاضة عنها بما اصطلح على تسميته بالحريات الاجتماعية ، صحيح أن ما أنجزه في البلدان الاشتراكية ، وتحديداً في الاتحاد السوفيتي ، على صعيد العدالة الاجتماعية والضمانات الحياتية للانسان ، لكل انسان ، هو مهم وكبير جداً . ولكن ذلك لا يلغي من ضرورة بلورة صيغة عميقة وجدية للحريات الديمقراطية في ظل النظام الاشتراكي ، للديمقراطية السوفيتية . وهو ما يبدو لنا الآن من أهم ما تطرحه «البيريسترويكا» والعملية الجارية راهناً في الاتحاد السوفيتي . انها بالاساس محاولة للتأكيد على أن الاشتراكية يفترض أن تتجاوز الرأسمالية في كل المجالات ، وليس فقط في مجال العدالة الاجتماعية والحريات الاجتماعية . فالاشتراكية هي أرقى نظام في تاريخ البشرية ، وهي ينبغي أن تكون كذلك في شتى المجالات ، المادية والروحية على حد سواء . والفرد في النظام الاشتراكي ينبغي أن يغتني ويزدهر في شتى المجالات . ولذلك نأمل أن يكون النجاح المستقبلي في المراجعة بين العدالة الاجتماعية والتطور الاقتصادي والحريات الديمقراطية الاعمق والاوسع ، فرصة لاستعادة كل الوضع الذي كان للنظام الاشتراكي في العالم كله ، وهو وضع بقي طوال سنوات طويلة محصوراً في مناطق معينة (وخاصة البلدان الاقل تطوراً) وفي فئات محددة في البلدان الرأسمالية المتقدمة (وهي فئات متناقضة في بعض هذه البلدان) ، وينبغي أن يعود للاشتراكية وللطموحات الكبيرة المرتبطة بها كل الوضع والاشعاع الذي كان لها في الماضي ، والذي ولّد كل هذه الثورات العظيمة وكل هذا التغيير الهائل في التاريخ البشري طوال القرن الممتد من كومونة باريس وحتى عصرنا الراهن .

إحياء سلاح النقد الماركسي

وهناك مسألة مهمة أخرى تطرحها «البيريسترويكا» ، وقد أشرنا اليها بشكل سريع قبل قليل . انها مسألة استعادة الجوهر النقدي والحيوي للماركسية ، للاشتراكية العلمية ، وتحديداً هنا فيما يتعلق بالنظام الاشتراكي نفسه . فمن الضروري جداً أن لا يكون موقفنا من «البيريسترويكا» على قاعدة «مات الملك .. عاش الملك» ، أي على قاعدة التصفيق لكل نظام جديد واداتة النظام الذي سبقه أو نقده نقداً مراً . إن ما تطرحه «البيريسترويكا» هو اعادة نظر جذرية بمثل هذه «القالبية» . فسلاح النقد الماركسي هو سلاح شامل ، وبه ينبغي تقييم وتحليل كل الظواهر وكل المراحل ، بما في ذلك المرحلة الراهنة . ومميزة ما يجري طرحه الآن في الاتحاد السوفيتي تكمن هنا : فليس مطلوباً منا أن نقول «نعم» لكل شيء ، وأن نصفق لكل شيء ، بل ما هو مطلوب أن نناقش كل شيء ونبدي وجهة نظرنا في كل شيء ، تماماً كما كان الحال في العصر الذهبي للماركسية وفي الحقبة اللينينية ، وعلى هذا الاساس ، نعتبر من حقنا ، كماركسيين ، أن نقول رأينا في كل ما يجري ، وأن نتعامل معه ـ فيما يتعلق بتجاربنا وأوضاعنا الخاصة ـ بشكل خلاق ، وليس بشكل ميكانيكي أي يفسخ المظاهر ليشوه المضمون ، ويفرغ العملية الجارية كلها من أهميتها ومن طابعها الجذري .

والرفيق غرباتشوف نفسه يوضح في كتابه الشهير ، وفي تصريحاته ومداخلاته ، أن لا أحد يمتلك وحده الحقيقة المطلقة ، وأن القيادة السوفيتية الحالية لا تمتلك وصفات جاهزة ومتكاملة حلل كل الاشكالات ويجاوز المصاعب والعقد الراهنة . فالماركسية ليست اكسيراً جاهزاً يعالج ، بوصفة محددة صيغاً ، كل الامراض ، ايا سلاح ، وسلاح قوي . ولكن الواقع دائماً أعقد من أية وصفات جاهزة ـ كما كان يقول لينين ـ . وبناء النظام الاشتراكي عملية جديدة في التاريخ البشري ، وليس هناك نموذج جاهز للمضي فيها ولتصميمها وتطويرها . هناك قوانين وقواعد عامة ، هناك مبادىء وأهداف ، وهناك كل الذكاء البشري ، كل القدرات الهائلة لاستيعاب المستجدات والتعامل معها ، كل غنى العمل الجماهيري والبحث الجماهيري والجهد الجماهيري . ولسنا حتى ، كما قال أحمد الرفاق في مداخلته ، بصدد العودة الى اللينينية فقط . فالعالم في نهاية القرن العشرين غيره في مطلعه ، والاتحاد السوفيتي اليوم مختلف تماماً عن روسيا عام ١٩١٧ ، والشعب السوفيتي الآن يمتلك مستويات علمية وثقافية هائلة لا تمكن مقارنتها مع أوضاع روسيا في الاشهر الاولى للسلطة السوفيتية . فنحن اذاً ، أمام تجربة جديدة تماماً ستكون بالضرورة أكثر تعقيداً وغنى ، وستطلب بالضرورة أدوات جديدة وأفكاراً جديدة . والتجربة الجديدة ستكون بالطبع عاضمة للمراجعة الدائمة ، وهي بالطبع محكومة باحتمالات الصواب والخطأ في التطبيق والتفاصيل . وحين نقر بذلك مبدئياً فانما هو تمهيد الاعتبار الكامل لنظرية وللممارسة الماركسية بكل أبعادها .

على هذه الارضية ذاتها تنطلق للحديث عن انعكاسات «البيريسترويكا» على منطقتنا العربية . فكل تجربتنا الفنية السابقة ، بتجاهياتها واخفاقاتها (والاخفاقات عندنا أكثر من النجاحات) ينبغي أن تكون عاضمة لسلاح النقد الماركسي الصارم وللمراجعة الدائمة . فمطلوب منا أولاً ، كأحزاب ومنظمات ومثقفين ، أن نبحث من الاشكال التنظيمية الاكثر ملاءمة لواقعنا ولطبيعة نضالنا والتحديات التي تواجهنا . بالطبع ينبغي اعادة الاعتبار للديمقراطية في اطار هذه المركزية الديمقراطية التي غالباً ما غابت عنها ، أو الحدّت غالباً شكلياً . وينبغي تجريب عقلنا بشكل كامل والانطلاق من واقعنا ، واقع شعوبنا وواقع مجتمعاتنا ، ليتدفع ـ متسلحين بالنظرية الاشتراكية العلمية وبالمنهج الماركسي النقدي ـ الاشكال التنظيمية والتعبوية الملائمة ولتحديد كل سياساتنا لتغيير هذا الواقع ، لتحرير أوطاننا أولاً ثم لتأمين انتصار الاشتراكية فيها .

التفكير السياسي الجديد والاوضاع في منطقتنا

ومن هذه الزاوية ، نظر الى التفكير السياسي الجديد الذي طرحته القيادة السوفيتية . فعلى اساسه تحقق ، خلال اعوام قليلة ، الكثير من الانجازات على صعيد الحد من سباق التسلح العالمي والاتجاه نحو نزع السلاح النووي وتخفيف حدة التوتر وتحقيق درجة متزايدة من الانفراج في المناخ الدولي . لكن يجب ان تكون مدركين ان هذه الانجازات تحققت على ارضية قوة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي . فكل النقد الذاتي الذي يوجهه القادة السوفيت اليوم لانفسهم وللتجربة بلدهم ، لا ينبغي ان ينسينا ان الاتحاد السوفيتي بلد قوي جداً ومتقدم جداً في المجالات العسكرية وفي شتى فروع العلم وتطبيقاته . فالاتحاد السوفيتي مثلاً ، هو البلد الاول في العالم في مجال اكتشاف الفضاء ، وهو متقدم جداً في الرياضيات والطب والعلوم الطبيعية ، وهو يمتلك صناعات عسكرية متطورة جداً . وهو يتطلق بالتالي من هذا الموقع القوي استراتيجياً وعسكرياً وسياسياً ، وبغض النظر عن نقاط الضعف التي تكتنف مسيرته التنموية . ليتعامل مع المعسكر الامبريالي بأسلوب جديد ليحقق بفعالية أكبر اهدافاً كان ينادي بها ايضاً في الماضي ولكن بنتائج أقل .

وحين نتحدث عن انفسنا وعن صراعنا مع الاحتلال الاسرائيلي ، لا يمكن ان نتسلح بتجربة التعامل السوفيتي مع الولايات المتحدة او عجل السياسة السوفيتية الراهنة على الصعيد العالمي . فالمعطيات الذاتية في منطقتنا مختلفة تماماً ، ونحن لي وضح الاضعف على الصعيد العسكري والاستراتيجي ، في مواجهة التحالف الاسرائيلي ـ الصهيوني . ولهذا توجب التعامل مع الوضع بخصوصيته وظروفه المميزة ، وهذا كان لا بد من هذا النضال الطويل والعنيف ضد الاحتلال الاسرائيلي الذي يقترب ، في حالة الثورة الفلسطينية المعاصرة ، من الالم ربع القرن . وحين نتحدث عن الانتفاضة الشعبية الفلسطينية في الاراضي المحتلة ، لا يمكن ان نغفل اهمية الآية الشرعية لثورة ربع القرن ، فهذه الثورة التي انطلقت في اواسط الستينات واعتمدت شكلاً نضالياً رئيسياً هو الكفاح المسلح ، وهو شكل كان ـ وما يزال ـ ضرورياً في مواجهة صنف المحتلين وجبروتهم والتجاهل العالمي الواسع للحقوق الوطنية الفلسطينية . فلولا هذا الكفاح الطويل والشاق ، لولا التضحيات الهائلة في المهاجر كما في الوطن المحتل نفسه ، لما نضجت الظروف الموضوعية والذاتية لاندلاع هذه الانتفاضة المجيدة ، التي لها الآن سماتها الخاصة واسلحتها الخاصة نظراً لطابعها الشعبي ولاطرافها الاقليمي والدولي الاكثر تنهاً وحساسية .

صحيح ان الكفاح الفلسطيني المسلح لم يكن ، ولن يكون ، وحده ، قادراً على حسم الصراع مبدئياً وعلى الارض مع الاحتلال الاسرائيلي . وحتى الجهد العسكري العربي المشترك خلال حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ ـ بالرغم من الهزيمة الحربية الجزئية التي الحقها بالقوات الاسرائيلية ـ لم يكن قادراً على حسم الصراع بالكامل لصالح المطالب العربية . ومن هذه الزاوية ، فان الانتفاضة الشعبية الفلسطينية تفتح على العدو جبهة جديدة ليست عسكرية بالاساس ، ولكنها ، في اوضاع عالمنا الراهن ـ جبهة شديدة الفعالية ، حيث تستنزفه سياسياً ومعنوياً ـ والى حد معين حتى اقتصادياً ـ وتكثف الضغط العالمي عليه وعلى الولايات المتحدة التي تدعمه ، ليتم ارغامها على التراجع ـ التدريجي على الاغلب ـ عن تعنتها الراهن ومواقفها التوسعية العدوانية الحالية ، ومولاً ، في نهاية المطاف ، الى التراجع الكامل والانسحاب من كل الاراضي الفلسطينية (والعربية الاخرى) المحتلة والاقرار بحق الشعب الفلسطيني في وطنه ، حقه في تقرير مصيره وفي دولته المستقلة على ارضه الوطنية . وهذا ما حصل مع العديد من حركات التحرر في عالمنا المعاصر ، والتي لم تتمكن من هزيمة المستعمرين هزيمة عسكرية بالمعنى الكلاسيكي ـ اي في ميدان المعركة ـ ولكنها تمكنت من هزيمتهم عبر الاستنزاف الشامل ، العسكري والاقتصادي والسياسي والمعنوي ، عبر الاستفادة من كل عناصر القوة الذاتية التي توفرها وحدة الشعب ووحدة حركته والدعم العالمي الذي يلقاه نضاله الوطني والذي يتحول الى ضغط مكثف على اعدائه .

هكذا هذا ، اذن ، ان نظر الى الانتفاضة الشعبية الفلسطينية نظرة ديناميكية وتضعها في اطارها التاريخي ، ولا نغرقها من الماضي ومن المسيرة الكفاحية التي افرزتها ، وهي مسيرة اتسمت طوال ربع قرن بالعنف ، والعنف المسلح ، وهي مسيرة اتسمت ايضاً بالعنف ، والعنف المسلح ، الذي فرضه تعنت العدو وجبروته وعدوانيته وتبديد حقوق الشعب الفلسطيني . وليس من قبيل المبالغة القول ان ما

الكونغرس التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفيتي . بلورة الديمقراطية الاشتراكية

الانتفاضة الفلسطينية . الثورة الشعبية لكفاح ربع قرن

Digitized by Birzeit University Special Collections

جرى في لبنان تحديداً ، منذ حزيران ١٩٨٢ ، من الاجتياح الاسرائيلي الواسع الى المقاومة الوطنية الشاملة والناجحة ضده ، ما جرى من صمود هائل للمخيمات الفلسطينية هناك ومن هزيمة للمشروع الاسرائيلي - الاميركي ولكل مشاريع ابادة القضية الفلسطينية وشطب منظمة التحرير الفلسطينية ، ما جرى هناك لعب دوراً رئيسياً في تعبئة جماهير الارض الفلسطينية المحتلة وتحشد همتها وتحريك غيظها والهاب مشاعرها واقناعها بان المقاومة الشعبية قادرة على هزيمة اعتى الجيوش واقواها.

فاسرائيل هزمت في لبنان ، على يد الشعبين اللبناني والفلسطيني ، عبر حرب شعبية حقيقية هي الاولى من نوعها في تاريخ الصراع العربي - الاسرائيلي التي تحقق نتيجة كهذه . وهذا درس بليغ لا يغيب عن رؤية الشعب وملاحظته . ولا يغيب ايضاً عن رؤية المحتلين أنفسهم .

فالحرب الاسرائيلية الفاشلة على لبنان ومنظمة التحرير شكلت منعطفاً مهماً في تاريخ الصراع العربي - الاسرائيلي . فبعد هذه التجربة المرة ، اصبحت اسرائيل تتردد في التخطيط لحروب توسعية اخرى من النمط ذاته ، ودخل المشروع الصهيوني التوسعي برمته في مرحلة جديدة ذات سمات مختلفة عن المرحلة السابقة .

العامل الذاتي هو الأساس

وهنا اشير الى انني اتفق مع ما طرحه الدكتور محمود امين العالم بشأن كون العامل الذاتي هو الاول والاهم وهو العامل الحاسم قبل غيره . فلولا وجود هذا العامل الذاتي لما وجد العامل الدولي ، الذي يتحول الآن الى عامل مساعد ومكمل ، ومهم بطبيعة الحال . صحيح ان العامل الدولي مرشح للعب دور حاسم في نهاية المطاف ، لارغام المحتلين الاسرائيليين على الانسحاب والرضوخ للارادة الدولية ، نظراً للاختلال الكبير في موازين القوى ، على الارض ، بين اسرائيل والشعب الفلسطيني وبين التحالف الاسرائيلي - الاميركي واي تحالف عربي يمكن ان يلف في مستقبل منظور في مواجهته . ولكن تحديد هذا العامل الدولي لصالح الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى المتضررة من الاحتلال الاسرائيلي ما كان ممكناً لولا هذا التألق الذي نشهده للعامل الذاتي من خلال الانتفاضة في الارض الفلسطينية المحتلة .

وبامكاننا ان نلقي نظرة على الآفاق الذي جرى مؤخراً بين التحالف الانغولي - الكوبي ونظام جنوب افريقيا العنصري ، والذي يقضي بانسحاب قوات جنوب افريقيا اولاً من جنوب انغولا وثانياً من ناميبيا ، المحتلة منذ اكثر من ستين عاماً ، والتي ستصبح مستقلة بعد اشهر قليلة ، لندرك ان عامل القوة الذاتي كان حاسماً هنا في إرغام نظام بريتوريا على الاعتراف باستقلال ناميبيا والتخلي عن مشاريعه التوسعية فيها وفي جنوب انغولا . ولولا الهزيمة التي لحقت بقوات جنوب افريقيا والضربات التي تلقتها في العامين الماضيين على يد القوات الكوبية والانغولية ، لما تهيأت الظروف للوصول الى اتفاق كهذا . ونحن طبعاً لسنا في وضع شبيه ، ولكن العامل الذاتي في منطقتنا يتخذ طابعاً آخر ، وهو طابع يمكن تطويره وتنميته اذا ما كان الضغط الذي يمكن ان يمارسه على الولايات المتحدة وعلى اسرائيل .

يبقى ان اتناول مسألة « الشرعية الدولية » التي طرحها الدكتور ماهر الشريف في مداخلته فالمسألة هنا ينبغي ان تكون واضحة ، اذ لا يمكن الحديث عن شرعية دولية بمعزل عن موازين القوى ، فالشرعية الدولية ، يمكن ان تستعمل كتعبير اعلامي او تحريضي ، ولكن توصيفها الدقيق اكثر تعقيداً من ذلك . فاين تكمن الشرعية الدولية بالنسبة للمسألة الفلسطينية والصراع العربي - الاسرائيلي ؟

من المنطقي ان نجيب ان الشرعية الدولية تكمن في قرارات الامم المتحدة ، قرارات مجلس الامن والجمعية العامة ، الخاصة بالموضوعين ، الموضوع الفلسطيني وموضوع الصراع العربي - الاسرائيلي . وليس مفهوماً ان نقول ان الشرعية الدولية تتمثل ، على سبيل المثال ، في قرار واحد او قرارين من قرارات الامم المتحدة ، كالحديث مثلاً عن قراري مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ (لعام ١٩٦٧) و٣٣٨ (لعام ١٩٧٣) . فحتى قرارا الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ١٨١ (لعام ١٩٤٧) ، والذي اعتبرته الحركة الصهيونية مدخلاً لاصباغ الشرعية على قيام دولة اسرائيل ، لا تريد اسرائيل الآن ، ولا الولايات المتحدة ، العودة اليه والاستناد اليه ، لانه ايضاً يدعو الى انشاء دولة عربية فلسطينية على ارض فلسطين . وغالباً ما يعتبر الاسرائيليون والاميركيون ان قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة غير ملزمة وغير ذات شأن بالمستوى نفسه الذي ينظرون اليه الى قرارات مجلس الامن ، حيث تتمتع الولايات المتحدة بحق « الفيتو » ، ولكن حتى قرارات مجلس الامن ، التي صوتت عليها الولايات المتحدة أو لم تعارضها ، حتى هذه القرارات (مثل قرارات رقم ٦٥٠ و٦٠٧ و٦٠٨ في مطلع العام ١٩٨٨) لا تريد اسرائيل ان تتعامل معها . وهكذا ، فالشرعية الدولية ، تصبح ، بالنسبة لاسرائيل وبالنسبة للاميركيين ، شرعية مجزوءة وانتقائية ، عندما يتحدثون ، يخصصون قراراً واحداً او قرارين من بين قرارات الامم المتحدة ، ومجلس الامن تحديداً (بعض حكام اسرائيل لا يريدون حتى التعامل مع هذا القرار او هذين القرارين) .

وهكذا فان الصيغة التي اعتمدها المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الطارئة الاخيرة للاساس السياسي للمؤتمر الدولي هي صيغة تخصص للقرارين ٢٤٢ و٣٣٨ ، ولكن مع ربطهما بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، بما في ذلك حقه في تقرير المصير ، وفقاً لقرارات الامم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية . وهذا التخصيص استهدف التعامل الواقعي ، والفاعل في آن واحد ، مع موقف « الاجماع الدولي » - اي الموقف الذي يشمل الموقف الاوروبي الغربي والاميركي من الاساس السياسي للمؤتمر الدولي - انطلاقاً من تقدير لموازين القوى المحلية والعالمية المؤثرة فيها ، ولكن على اساس ضمان الايجابية في المحصلة النهائية ، للحقوق الوطنية الفلسطينية وبشكل أخص حق تقرير المصير والدولة المستقلة . وهكذا يكون الانفتاح الفلسطيني على « الاجماع الدولي » انفتاحاً فاعلاً ، بالاتجاه الذي يلبي تطلعات الشعب الفلسطيني وحقوقه ، وليس بالاتجاه الذي يستجيب ، مثلاً ، للاشتراطات الاميركية المسيئة لصيغة الحل (اشتراط استبعاد الدولة المستقلة ، الخ ...) .

ولكن المسألة هنا سياسية وليست نظرية اوذات طابع مبدئي (اي ان هذا القرار الدولي او ذاك لا يشكل مبدأ بحد ذاته) . وفي كل الاحوال فان العملية كلها عملية نضالية ، وما زالت تحتاج الى مواجهة (سنذوم سنوات عدة) مع التحالف الاميركي - الاسرائيلي لفرض التراجع عليه وفرض اقراره بشرعية الحقوق الوطنية الفلسطينية والعربية ■

دورة الانتفاضة للمجلس الوطني : القرارات الفاعلة في الواقع الدولي

السعودية : حسابات عديدة للمحور الجديد

المحور المصري - الاردني : الاقتصاد اولاً ولكن ..

المحور المشرقي الجديد :

اقتصاد معلن وسياسة مضمرة

بعد الحرب العراقية - الايرانية : العراق بحاجة للخبرات المصرية - الاردنية

■ جهد المسؤولون المصريون والاردنيون في التأكيد على ان التكتل المشرقي الجديد (القاهرة - بغداد - ان - صنعاء) هو تكتل اقتصادي ، لا سياسي ، وانه يفتح ابوابه لكل من يرغب في دخوله . اضف الى ذلك ان الملك حسين قد بذل جهوداً دبلوماسية لازالة المخاوف لدى بعض الدول العربية من هذا التكتل . فقد ذكرت بعض الصحف ان فكرة التكتل عرضت على سوريا التي لم تجبها . كذلك فقد زار الملك الاردني الرياض وتباحث مع الملك فهد ، قبل الاعلان عن قيام التكتل الجديد ، وهناك ما يدعو الى الاعتقاد بان الملك قد طمأن السعودية الى ان التكتل الجديد ليس تكتلاً في مواجهة مجلس التعاون الخليجي .

الاقتصاد اولاً نعم ، ولكن ..

وليس من شك في ان اسباباً اقتصادية قوية قد دفعت اعضاء الكتلة الجديدة الى القيام بحركتهم . فالازمة الاقتصادية التي تعصف بمصر والاردن ليست قليلة الشأن . وسوف يضاعد من حدتها ان ازمة اسعار النفط ما زالت قائمة ، الامر الذي سيفقر مداخيل هاتين الدولتين ويزيد من حدة مشاكلهما الاقتصادية . أضف الى ذلك ان مناخ الانفراج الدولي المتسع قد يقلص من حجم المساعدات الغربية لهذين الطرفين .

وفيما يخص العراق فان اعادة البناء بعد الحرب جعلته بحاجة الى خبرة الشركات الاردنية والمصرية والى رؤوس اموالها . كما انه بحاجة الى الاستمرار في التزود بالخبرة العسكرية المصرية التي ساعدته اثناء الحرب .

اما فيما يخص الشطر الشمالي من اليمن فانه مقبل على عهد من الازدهار النفطي ، ولذا فهو بحاجة الى الدعم والحماية .

أضف الى هذا كله انه قد اصبح من الصعب ، في ظل المناخ الاقتصادي الدولي ، ان تتمكن الدول الصغيرة وحدها من الحصول على تعاون عادل وتجارة أقل ظلماً مع التكتلات الاقتصادية الغربية . ولذا فهي مضطرة الى التجمع ان كانت تريد لنفسها ان تنجو .

... اهداف سياسية

اذن ، فهناك اسباب عديدة من اجل التكتل الاقتصادي ، بين العواصم العربية الشرقية المذكورة ، وهو تكتل محمود في كل حال . الا ان المرء لا يستطيع الا ان يرى اهدافاً سياسية مضمرة وراء التكتل الاقتصادي المعلن وربما جهد المعنيون في هذه العواصم لاخفاء هذه الاهداف او في وضعها الآن ، في المرتبة الثانية . ولكن هذا لا ينفي وجودها . والخطر كل الخطر ان تؤدي تناقضات المشرق العربي الى عكس المعلن ، فيصبح التكتل الاقتصادي تكتلاً سياسياً عمودياً . والكل يعلم ان المحاور السياسية العربية سريعة التغير والتبدل ، بينما يحتاج التعاون الاقتصادي الى الثبات والاستمرار . وقد شهدنا

Digitized by Birzeit University Library

« وحدات » اقتصادية بين بعض دول المشرق . كما شهدنا انهيار هذه الوحدات في زمن قصير . ذلك ان المصالح السياسية القصيرة المدى كانت محرك التعاون الاقتصادي ، لا العكس .

ويمكن للمسرء ، على كل حال ، ان يستنتج ما هو مضمر من الاهداف السياسية المسكتة للمحور الجديد ، لو درس وضع بعض هذه العواصم في اطاره المحيط .

فالقاهرة ، التي مزقت سياستها الاستسلامية في كمب ديفيد الجامعة العربية والتضامن العربي ، تريد الآن ان لا تطوقها المحاور وتتركها وحدها في عزلة منتنة . فما ان تعود الى الجامعة العربية بطريقة شرعية حتى تجد نفسها قد فقدت فرعيتها بهذه العبوة . فمركز القتال صار في التكتلات لا في الجامعة . لذا فقد دارت في الفترة الماضية نقاشات واسعة داخل السلطة في مصر . وكان هناك اكثر من اتجاه ، اتجاه يقول بان على مصر ان تبني هي الاخرى محورها ، محور وادي النيل مع السودان ، وان تترك الآخرين يفعلون ما يشاؤون . واتجاه اخر يرى ان مجال مصر الحيوي هو المنطقة العربية كلها لا وادي النيل ، ولذا بان على مصر ان تتلافى العزلة وان تعمل على اختراق المحاور الموجودة ، بهذه الطريقة او تلك . ويبدو ان وجهة النظر الاخيرة هي التي سادت . فالمحور « الاقتصادي » الجديد هو في الواقع محاولة لاختراق المحاور ، او لعلة بينها ، انه محور المحاور في حقيقة الامر . فمن الجزيرة العربية اخذ اليمن ، ومن الشام اخذ الاردن ومن الخليج العراق ، اما في الشمال الافريقي فقد كانت مصر هي الركيزة .

من يحمي من ؟ وممّن ؟

اما في صنعاء فان الامور أعقد من هذا بكثير . فمنذ ان اعلن عن اكتشاف كميات معقولة من النفط في اراضي البلد ، فان من الصعب تجاهل الوزن المزايد لليمن في المنطقة نتيجة الثراء المتوقع من استغلال الثروة النفطية المتجسرة . والعقبة الوحيدة امام هذا الهدف هي المملكة السعودية . فهي عازمة على خلق عدم الاستقرار في ربوع البلاد اليمنية لمنعها من استثمار ثرواتها النفطية وتطوير دورها السياسي . ذلك ان الشطر الشمالي من اليمن يتغطه وحجمه السكاني الكبير سيكون مؤهلا لان يتفوق على السعودية من ناحية دوره ووزنه .

ويأمل الرئيس اليمني علي عبد الله صالح ان يكون في التحالف الجديد ، غطاء وحماية له من أجل انجاز هذه الطموحات الكبيرة . وليست اسس هذه السياسة بجديدة لدى الرئيس اليمني . فقد كان من اكثر المتحمسين لعودة مصر الى الجامعة العربية في السنوات الاخيرة . كما انه البلد العربي الوحيد الذي ارسل قوات نظامية لمساعدة العراق في حربه ضد ايران . وهو يراهن على ان يجد في العراق هذه المظلة التي قد تحميه من الاطماع السعودية القاضية .

بهذا المعنى فان وراء التعاون الاقتصادي هموم سياسية لا تخفى على العين البصيرة . وبهذا المعنى ايضا ، فان التطمينات ، وان كانت نفعت الآن ، فلا تنفع مستقبلا . فالمملكة السعودية لن تكون مستعدة الخاطر لأن تكون صنعاء في تكتل يضم القاهرة وبغداد . وقد تسعى الى نسج خيوط اخرى لخلط الاوراق والتحالفات والحفاظ على دورها المستتر غير القليل .

لقد حان الوقت ، فعلا ، للتعاون الاقتصادي كما حان الوقت للمساومة الجماعية الاقتصادية مع الدول والتكتلات الغربية . وليس لأحد من اعتراض على قيام هذه التكتلات ، شرط ان لا تكون وسيلة للحرب العربية - العربية .

وفي النهاية لا بد من الاشارة الى ان هذا التكتل الجديد على علاقة بموضوع ازمة الشرق الاوسط . فعضوان من اعضائه ، هما الاردن ومصر ، على علاقة مباشرة بالموضوع . فكيف سيكون موقف هذا التكتل من القضية المذكورة ؟ من المبكر الاجابة على هذا السؤال . فالخارطة السياسية العربية تتعرض في هذه الاونة لاهتزازات كبيرة يصعب التنبؤ بما ستنتهي اليه ■

زكريا محمد

اطلقوا سراح المناضلة سهى بشارة

■ ما زالت قضية المناضلة الشيوعية البطلة سهى فواز بشارة ، التي دخلت الى بيت العميل انطوان لحد قائد ما يسمى بجيش لبنان الجنوبي واطلقت عليه النار ، تأخذ بعدها الوطني .

فمنذ ذلك الحين تستمر مهرجانات التضامن مع المناضلة سهى من أجل اطلاق سراحها . ففي يوم ٢٩ كانون الثاني الماضي أقيم في قاعة الرابطة الوطنية الثقافية ، في طرابلس ، مهرجان شعبي حاشد شارك فيه مختلف قيادات الشمال الوطنية والسياسية والرسمية والنقابية والثقافية والشبابية والنسائية . وقد القي في المهرجان العديد من الكلمات التي اكدت على اولوية معركة التحرير وعلى وضع أقصى الجهود ، في سبيل دعم المقاومة الوطنية ومن اجل انقاذ حياة سهى ورفاقها .

وقد اكد المشاركون في القاء على دور الأمم المتحدة ، وأمينها العام ، في التحرك للافراج عن سهى بشارة والضغط على اسرائيل لتسليمها الى الصليب الاحمر الدولي . وطالبوا المحامين العرب بالتحرك من أجل تسليم سهى الى السلطات اللبنانية الشرعية ، وبادراج قضية الاحتلال الاسرائيلي على جدول اعمال مؤتمر اتحاد المحامين العرب القادم .

ودعا اللقاء نقابتي المحامين ، في بيروت وطرابلس ، لتشكيل لجنة من المحامين والحقوقيين للدفاع عن سهى . وطالب وسائل الاعلام في الشمال بتخصيص فترات من برامجها ليث شعارات تطالب بالافراج عن سهى والتضامن مع المعتقلين والمبعدين . ودعا الادباء والكتاب والمثقفين للاسهام في هذه الحملة .

كما دعا اللقاء الجامعة العربية والاحزاب الاشتراكية في حوض المتوسط لتحمل مسؤولياتهم على هذا الصعيد ، والى انشاء لجان شعبية في الاحياء تسهم في الحملة نصرة للمقاومة الوطنية ، والى انشاء لجنة وطنية مركزية لمتابعة الحملة ، داخليا وعربيا ودوليا .

وفي يوم ١/٣٠ التقى مدير الشؤون السياسية ، في وزارة الخارجية اللبنانية ، السفير صلاح سنينية سفراء الدول الكبرى الاعضاء في مجلس الامن وسلمهم مذكرات ووثائق تتعلق بالوضع في الجنوب اللبناني المحتل وبالمناضلة سهى بشارة وبقية المعتقلين اللبنانيين . وطلب منهم دعم حكوماتهم للافراج عن المعتقلين اللبنانيين ووقف الممارسات التي تقوم بها اسرائيل في مناطق احتلالها في الجنوب ■

قوات الامن المركزي تستعد لاقتحام نقابة المحامين

تجمع للمحامين في حديقة المقر

مصر

١٩ يناير جديد ولكن في نقابة المحامين !

■ وسط أجواء الابتسامات المتبادلة وأصوات طلقات الرصاص اقتحمت قوات الشرطة يوم ١/٢٤ مقر نقابة المحامين في القاهرة لتنهي احداثا عنيفة دامت طيلة خمسة أيام وتقبض على ١٢ محاميا وباشرت بابا قصر النيل في القاهرة التحقيق مع أحمد ناصر وعمومة أخرى مؤيدة له بعد القبض عليهم

كيف بدأت الاحداث؟

منذ فترة والاحداث في نقابة المحامين تتلاحق سريعا بعد اعتراض احمد ناصر ومحمد فهيم على تشكيل مجلس النقابة واستبعادهما عن هيئة المكتب بعد انتخابات عام ١٩٨٥ . حيث قدمت طلبات الى المدعي العام لفرض الحراسة على النقابة وكذلك دعاوى امام المحاكم وانتهت بتشكيل قيادة موازية لمجلس النقابة .

نقطة التفجير كانت يوم ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي بعد تنظيم حملة توقيعات لسحب الثقة من المجلس والنقيب ، خاصة بعد اعتبار محمد فهيم ، المرشح لمنصب نقيب النقابة الفرعية بالقاهرة فوزا المجلس بتقديم نقابة القاهرة الفرعية الى نقابتين هو محاولة لتحجيمه وجعله نصف نقيب وهكذا بدأ أحمد ناصر ومحمد فهيم حملة تعبئة ضد قرارات جمعية ٢٥ تشرين الثاني . وفي الوقت نفسه عقد مجلس النقابة ثلاثة اجتماعات نجب عنها النقيب أحمد خواجة في ٢٠ و٣١ كانون الاول (ديسمبر) و٧ كانون الثاني (يناير) لمناقشة بعض القضايا من بينها طلب سحب ثقة موقع من ٤٩٥ محاميا على رأسهم أحمد ناصر (مجموع أعضاء النقابة ١٨٠ الف عام) وذلك عبر عقد جمعية عمومية غير عادية . ولكن هذا الطلب رفض من قبل مجلس النقابة الامر الذي اثار حنق أحمد ناصر واعلن ان الجمعية العامة ستعقد بالقوة .

وفي هذه الجلسة نفسها طلب بعض اعضاء المجلس ، من بينهم أحمد نبيل الهلالي ود . جلال رجب وعادل عيد وسامح عاشور وضيري مبدى وحسن محمد حسن بان يوجه المجلس بمبادرة منهم الدعوة لعقد جمعية عمومية وغير عادية لمناقشة الميزانية والقرار الخاص بتقسيم نقابة القاهرة والذي لم يناقش في الجمعية العمومية الاخيرة التي عقدت في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) غير ان خلافا ظهر بين اصحاب هذا التقدير حول جدول اعمال هذه الجمعية . وما اذا كان من الضروري ان يشمل سحب او تأكيد الثقة في المجلس وفاء حامد الاهرري اتجاها اخر ، فاز بالاغلبية ، اكد ان الدعوة الى سحب او تأكيد الثقة في مجلس ، لم يعد باقيا على مدته سوى شهرين يحسم بعدها المحامون بالانتخاب قضية الثقة في المجلس ونقيبه واعضائه ، سوف يؤدي الى انشغال المجلس عن مهامه الحقيقة بمعارك جانبية لاقيمة لها .

واعترض نبيل الهلالي على هذا الاتجاه واعتبره استمرارا لمسيح تعميق الخلاف في حين تقتضي دواعي الحكمة ان يحكم المجلس الى جمعية عمومية يحسم فيها الاعضاء بردائهم الحمرة وعبر حوار ديمقراطي هادىء قضايا الخلاف . وتوج نبيل الهلالي موقفه باعلان تجميد عضويته في المجلس ، بينما رفض باقي الاعضاء الذين شاركوه الرأي هذا الموقف واعتبره خروجا على مبدأ التزام الاقلية برأي الاغلبية

وتم تتويج هذه الاجتماعات باجتماع اخير مع رؤساء النقابات الفرعية ، يوم ١٨ كانون الاول (يناير) السابق على الاحداث ، اتخذ فيه رؤساء النقابات الفرعية قرارا بالاجماع بعدم مشروعية اجتماع ١٩ فبراير مع ضرورة عدم التصدي لفعله بالقوة وعدم دعوة المحامين للحضور حتى لايتحول الامر الى صدام ، وعدم منع اي محام من دخول النقابة حتى في ذلك اليوم

شرارة الاحداث

ظهر يوم ١/١٩ ، تجمع أنصار أحمد ناصر في الحديقة ، ووقف أحد ناصر على السد الحراسي ممسكا بميكرفون هاتفا ضد النقيب والمجلس ، وحاول بعض أعضاء مجلس النقابة منعه فلم يفلحوا وعندما وصل أحمد الخواجة ، نقيب المحامين ، الى المقر وحاول التحدث منعه انصار أحمد ناصر عبر الهتافات والميراتيه . ياحرامية ، فنادر الخواجة الحديقة الى مكتبه ، بينما افتح أحد ناصر الجمعية العمومية ودعا الى التصويت على سحب الثقة من المجلس بالتوقيع على كشوف معدة ثم اعلن أخيرا أن الجمعية العمومية قد شكلت مجلس نقابة مؤقت برئاسة د . محمد عصفور وعضوية د . حلمي مراد وكيلا اول وابراهيم عبد الغني سالم وكيلا ثانيا ود . سعد واصف امينا للصندوق . وكانت عملية الاقتراع مازالت مستمرة وبعد نصف ساعة اخرى اعلن احمد ناصر ان اللجنة المؤقتة سوف تصل في الساعة الخامسة ، وبعدها بقليل اعلن قرار جديد للجمعية العمومية بالغاء قرارات جمعية ٢٥ نوفمبر بزيادة رسوم الطوابع والرسوم وتقسيم نقابة القاهرة . واستمر هذا المشهد حتى قرابة الساعة السادسة حين اعلن احمد ناصر عن تشكيل لجنة اخرى ، بعدما ترده عن اعتذار اللجنة الاولى ، برئاسة د . عبد الله رشوان . قبلها بقليل كانت محاولات اقتحام المبنى العلوي قد بدأت وجرى الاعتداء على المحامي امير سالم الذي نقل الى المستشفى ، كما جرت بعض محاولات الاعتداء على المحاميين علم الدين زلط وسيد عبد الغني . وجرت محاولات لاستدعاء الامن للتدخل على الاخص بعد اقتحام المبنى العلوي ، عن طريق الباب الخلفي للحديقة ، واطلاق رصاصات في

Digitized by Birzeit University Library

الهواء وعلى الباب . وبعد ان ابلغ سامح عاشور النقيب ان احمد قد وضع سدسه في صدر صبري مبدى سكرتير عام النقابة وهدده بالقتل مالم يغادر مكتبه امام تأزم الوضع واقتحام أنصار أحمد ناصر للمقر الداخلي والطوابق العلوية للنقابة وتحول مكتب نقيب المحامين الى منصة خطابة ومحاولة إجبار أحمد الحواجة على توقيع استقالة المجلس بالاكراه ، ولكن الامر لم ينجح وعندئذ بدأت مشادة أطلق فيها الرصاص بعد اطلاق الرصاص وإصابة مساعد في قوى الامن ، تدخلت قوات الامن المركزي واقتحمت النقابة واعتقلت أحد ناصر ومجموعة من انصاره .

أبعاد الصراع

لماذا تم هذا كله ؟ هذا السؤال اصبح مطروحا بعد هذه الاحداث ، خصوصا وان الاقطاب الرئيسيين للصراع يتمتون جميعا لحزب الوفد (احمد ناصر ، محمد فهيم ، احمد الحواجة ، حامد الازهري ، عصمت الهواري ، محمد علوان ، احمد عوده) كما ان النقيب المؤقت د . محمد عصفور هو عضو الهيئة العليا للوفد . بعض المصادر المطلعة افادت بان ما جرى هو تعبير عن وجود بعد وفدي في الصراع حيث ان احمد الحواجة رفض منصب نائب رئيس الحزب وعضوية اللجنة العليا معتذرا بالطابع الذي يفرضه عليه منصب كرئيس لاتحاد المحامين العرب ونقيب المحامين المصريين مما اعتبره خصومة نوعا من التعالي على حزب الوفد وعلى المنصب وحاولت للظفر على منصب رئاسة الحزب مباشرة ، وبالتالي قاموا باحداث 19 يناير لأبراز وجه وفدي اكثر للحواجة والنقابة اوتحجيمه . وقد تعززت هذه الانباء عندما رفضت الهيئة العليا للوفد مناقشة احداث نقابة المحامين .

ما جرى كله يؤشر على وضع خطير ، ففي السنوات الماضية حدث الاقتحام الاول لنقابة المحامين من جانب رجال الحزب الوطني ، ثم حدثت ازمة الخلاف على منصب نقيب التجاريين مما ادى الى شلل النقابة لعدة سنوات ، وهناك قضية السياتيين وفرض القوانين عليهم بالقوة . . . ووسط هذا كله يتبادل الجميع التهم من تزوير الانتخابات النقابية الى التشكيك بالذمم المالية . هذا كله يؤشر على ميول متزايدة لخمس الصراعات خارج إطار الصراعات الديمقراطية النقابية . ولكن هل هذه الميول معزولة عن الاطار السياسي العام في البلاد ؟ كل المؤشرات تشير الى ان ما حدث في نقابة المحامين هو نتيجة منطقية لما يحدث في الانتخابات الاكثر في البلاد حيث يتم تزوير نتائج انتخابات مجلس الشعب والانتخابات الفرعية و . . . وهكذا تصل لغة القمع والتزوير الى داخل النقابات فتشلها وتجمدها وسط فرح مكتوم من السلطة الحاكمة التي هددت سابقا بمنع المعارضة من الوصول الى الحكم حتى لو تم هذا الامر بشكل ديمقراطي ! ■

المحامون اليساريون : كل الجهود لانقاذ النقابة

■ اصدر المحامون اليساريون (يمثلون حركة التجمع والناصريين والماركسيين) بيانا حول ازمة نقابة المحامين ، يوم ١/٢٤ ، جاء فيه :

« اننا نرفض ونستنكر كل الاساليب المنافية للديمقراطية والمزيفة لادارة المحامين التي مورست في ٨٨/١١/٢٥ و ١٩٨٩/١/١٩ بطالب بتصحيحها فورا .

كما اننا ندين اي محاولة للمساس بقومية النقابة لان نقابة المحامين يجب ان تظل نقابة لكل المحامين لا يجوز ان تكون حكرا لحزب سياسي او تيار عقائدي او سياسي ايا كان .

اننا ندين ايضا كل محاولات حسم الخلافات النقابية بالعنف ايا كان من يمارسه ودخيلة على تراث وتقاليد نقابة المحامين .

اننا نرفض وندين كذلك اي عدوان على الشرعية سواء وقع من السلطة او من لفيف من المحامين كما نرفض ونندين في الوقت نفسه اي ابتهال للشرعية حتى لو صدر من مجلس النقابة الشرعي .

اولا : مناشدة جميع الاطراف التوقف فورا عن ممارسة التصعيد المتبادل .

ثانيا : قيام مجلس النقابة فورا بتحديد اقرب موعد لانعقاد جمعية عمومية تكرس لانتخاب مجلس جديد واختيار لجنة محايدة لا ترقى اليها شبهة الانحياز للاشراف على كامل العملية الانتخابية وادارتها .

ثالثا : يجدد مجلس النقابة ، منذ الآن ، موعد لانعقاد جمعية عمومية لاحقة تكرس لاقرار الميزانيات التي لم يسبق عرضها على ان تنشر على المحامين فورا . وكذلك اعادة مناقشة تقسيم نقابة القاهرة وزيادة الاشتراكات ورسوم القيد والدفعات .

رابعا : يصدر مجلس النقابة قرارا ، في حدود ما يملكه المجلس ، بتجميد تنفيذ قرارات ١٩٨٨/١/٢٥ لحين البت فيها بمعرفة الجمعية العمومية . ■

اجتماعات اللجنة المغاربية : اتفاق وخلاف

■ عقدت في تونس ، يومي ٢٥ و١/٢٦ ، الدورة الثالثة من اجتماعات اللجنة المغاربية العليا برئاسة رئيس وزراء تونس هادي البكوش للتوصل الى حل وسط بشأن المؤسسات المقترحة لاتحاد بين دول المغرب العربي .

ورفعت اللجنة ، في ختام اجتماعاتها التي استمرت يومين ، توصيات الى القمة المغربية ، التي ستعقد في نهاية كانون الثاني في المغرب ، على الرغم من انه لم يصدر اي تأكيد رسمي لذلك الموعد .

وابلغ رئيس الوفد الليبي الرائد الحويلدي الحميدي ، الجلسة الافتتاحية قوله ان ليبيا كانت تود استضافة مؤتمر القمة المقبل ، كبادرة على تضامن المغرب العربي في مواجهة عدوان وغطرسة الولايات المتحدة .

اضاف « ان شعوبنا تتوقع منا مبادرة جديدة لمصلحة الوحدة . ونحن واعون ان الاجتماع سيتيح التوصل الى مفهوم عملي يجد هذا الخلل الاعلى » .

واتفق الحميدي مع البكوش ووزراء خارجية الجزائر بوعلام بسايح ، والمغرب عبد اللطيف الفيلالي، وموريتانيا محمد سيدينا ولد سيدينا ، على التأكيد على انه « لن تترك اي مسألة عالقة » .

وقال بسايح انه « سيتم تخطي كل العراقيل بفضل الارادة السياسية الحسنة التي تحرك دولنا وبعد الاخذ في الاعتبار التحديات الاقتصادية التي تنتظر دول المنطقة في السنوات المقبلة » .

واوضح رئيس الوزراء التونسي ان الوفود ناقشت مشروعا قدمه المغرب ينطلق من النتائج التي وردت في تقارير اللجان القطاعية المغربية . وكانت اللجنة الفرعية الخاصة بالجمارك والمالية اجتمعت في الرباط في ايلول الماضي بينما اجتمعت في الشهر نفسه اللجنة الاقتصادية في الجزائر واللجان الاجتماعية والانسانية والامنية في تونس واللجان الثقافية والاعلامية والتربوية والتعليمية في نواكشوط واللجان البنيوية في طرابلس .

واضاف البكوش انه سيتم « افناء » خلاصة هذه التقارير . مضيفا ان المغرب سيقدم في اجتماع تونس اقتراحا حول مسألة هيكلية الوحدة المغربية المتوقعة .

ويشير مشروع النص الذي اعدته اللجنة الفرعية المجتمعة في طرابلس الى « مجموعة دول المغرب » التي تتمتع بمجلس لرؤساء الدول ومجلس وزراء ومجلس استشاري اضافة الى عدد من اللجان الوزارية المتخصصة .

وذكر دبلوماسيون مغاربة انه في جلسة مغلقة ، عقدت في وقت لاحق ، يوم ١/٢٥ ، قال البكوش ان تونس ترى انه ينبغي على الدول الخمس توقيع معاهدة تضفي الصفة الرسمية على اتحاد المغرب العربي .

نتائج الاجتماعات

وفي نهاية الاجتماعات اتفقت دول المغرب العربي الخمس ، من حيث المبدأ ، على اقامة اتحاد بينها ، ولكنها بقيت مختلفة بشأن شكل الاتحاد والمؤسسات الاتحادية التي تنبغي اقامتها .

واعلنت اللجنة المغاربية التي تضم وزراء ومسؤولين من تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وليبيا في ختام اجتماعها في تونس خططا مبدئية للاتحاد بعد يوم من المحادثات بشأن السرعة والخطوات التي يجب قطعها من اجل جعل هذا الاتحاد واقعا .

وطلب اعضاء اللجنة من تونس وضع مسودة معاهدة تأسيسية لعرضها على اجتماع قمة للدول الخمس ، يتوقع ان يعقد في ١٥ شباط المقبل ، حسب ما تقول صحيفة « لوبينيون » المغربية .

وقال بيان ان المعاهدة ستعرض اطار عمل لاحراز تقدم نحو الاتحاد واقامة مؤسسات الكيان الجديد الذي سيحمل اسم « اتحاد المغرب العربي » .

وقال دبلوماسيون من دول المغرب الخمس ان نتائج اجتماع تونس تمثل انجازا ملحوظا نظرا لأنها المرة الاولى التي تطرح فيها الدول الخمس خططا ملموسة .

وقد اصبح هذا ممكنا بفضل التحسن الاخير في العلاقات في المنطقة وخصوصا في ما يتعلق بمشكلة الصحراء الغربية .

وقد شكل زعماء الدول الخمس في اول اجتماع قمة لدول المغرب في حزيران الماضي اللجنة العليا للمغرب وهي اللجنة التي اجتمعت في تونس امس الثلاثاء .

ويفضل المغرب والجزائر شكلا من اشكال الاتحاد من دون هيئة مركزية على غرار المجموعة الاوروبية .

بينما تقول تونس ان اتحادا يقوم بغرامة دائمة لن يكون له معنى في حين تريد ليبيا اتحادا سياسيا سريعا كخطوة اولى نحو تحقيق هدفها بالقاهرة وحدة عربية .

وقال الدبلوماسيون ان من غير المؤكد ما اذا كانت تونس ستذهب في صياغتها للمعاهدة ابعد من المقترحات الواردة في ورقة عمل مغربية . واضافوا قولهم ان الوثيقة المغربية التي كانت اساس محادثات تونس لا تقترح سوى عقد مؤتمرات قمة لدول المغرب العربي على فترات منتظمة وتشكيل مجلس للوزراء يتم التناوب على رئاسته .

وذكروا ان المسودة التونسية للمعاهدة التأسيسية ستأخذ من ورقة العمل المغربية نقطة انطلاق لها وتقوم بتعديلها بحيث تشمل الملاحظات التي ابدتها الوفود الخمسة .

وقال مندوبون في اجتماع تونس انهم لا يعرفون متى ستعقد القمة المقبلة لدول المغرب الخمس .

وذكرت صحيفة « لوبينيون » المغربية ، يوم ١/٢٥ ، ان اجتماع القمة سيعقد في مدينة مراكش المغربية في ١٥ شباط . وذكرت الوكالة الجزائرية للانباء ان وزير الخارجية المغربي عبد اللطيف الفيلالي وصل الى الجزائر ، يوم ١/٢٧ ، حاملا رسالة من الملك الحسن للرئيس الشاذلي بن جديد .

وقال الفيلالي ان اجتماع اللجنة المغاربية العليا كان بناء للغاية وان نتائجه ستعرض على قمة وشيكة لزعماء دول المغرب العربي الخمس .

ونقلت الوكالة عنه قوله ان الجميع مدركون للظروف الصعبة الحالية والتي تتطلب من زعماء دول المغرب اتخاذ قرارات ومبادرات لمواجهة التهديدات المشتركة .

في الرباط قالت وكالة « فرانس برس » نقلا عن مراقبين ان التحضيرات للقمة المغاربية التي تضم قادة دول ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا تطرح على ما يبدو مشكلات في الصيغة والمضمون .

وكانت صحف مغربية عدة اشارت في وقت سابق ، قبل لقاء تونس الى تاريخ ١٩ و٢٥ كانون الثاني الجاري ثم تحدث وزير الخارجية المغربي عبد اللطيف الفيلالي بعد ذلك عن « نهاية الشهر الجاري » كموعد لعقد القمة .

لكن صحيفتي « الاتحاد » و« لوبينيون » رأتا ان القمة ستعقد في ١٥ شباط المقبل .

واكد ، يوم ١/٢٧ ، بيان قصير لوزارة الخارجية المغربية ان اللقاء « سيعقد في مراكش في المغرب » من دون ابداء ايضاحات اخرى كما زاد في التشكوك حول هذا الموضوع . وتساءلت صحيفة « البيان » المغربية المعارضة في تعليق لها امس عن الاسباب التي تدعو الى « المماطلة » في عقد القمة ■

الهادي البكوش : التوصل الى حل وسط

بسايح : تخطي العقبات

Digitized by Birzeit University Library

الاتصال الاخير قبل القمة السوفيتية - الصينية

قام وزير الخارجية السوفيتي ادوارد شيفارنادزه ، يوم ١/١ ، بزيارة رسمية الى بكين استغرقت ثلاثة ايام تشكل الاتصال الاخير قبل القمة بين العملاقين الشيوعيين المقررة في الربيع المقبل.

وشيفارنادزه هو وزير الخارجية السوفيتي الاول الذي يقوم بزيارة الى الصين منذ ثلاثين عاما. وافادت مصادر سوفيتية مطلعة لم يكن انه من المقرر ان يعمل على التحضير للزيارة الرسمية التي سيقوم بها الرئيس السوفيتي ميخائيل غورباتشوف الى نيسان (ابريل) او ايار (مايو) المقبلين.

وستكرس قمة غورباتشوف مع الرجل القوي في الصين دنغ هسياوبنغ وزعيم الحزب الشيوعي زهاو زيانغ التطبيع الكامل للعلاقات السوفيتية - الصينية بعد تحويرج قرن من شقاق عميق ناجم عن خلافات ايديولوجية وجيوستراتيجية.

وزيارة شيفارنادزه الى بكين تأتي بعد زيارة قام بها نظيره الصيني كيان كيشن الى موسكو في كانون الاول الماضي.

رونالد برلون : الرئيس الجديد للحزب الديمقراطي الامريكي

تأكد المحامي الاسود رونالد برلون المغرب من القس جيسي جاكسون ، يوم ١/٣٠ ، من انه سيصبح الرئيس الجديد للحزب الديمقراطي بعد سحب ترشح اخر منافس له هو النائب السابق لولاية اوكلاهوما جيمس جونز.

وسيكون برلون بذلك اول اميركي اسود يترأس احد الحزبين الكبيرين في الولايات المتحدة.

ويذكر ان جونز هو رابع مرشح ينسحب من السباق على رئاسة الحزب اذ بات مؤكدا ان برلون يحظى بتأييد غالبية الاصوات في اللجنة الوطنية الديمقراطية (الهيئة القيادية للحزب) ، ومن المقرر ان تجري الانتخابات في العاشر من شباط (فبراير).

وكان برلون (٤٧ سنة) ترأس وفد القس جاكسون الى مؤتمر الحزب الديمقراطي في اتلانتا (جورجيا) الصيف الماضي. وهو احد المعاونين السابقين للسناتور ادوارد كينيدي وحظي بتأييد هذا الاخير وكذلك بدعم حاكم ولاية نيويورك كاريو كيومو وعدد من الشخصيات المؤثرة في الحزب الديمقراطي.

اليابان تقترح تنظيم مؤتمر دولي حول التجارب النووية

افادت وكالة الانباء اليابانية ، يوم ١/٣٠ ، ان اليابان تنوي تنظيم مؤتمر دولي حول التحقق من التجارب النووية في باطن الارض في نيسان (ابريل) المقبل وعرض هذه المبادرة على الامم المتحدة.

واوضحت الوكالة ان رئيس الوزراء الياباني تويوري ناكيشيما سيعرض اقتراح بلاده تنظيم هذا المؤتمر بدءا من ١٧ نيسان (ابريل) على الامين العام للامم المتحدة خافيير بيريس ديكويار خلال اللقاء المقبل بينهما في نيويورك.

واضافت الوكالة ان اليابان تأمل في ان يشارك في المؤتمر خبراء من نحو ٣٠ دولة بينها الاعضاء السوفييتي ودول حلف وارشو ومن المتوقع ان يستمر المؤتمر ستة ايام وان تقام في اطاره سلسلة من الحلقات الدراسية تعقد في طوكيو وماساشيرو وكيوتو.

باباندريو يعلن « الهجوم المعاكس » الاشتراكي

وجه رئيس الوزراء اليوناني اندرياس باباندريو ، يوم ١/٢٩ ، نداء ملحا الى الناشطين الاشتراكيين من اجل ان يبدأوا « الهجوم المعاكس » للحزب الاشتراكي الحاكم (باسوك) لاحراز « نصر جديد » في الانتخابات التشريعية المقبلة في حزيران (يونيو) المقبل.

وفي خطاب طويل القاه امام اكثر من ثلاثة الاف ناشط اشتراكي اجتمعوا للمؤتمر المقبل للحزب هاجم باباندريو المعارضة بقسوة واتهمها باستخدام « اسلحة اليأس الاخيرة » ضد حكومته وضده واشار الى ان « النهمة والتهور والفضيحة وصدم الاسقرار جميع اسلحتهم ووحة ويديها القصير النتمي »

ووصف باباندريو زعيم المعارضة المحافظة كونستانتين ميتسوتاكيس بـ « مفجر متعمد لعدم الاستقرار ». واعلن اخيرا ان المؤتمر المقبل للحزب الذي سيحدد البرنامج الانتخابي الاشتراكي سيعقد في النصف الاول من نيسان (ابريل) المقبل.

انتخاب سامبايو امينا عاما للاشتراكي البرتغالي

انتخب جورجي سامبايو ، وهو محام في التاسعة والاربعين من عمره ، امينا عاما للحزب الاشتراكي البرتغالي في ختام مؤتمر طارىء للحزب عقد في لشبونة ، في منتصف الشهر الماضي.

ونال سامبايو ٦٢٫٧ بالمائة من اصوات المندوبين البالغ عددهم ١٥٠٠ شخص في حين كانت النسبة التي حازها منافسه الاساسي جايمي غاما ٣٧٫٧ بالمائة. وخلف سامبايو ، في هذا المنصب ، فيتور كونساتينو الذي استقال في ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) الماضي بعدما تولى الامانة العامة للحزب طيلة عامين. وقد انهم كونساتينو ، بوهمه ، حاتيا من القيادة الحزبية به « نقص التصاص ».

وسامبايو هو الامين العام الثالث للحزب منذ ان اسسه في العام ١٩٧٣ ماريو سواريز وتولى قيادته الى حين انتخابه رئيسا للجمهورية في ١٩٨٦.

اوروبا والدور المطلوب

ضوء

منذ بيان قمة البندقية عام ١٩٨٠ اصبح الموقف الاوروبي من حل قضايا الصراع في الشرق الاوسط يتميز بالتذبذب والتراجع ، وبقي كذلك حتى اندلاع الانتفاضة الباسلة في الارض المحتلة حيث لمس تفاوت في مواقف الدول الاوروبية الاثنتي عشرة بعد ان كانت مواقفها تتأثر بدرجة ملموسة بالموقف الاميركي . ولمس هذا الامر في لقاء مدريد الاخير بين وزراء خارجية اليونان واسبانيا وفرنسا ، حيث اكد الوزراء على عزمهم لعب دور رئيسي في دعم انعقاد المؤتمر الدولي لحل ازمة الشرق الاوسط . وكانت بعض العواصم الاوروبية قد انتقلت بمواقفها خطوات الى الامام مثل النمسا والسويد وفنلندا اللواتي استقبل رئيس اللجنة التنفيذية ل.م . ت . ف . وكما حدث مع وزير الخارجية البريطاني ووزير الدولة للشؤون الخارجية اللذين اعلنا موقف جريئة تخالف مواقف رئيسة الوزراء مارغريت تاتشر.

واذا كانت دول المجموعة الاوروبية قد صوتت في جنيف ، يوم ١٤ كانون الاول الماضي ، على القرار الخاص بالمؤتمر الدولي ومبادىء حل المسألة الفلسطينية ، الا ان ايا من هذه الدول لم تصل بمواقفها الى حد الاعتراف بدولة فلسطين المستقلة . ومها كانت أسباب هذا الامتناع فان الدول الاوروبية مطالبة فعلا بدعم الجهود الرامية لعقد المؤتمر الدولي الفعال لحل ازمة الشرق الاوسط ، وهذا الدعم يحتاج في البداية الى الاعتراف الواضح بدولة فلسطين وحقوق شعبها والا سيبقى الموقف الاوروبي يتأرجح كما كان سابقا وسيبقى لاهثا وراء الموقف الاميركي من حل ازمة الشرق الاوسط.

التوترات بين الشرق والغرب في العالم الثالث

■ نشرت مجلة « الشؤون الدولية » السوفيتية في عددها الحادي عشر ، الصادر عام ١٩٨٧ ، مراجعة لكتاب « التوترات بين الشرق والغرب في العالم الثالث » تأليف غليب ستاروشنكو ، العضو المراسل في اكاديمية العلوم السوفيتية وجورجي كوجيكيوف ، المرشح في العلوم الاقتصادية . وننشر « الحرية » ترجمة هذه المراجعة ■

■ هذا الكتاب هو مجموعة من المواد المعدة للدورة السبعين للجمعية الاميركية **American Assembly** وهي مركز ابحاث في جامعة كولومبيا ، أسسها عام ١٩٥٠ الرئيس دوايت ايزنهاور ، وتضاع فيها مختلف جوانب السياسة الخارجية الاميركية . يشارك في دوراتها ، التي تعقد عادة مرتين في السنة ، مختصون من الولايات المتحدة وبعض البلدان الاخرى .

كان متفقا عليه في الدورة السبعين للجمعية الاميركية ، انه ، حتى وقت قريب لم يول اهتمام كاف في الغرب ، وفي الولايات المتحدة خصوصا ، لدراسة المناقضات في العالم الثالث نفسه ، ولمدراسة الصراعات التي تنشأ بين الدول المطلق حول البلدان الثامة ، قال مارشال د . شولتان ، مدير معهد افريبل هاريمان للدراسة المتقدمة للاتحاد السوفيتي ، لكن « الصراعات ، التي تنشأ في العالم الثالث ، احيانا ، يشكل لا يمكن التنبؤ به وتشكل منفجر ، تبدو أقرب من نقاط تقاطع المصالح في اوروبا ، لدفع الدولتين العظميين الى المجابهة الخطرة فيما بينها ، الدولتين ، اللتين تعلمتا عبر العقود من السنين ، معالجة ذلك بالكثير من الحيطة » (ص ٥) .

ان العلم والدعاية البرجوازيين ، اذا ما اعطيا الاسباب للصراعات والازمات العسكرية والسياسية ، التي تنشأ دوريا في البلدان النامية ، يلفتان ، اذا ما تحدثا بشكل عام ، الى اسطورة « التوسع السوفيتي » . وافيما هذه الاحداث المنذرة بالخطر والمأساوية ، احيانا ، تنتج بالدرجة الاولى عن الاوضاع بالغة الصعوبة ، التي تعيش فيها هذه البلدان النامية بسبب استغلال الغرب الوحشي لتلك الامم .

كما اعلنا في الدورة السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي « الظرف المؤلم المحيط بالبلدان النامية هو مشكلة رئيسية ذات نطاق عالمي . انه ، لا غيره ، هو سبب الكثير من الصراعات في اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية . تلك هي الحقيقة ، مهما جهدت الاوساط الحاكمة في الدول الامبريالية في استخدام « يد موسكو » ، كي تبرىء بذلك سياستها الاستعمارية - الجديدة ، واطماعها الشمولية » .

اذا وضع المرء ذلك في اعتباره ، فمن الصعب ان يتفق مع قول شولتان المتعلق بكون الصراعات في البلدان النامية « لا يمكن التنبؤ بها » . الكثير من تلك الصراعات يمكن ان يتنبأ بها المرء لانها بمثابة ، رد فعل منطقي من جانب الشعوب على القفر والاضطهاد الواقعين عليها وعلى الدخل الدول العربية في شؤونها . ثمة مثال قريب فاقع هو نيكاراغوا . ان انتفاضة الشعب النيكاراغوي الثورية ضد الدكتاتور سموزا ، المدعوم من الاميركيين كان يمكن التنبؤ بها ، مثلما كان يمكن التنبؤ بالافعال ، التي تقوم بها هذه الدولة ، كي تدافع عن مكاسبها . لكن ماذا يمكن ان يحدث في العالم ، اذا لجأت الادارة الاميركية الحالية الى العدوان المكشوف ؟ ذلك ما لا يمكن التنبؤ به مطلقا .

تحدد المؤلفون مصدر الكثير من الاخطاء الجدية المرتكبة في السياسة الاميركية تجاه اميركا اللاتينية بإيراد رأي ، طرحه في الثلاثينات مساعد لوزير الخارجية عن الشؤون اللاتينية - الاميركية . ادعى ، ان الولايات المتحدة ، مسترشدة بعقيدة مونرو (مبدأ مونرو) حاولت رعاية لدرجة كبيرة تقليص النفوذ الاوروبي في اميركا ، بدلا من ان تحاول توسيع حدودها او الدفاع عن توقيفاتها . اذا استبدلنا اليوم كلمة « اوروبي » بكلمة « سوفيتي » ، يقول البروفسور في جامعة هارفارد ، يورغي اي . دومينجز ، فان بقية عناصر السياسة الاميركية في هذا الجزء من العالم ، والاخطاء المرتكبة في تلك السياسة ، تظل هي نفسها كما في السابق . وبذلك يصل المؤلف الى نتيجة ، هي ان « الخطر الرئيسي على المصالح الاميركية في نصف الكرة ، هو الاستمرار في تبنيان ما هي الاخطاء الاساسية التي ارتكبت في السياسة الاميركية » (ص ٧٧) .

دومينجز نفسه ، الذي يرى ان دعم الولايات المتحدة للكونترا ضد نيكاراغوا كان عودة رد على أفعال الاتحاد السوفيتي وكوبا ، يقبل مع ذلك ، ان نيكاراغوا الثورية لا تهدد ، ولا يمكن ان تهدد ، الامن الاميركي ، ولا أمن اي من جارات الولايات المتحدة ، خصوصا ، لان الولايات المتحدة تستطيع ان تقطع الطريق على اي خطر باستخدام القوة ، اويلهاوطوس (ص ٧٥) . في هذا المجال لم يتكر ان نيكاراغوا لا تتمتع بأي دعم عسكري مباشر من الاتحاد السوفيتي ، وانها تتلقى بالدرجة الاولى مساعدة اقتصادية من البلدان الاشتراكية (ص ٦٦) .

يجب التنويه بان مؤلفي الفصلين ، الاول عن صراعات الشرق والغرب في آسيا (استاذ في جامعة نيويورك ، ومصرعجلس جامعة كولومبيا ، ونوالد س . راغوبرا) ، وفي افريقيا (استاذ في كلية الحرب الجوية في قاعدة ماكسويل للقوات الجوية ، ورئيس تحرير سابق لمجلة « مشكلات الشيوعية » الصادرة عن الوكالة الاميركية للمعلومات ، دافيد ا . اليرايت) ، يتبنيان الافكار القائلة بان كفاح التحرر الوطني للشعوب يستخدم وسيلة لدى الاتحاد السوفيتي كي يوسع دائرة نفوذه . الواقع ان الاتحاد السوفيتي ، هو اكثر من عمل باستمرار من اجل احد المبادىء الاساسية للعلاقات الدولية ، الا وهو مبدأ حق تقرير المصير للشعوب . ان مبادرة الاتحاد السوفيتي « هي جعلت الامم المتحدة تصدر في الدورة ٣٩ لجمعيتها العامة قرارا يدعم قبول ارهاب الدولة واسقاط الحكومات القائمة من الخارج . الولايات المتحدة هي التي صوتت ضد القرار .

لكن ليس هذا ما يميز الكتاب عن أدبيات السياسة العالمية الاخرى . الاهم تأتي « بالدرجة الاولى ، من كون المؤلفين عندما يعالجون مسائل عديدة متعلقة بالتعارض بين النظامين يبدون شيئا من الموافقية ومن

Digitized by Birzeit University Library

التفكير السياسي الصحافي ، رغم انهم يستخدمون التعابير الخرافية - السياسية التي اعتادها القارىء الامريكي .

يكت شولمان ، مثلا ، ان لمنة عاملا اساسيا ، عقدنا للسياسة الدولية ، تشأ في السنوات التي تلت مباشرة ظهور الاسلحة النووية ، وهو وجود تطبيق في العالم ، وجود « دولتين عظميين » نوويتين . لكن عندما اكتسبت حركة الاستقلال الوطني في بلدان العالم الثالث زخما حل محل الثنائية القطبية تعددية قطبية اقليمية . بدأت الاحداث تتطور وفق قوانينها الداخلية وتفعست الى حد كبير فرصة الدول العظمى في التأثير عليها (ص ٧) . هذه نتيجة مهمة جدا ، انها تفند في جوهرها (ولو بشكل غير مباشر) الطرح بان الاتحاد السوفييتي هو المسؤول عن كل التغيرات ، تقريبا ، الحاصلة في البلدان النامية ، وغير المرضية للغرب . لكن يصل المؤلفون الى ما هم فكرة ، عندما يقولون . ان للاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة مصلحة مشتركة في تلافي المجابهة المباشرة فيما بينها ، التي يمكن ان تحدث بسبب الصراعات التي يمكن ان تنشأ في البلدان النامية . وكذلك فانه مصلحة مشتركة في عدم انتشار الاسلحة النووية في تلك البلدان (ص ٤٢ - ٤٣) .

الفصل الختامي ، الذي هو في الواقع التقرير النهائي الذي وافق عليه المشتركون في الدورة السيمن للجمعية الامريكية ، ينوه بان الامم الغربية يجب ان تعمل على الامن ، بان تعمل بالدرجة الاولى على الحد من نمو الترسانة النووية ، والحفاظ على اقل مستوى ممكن لميزان القوى في منطقة الاسلحة النووية ، وكذلك على اقامة علاقات مع الشرق في العالم الثالث ، من شأنها ان تمنع تطور الصراعات المسلحة . كلا الطرفين ، يمكن ان يخسرا اذا اتسعت الصراعات ، او سويت من دون عنف » (ص ٢٢٥) .

يعلن المؤلفون ان « الاتحاد ، الذي يجب ان نعمل فيه ، هو ان تكسب قبولا عاما لمبدأ عدم التدخل بالقوة ، أكان ذلك لاحداث تغيير سياسي ، ام لمنع حدوثه ، فتطلع شعوب العالم الثالث تحكيم عملية التغيير دون عنف ، غير انهم الحظوا في الوقت نفسه نبوءة متشائمة الى حد ما ، مفاد ما ان ، وقتا طويلا قد يمضي قبل ان يكون الاتحاد السوفييتي او الغرب مستعدين للتحرك في هذا الاتجاه » (ص ٢٢٥) . اضافة الى ذلك وضع المؤلفون ظلما البلدان الغربية والاتحاد السوفييتي في مستوى واحد رغم ان الاتحاد السوفييتي لايبدي فقط ضبط النفس والمسؤولية في كل حالة صراع ، وانما يحاول ايضا ، بنشاط ، خلق نظام منطقي للامن الدولي .

ان اعتراف الباحثين الامريكيين ، من حيث المبدأ ، بامكانية منع المجابهة المسلحة بين الشرق والغرب ، يسمح لنا بالنظر الى الكتاب كدليل على درجة من التقدم في مواقف الاسرة العلمية الامريكية ، وعلى الاتجاه المتزايد للبحث عن طرق ووسائل واقعية لحل حالات الصراع ■

زلزال طاجكستان

الكارثة دفنت قريتين بسكانهما

■ مأساة جديدة شهدتها اراضي الاتحاد السوفييتي حين وقع زلزال مدمر في جمهورية طاجكستان ، يوم ٢٣/١/٤ ، أدى الى مقتل المئات من السكان ودفن قريتين كاملتين بسكانهما بسبب الانهيارات .

وقال زين الدين نصر الدينوف ، رئيس وكالة أنباء طاجكستان الرسمية ، عن طريق الهاتف من دوشانبي عاصمة الجمهورية ، انه عاد لتوه من مكان الكارثة وان المشهد هناك « مأساة لاتوصف » . واضاف قائلا ، ان قرية شاوروا دفنت بأكملها تحت الطين . ويستخدم هؤلاء الحفارات ومعدات رفع الانقاض . وعندما سئل نصر الدينوف هل هناك اي امل بالعثور على ناجين بين سكان القرية الذين يقدر عددهم بنحو ٦٠٠ نسمة؟ قال « لاأحد نجا » . وأردف قائلا ان قريتين اخريين لحقت بهما اضرار كبيرة بسبب الزلزال الذي بلغت قوته سبع درجات على المقياس السوفياتي المؤلف من ١٢ نقطة عند مركزه الذي يبعد ٥٠ كيلومترا جنوب غربي دوشانبي . وقال ايضا « سقط قتلى وجرحى في القريتين» . وأكدت وكالة «تاس» السوفييتية أن قريتين ازيلتا كلياً من الخارطة اثر امتياز ارض ناجم عن الزلزال . وذكر متحدث باسم مكتب تمثيل طاجكستان في موسكو ان تقارير مبدئية قالت ان الانهيارات الارضية اكسحت امامها نحو ١٤٠٠ شخص فيما قال راديو موسكو ان ١٤١٥ شخصا لقوا مصرعهم .

ولم تكن كابوسولت المتحدث باسم وزارة خارجية طاجكستان ان نحو ١٠٠٠ شخص يعتقد انهم قتلوا .

وأشار نصر الدينوف الى ان تحرك مئات من مكعب من الطين وقعت فوق شاوروا وبلغ عمق الاوحال في بعض المناطق ١٥ مترا . وقد توقفت الانهيارات على مسافة قصيرة جدا من المنازل الاخيرة في القرية وان كانت قد خلفت بها ايضا خسائر شديدة . وقالت وكالة انباء «تاس» السوفييتية ان المنازل التقليدية في طاجكستان أصيبت بأضرار في الزلزال واوضحت الوكالة ان اكثر القرى تضرراً هي شاوروا وكوليوبون واوكوليولو . وقالت ان الطرق المؤدية إلى مكان الكارثة انهارت في بعض المناطق مما عرقل وصول فرق الانقاذ كما ان خطوط الاتصالات قطعت وحوصرت الالاف من رؤوس الماشية تحت مباني المزارع المهارة .

واضافت ان السلطات المحلية تتخذ اجراءات لتزويد المنكوبين بمساعدات طبية ومواد غذائية وأماكن مأوى مؤقتة . كما تم ارسال قوات من الجيش الى المنطقة المنكوبة للمساعدة في عمليات الانقاذ . وأكد مراسل وكالة «تاس» انه «من الصعب جدا انتشال الجثث المطمورة في المنطقة المنكوبة على عمق ١٠ الى ١٥ متر تحت الارض» . وقالت «تاس» ان بلدات وقرى اخرى في الجمهورية شعرت بالزلزال بدرجة اقل شدة ومن بينها بلدة نوريك حيث يوجد سد عملاق تولد منه الطاقة الكهربائية .

الحصيلة الرسمية ٢٧٤ قتيلا

افادت وكالة «تاس» السوفييتية الرسمية للانباء ان عدد قتلى الزلزال الذي ضرب جمهورية طاجكستان السوفييتية هو ٢٧٤ ، وان فرق الانقاذ اوقفت عمليات بحثها عن احياء عندما دفنوا تحت اطنان من الطين والتراب ضربت قرية شاوروا الزراعية . واضافت ان القرية تحولت الآن مقبرة جماعية لأولئك الذين لايزالون تحت انقاضها .

واكد الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية السوفييتية ، غينادي غيراسيموف ، في مؤتمر صحافي يوم ٢٦/١/٤ تقديرات وسائل الاعلام ، وقال : « ليس هناك رقم نهائي ، لكنه اقل بالتأكيد من ٣٠٠ » . وكانت التقديرات الرسمية الاولية لعدد الضحايا اشارت ، بعيد وقوع الزلزال ، الى مقتل مابراوح بين ١٠٠٠ - ١٤٠٠ شخص . واوضحت «تاس» ان اهالي الانقاذ توقفت بناء على طلب الحكومة المحلية التي اعلنت ، يوم ٢٦/١/٤ ، يوم حداد وطني ، وانه على رغم بقاء نصف سكان قرية شاوروا التي تعد ٦٠٠ شخص واقفت الحكومة على جعل القرية مقبرة جماعية ، بعدما بات مستحيلا انتشال اي شخص على عمق ١٥ مترا من الطين . واعلنت ان قرية بديلة ستشاد قرب المقبرة .

وعرض التلفزيون السوفييتي ، يوم ٢٤/١/٤ صورا التقطت من الجو لاكوام متموجة من الطين تمتد حتى الافق وجاهدت من النساء يكفن وينتشبث بعضهن بالبعض في الوقت الذي كانت عمليات الانقاذ تجري خلفهن . وقال سلطان كبيروف وهو قروي تجا من السيل الطيني : «فقد سمعنا اصواتا مرعبة أن تسطع فهمنا وخرجنا فارين من البيت (. . .) عندئذ رأينا شيئا اسود يتحرك . وفي ثوان ، وليس دقائق ، انهار كل شيء حولنا» .

ونشرت صحيفة «البرافدا» الناطقة باسم الحزب الشيوعي السوفييتي ان الخسائر المادية التي خلفها الزلزال تقدر بنحو ٢ مليون روبل (١٩٫٣ مليون دولار) وان الانهيارات التي تسبب فيها الزلزال دمرت ، كليا او جزئيا ، مدارس ومستشفيين و٤٠ بناية ■

التطور الصناعي في البلدان العربية : تقويم عام

غيرت كوكب

ترجمة : محمد السجيمي

■ نشرت مجلة « أميا ، افريقيا ، اميركا اللاتينية » في عدد خاص عدد عام ١٩٨٦ ورقمه ١٨ ، هذه الدراسة/ المقالة بعنوان « التطور الصناعي في البلدان العربية : تقويم عام » وهو اخبرية ، ننشر ترجمة الدراسة عن النسخة الانجليزية للمجلة ■

■ ان ضرورة التغلب على التخلف تحمل لزاما على البلدان النامية ، ان تنجز عملية تصنيع فعالة ، شاملة ، سريعة ، كي تحل المشكلات الاجتماعية وكذلك السياسية والثقافية المنصوبة امامها . هذا الواقع مقبول الآن بصورة عامة ، وتؤيد لاسباب عديدة ، ولذلك ، مثلا ، عندما يكون من « أي هرشمان » ، ان « الصناعة ظهرت باسمها وتعاريف مختلفة كقطاع قائد لعملية النمو[1] » ، او ، حتى بشكل أدق ، عندما يشدد كاستروعلى ان « التصنيع هو عملية حاسمة لتطور الحال الثالث الاقتصادي ، وهو حاجة لا يمرأ احد على تكراريها ، رغم انه توجد اراء مختلفة ، عندما تبدل المحاولات لوضع الصفات النوعيه له والميكانيزم والمراحل المتعلقة به ، بالنسبة لكل بلد . لا جدال في ان تصنيع العالم الثالث يعادل باللغة الاستراتيجية ارساء القاعدة المادية والتكنولوجية الرئيسية للتطور[2] » .

في الختام ، اصبح تطور الصناعة الخدية المنتجة احد المصادر الرئيسية لخلق الشروط المسبقة الضرورية من اجل التغلب على الاستعمار والاستعمار الجديد وعقابيلها . ويعملك تأثيرا دائما على التقدم الاجتماعي في كل مراحله[3] . التصنيع مرتبط بشكل لا ينفصم بتطور القوى المنتجة وبعملية التراكم ، الذي يزيد من قوة ومن وتيرة تشكل الطبقة العاملة ويقدم المساهمة الضرورية لانهاء نقص التشغيل والبطالة ويدفع الى الامام بعلاقات - السلعة ، المال وينشط السوق الداخلية ويتفاعل مباشرة مع نمو الانتاج الزراعي ومع تحويل المجتمع الزراعي (اذ يتلقى منها ويعطيها على الترتيب منتجات قوية) ، هذا ، اذا اكتفينا ببعض العوامل المهمة . كل ذلك يمكن ان يفتح آفاقا جديدة للموارد الداخلية ، ويزيد من عملية اعادة الانتاج القومية ، بشرط ان يكون من الممكن ابعاد نفوذ البوكولونيالي . اخيراً ، يلعب التصنيع دوراً أساسياً في تحسين وتعديل العلاقات الاقتصادية الخارجية للبلدان النامية وفي كفاحها من اجل تغيير واصلاح موقعها المجحف في النظام الرأسمالي العالمي لتقسيم العمل .

بمقدار ما يتعلق الامر بالبلدان العربية ، فان ثمة هوة عميقة حالياً في هذه البلدان بين الضرورة الملحة للتصنيع والقيام به . بل ان التناقضات في هذا الاتجاه تتزايد جزئيا على الاقل . هذا صحيح بصورة خاصة من اجل تطور المصانع في المنطقة العربية .

اذا ما وضع المرء في ذهنه الاهداف ، التي نصبتها الاونيدو (منظمة التنمية الصناعية التابعة للامم المتحدة) في مؤتمرها العام الثاني ، الذي انعقد عام ١٩٧٥ في ليما ، فمن المبرر القول ، ايضا بالنسبة للعالم العربي - انه « بعد صدور بيان ليما يعقد تفريباً . لم يرتفع نصيب البلدان النامية من الزيادة العالمية للمصانع بالمقارنة مع الاهداف ، الا بنسب تافهة[4] » .

زيادة على ذلك ، رغم الزيادة المطلقة الواضحة في الانتاج ، ورغم التحسينات التي ، التي جرت بشكل رئيسي في البيئات واعتبرت كذلك بالمقارنة مع مناطق اخرى من البلدان النامية ، فان الصناعة في العالم العربي تركزت بشكل اساسي (اذا لم يكن بشكل وحيد ، كما في البلدان المنتجة للنفط ، مثلا) على الصناعة الاستخراجية من الجهة اخرى ، بقي معدل ، وكذلك مدى نمو نسبة الزيادة في الصناعة المعملية للبلدان العربية في مستوى غير مرض ، خصوصا فيما يتعلق بصناعة الادوات والماكينات والتجهيزات الاخرى وكذلك فيما يتعلق بالانتاج المكثف العالي الانتاجية . اضافة الى ذلك ، لم تشمل هذه الزيادة البلدان العربية بشكل منتظم ، وهي حتى ذات الجهات اجتماعية ثابتة .

التطور الصناعي في البلدان العربية

لوصف الوضع الحالي للبلدان العربية في عملية التصنيع ، التي تجري في كل المناطق النامية في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، ولتحديد مكانها في الصناعة العالمية ، من المفيد ، بل من الضروري ، القول ان نصيب البلدان النامية في الانتاج العالمي المعملي ارتفع من ٧٫٨ بالمائة في ١٩٦٥ الى ٨٫٨ بالمائة في ١٩٧٣ ، ٩٫٦ بالمائة في ١٩٧٥ ، ١٠٫٦ بالمائة في ١٩٨١ ، ١١٫٦ بالمائة (تقديراً) في ١٩٨٤[5] . نصيب آسيا الغربية وافريقيا هو على الترتيب ٠٫٧ بالمائة وحوالي ١٫٠ بالمائة ، اي ما مجموعه ١٫٧ بالمائة . ولكي نحدد المكان الصحيح للعالم العربي يجب ان نطرح حصص تركيا وقبرص من نصيب آسيا الغربية . من جهة ، فنقلص بذلك نصيب البلدان العربية في المنطقة الى حوالي ٣ ، بالمائة في ١٩٨١ . من جهة اخرى يجب ان نأخذ في الاعتبار ٤٠ بالمائة تقريباً من انتاج الصناعة المعملية عام ١٩٨١ في البلدان النامية الافريقية أي من الجزائر ومراكش ، و٤٧ بالمائة تقريباً من كل بلدان الجامعة العربية الواقعة في افريقيا . وفقا لذلك ، لدى البلدان العربية في افريقيا حصة اجمالية تقارب ٠٫٤٦ بالمائة في الانتاج الكلي للصناعة المعملية ، اي : ان الدول الاعضاء في الجامعة العربية في افريقيا وأسيا حصتها ٠٫٧٦ بالمائة تقريباً . هذا الواقع يدل على ان هذه الحصة تمت بأسرع من حصة البلدان النامية ككل في الانتاج الكلي للصناعة المعملية[6] .

اذن ، تنتمي البلدان العربية ، ماعدا ككل ، للمناطق النامية التي فيها القطاع المعملي نواتها . خصوصاً خلال بعض الفترات ، قامت مصر والعراق والعربية السعودية بسباقات ، قيمة جداً ولكنها غير منتظمة - ونذلك بالمعنى النسبي والمطلق - في مجمل تطور الصناعة المعملية في العالم الثالث . من جهة اخرى لم تكن اي دولة عربية بقادرة ، على ان تحصل على ، او ان تحفظ بمكان ما بين المتصدرين الكبار في القطاع المعملي داخل مجموعة البلدان النامية .

شهد القطاع المعملي في الجزائر وتونس والجماهيرية الليبية والعربية السعودية معدلات نمو كثارة بين ١٩٦٣ و١٩٧٣ . يجب ان نشدد ، ونحن نقول ذلك ، على ان معدلات النمو العالية جداً ، كما كان الامر بالنسبة للصومال ، ترجع الى الدرجة المنخفضة جداً لمستوى الصناعة المعملية هناك . اما معدلات النمو البطيئة نسبياً للبلدان مثل مراكش ومصر وسوريا ، فانها تنتج عن نقطة انطلاق متطورة نسبياً في هذا القطاع من الاقتصاد . عوامل مشابهة يجب ان نؤخذ في الاعتبار من اجل فترة ١٩٧٣ و ١٩٨١ . اذا اخذنا معدل النمو للفرد الواحد ، فانه مرتبط مباشرة بعدد الاشخاص المستخدمين وبالاستعمال المرح والجديث للامكانات الموجودة ، او بالمحاولة جيداً ،

Digitized by Birzeit University Library

وتطبيقها على الصناعات المعملية .

المجموع الكلي للانتاج في القطاع المعملي يتغير من بلد عربي الى آخر ، مع كون مصر والعربية السعودية ومراكش والجزائر وسوريا لديها أكبر الحصص في الزيادة الاجمالية المعملية للبلدان العربية في ١٩٧٠ . هذا الواقع هو صحيح ايضاً من اجل ١٩٨٢ ، باستثناء ان مراكش والجزائر غيّرتا مكانتهما في هذا المجال بين البلدان العربية المتجهة الرئيسية للسلع المصنعة في المنطقة العربية . شهدت الاردن ، وبعدها الجمهورية العربية اليمنية والجماهيرية الليبية وتونس والجزائر اكبر زيادة مطلقة في الفترة من ١٩٧٠ ـ ١٩٨٢ . فيما يتعلق بالانتاج للفرد الواحد في بلد ما ، فان مقداره يتعلق حتماً بنسبة عدد السكان الى القيمة المطلقة لانتاج القطاع المعملي في البلد ذي العلاقة . هذا يعني ، مثلاً ، ان مصر ، البلد ذا الاعلى قيمة مطلقة لحجم السلع المصنعة في المنطقة العربية ، وذا الاكبر عدد للسكان في الوقت نفسه ، لديه معدل انتاج للفرد منخفض نسبياً . على النقيض من ذلك العربية السعودية ـ البلد ذو المرتبة الثانية في انتاج السلع المصنعة بمستوى انتاج مقارب لمصر ، ولكن بعدد أصغر للسكان ـ هي ذات معدل عالٍ نسبياً . نتيجة لذلك حققت الكويت بعدد السكان الصغير فيها ، والانتاج العالي نسبياً في القطاع المعملي اعلى انتاج للفرد الواحد .

الواقع الذي للصناعة المعملية في اقتصادات البلدان العربية تغير بشكل مختلف (من بلد الى آخر) بالنسبة لانتاج وسرعة النموذلك ضمن اطار التطور الشامل للقطاعات الصناعة الاخرى . عموماً يجب تقدير هذه الاتجاهات والتفاصيل العديدة لذلك التغير تقديراً ايجابياً .

كفاءة عامة لا تكن هذه موصولة فقط بالامكانات الصناعية المتحدة ككل ، والتي من بينها الصناعة المعملية ، وانما ، ايضاً ، بالتباع تنويعة السلع المنتجة وبزيادة عدد الأشخاص المستخدمين وبنية التشغيل وبالمهارات الافضل وبقوية التكامل الاقتصادي القومي (اي : القومي بالنسبة للبلد المعني) وبالاستعاضة الجزئية عن المستوردات او بزيادة الصادرات . مع ذلك يجب ، في الوقت نفسه ، ان يأخذ المرء في الحسبان كون المؤشرات الكمية والكيفية والاهداف المنصوبة في خطط وبرامج التنمية القومية في التصنيع لم تنجز عموماً . كذلك لم يتم التغلب ، في البلدان العربية ، على التفاوت الكبير بخصوص الصناعة المصنعة ، وانما بأقدار جزئياً ، او انتقلت فقط ، على الاقل ، نقاط العجز بين البلدان العربية .

النشاطات من اجل بناء الامكانات المعملية في اغلب البلدان المنتجة للنفط هي غالباً مقتصرة ، بشكل صارم جداً ، على قطاع التصفية . لقد زادت من درجة معاملة البترول كيانة خام منفوسة بسهولة ورفعت من موارد التصدير . ولكن لم تهتم ، الا قليلاً ، في عملية اعادة الانتاج القومية ، خصوصاً انها لم تكن موصولة بها مباشرة . اضافة الى ذلك ، فان هذه النشاطات مخصصة الى حد كبير للتصدير ، الامر ، الذي جعلها هشة منذ البداية ومردد ذلك بالدرجة الاولى الى سياسات الحماية في البلدان الرأسمالية المصنعة) . هذا ينطبق ، مثلاً ، على العربية السعودية ، التي بنيت فيها صناعة بتروكيماوية قائمة على تكنولوجيا عالية ، وكان يفترض ان تنتج ، من الجملة ، في ١٩٨٥ ثلاثة ملايين طن من منتجات الاثيلين ، اي ١٠ بالمائة تقريباً من الاستهلاك الحالي لاوروبا الغربية[٣] . كوريويشن الصناعات الاساسية السعودي ، الاحتكار الذي تملكه الدولة والذي يعرض هذه المصانع للبيع بعد اقامتها (اي : للبيع لزبائن خاصين) ، لعب دوراً أساسياً في هذه العملية[٤] . من جهة اخرى ، كنا نستطيع ان نرى في البلدان المنتجة للنفط ، وكذلك في البلدان العربية الاخرى جهوداً قوية جداً للاستغناء عن المستوردات . الامارات العربية المتحدة يمكن ان تصبح مثالاً . في الاردن ايضاً كان للاتجاه نحو التصنيع في البداية منحى الاستغناء عن المستوردات ، لكنه اتجه فيما بعد ، اكثر فاكثر ، الى النشاطات التي تزيد التصدير[٥] . على كل حال ، لعل تجارب البلدان العربية تؤيد الفكرة القائلة انه لا مفهوم التوجه للتصدير ولا نظيره الهادف للاستغناء عن الاستيراد بكاف وحده ، كي يشق الطريق نحو عملية تصنيع قادرة على ان تدعم التنمية الاقتصادية المعتمدة على الذات المبنية على استعمال معقول للموارد القومية الموجودة بمجملها مع الاخذ في الحساب لامكانات التعاون الدولي للمصلحة القومية والمفادة لتلبية الحاجات الخفيفة (وليس فقط ماينسى بالحاجات الاساسية) لمجموع الشعب .

كانت التأثيرات على التجارة الخارجية مختلفة جداً (اي : من بلد الى بلد) حسب حالة التصنيع الراهنة في البلدان العربية . ان تجارة البلدان العربية الخارجية ، رغم التغيرات الكمية الكبيرة نسبياً احياناً ، ما تزال تتصف بحصة صغيرة نفاوتية من السلع المصدرة الناتجة عن التصنيع ومن سلم التوظيف بصورة خاصة . وبذلك يكون هذا انعكاساً لبنية الانتاج . والاستثناء ، هذا المنحى التطوري ، هو البلدان العربية ذات اعادة التصدير المكثفة ، التي تبين هذه الحصة فيها ، تضليلاً نحو الاعلى ، لا مستوى حقيقياً لتطور صناعاتها المعملية في الداخل . من جهة اخرى ثمة ملمح هام ونموذجي ، هو في النسبة العالية من السلع المصنعة المستوردة في التجارة الخارجية ، وبصورة خاصة الماكينات واجهزة النقل والسلع المصنعة الاستهلاكية .

ظهرت مشكلات خاصة لعملية التصنيع امام جيوش والجمهورية العربية اليمنية والصومال والسودان وكذلك جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وهي البلدان الخمسة المنتمية الى مجموعة أقل البلدان تطوراً ، وامام موريتانيا . وكشفت هذه البلدان عن ابطأ تقدم في اتجاه بناء امكانات جديدة في القطاع المعملي ، بسبب نقطة الانطلاق المنخفضة جداً والموارد المحدودة جداً .

الخلاصة ، رغم بعض التقدم ، فان مستوى التصنيع في البلدان العربية ما يزال غير مرض . ثمة أسباب كثيرة لهذا الوضع ، ترجع جزئياً للارث الاستعماري ولسياسة البلدان الاستعمارية السابقة في المنطقة العربية ، وكذلك لاختلاف مواقع الانطلاق من بلد عربي الى بلد آخر وتعموذ ، أيضاً ، الى الظروف الداخلية الاقتصادية والسياسية ، والمجاهدات تطورها . الى نشأت بعد الحصول على الاستقلال السياسي . ثمة أسباب اخرى ، هي التباين ، وغالباً عدم الكفاية ، في تعبئة هذه البلدان لمواردها وفي اهمال التفاعل بين التغيرات الاجتماعية ـ الاقتصادية العميقة والبناء الاقتصادي تمثل في انعدام وجود سوى اقرار مزدد بدور الدولة وبأهمية التخطيط وآثار التطور غير المتساوي الداخلي وبين البلدان العربية المرتبطة بالنظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي وبكل اجراء ذلك النظام بالاضافة الى ذلك . واذا ما نظر المرء من زاوية حاجات التطور الاجتماعي والاقتصادي فان التقدم المتواضع ، عموماً ، في تكوين القطاع المعملي في البلدان العربية يرتبط بالمستوى العالي نسبياً من النفقات وبظهور اشكال جديدة من الاعتماد على التقسيم الرأسمالي الدولي للعمل ، وكلا الامرين سببها الانعدام الواضح للصناعة الداخلية المتعلقة بسلع التوظيف ونقص القدرة العلمية والتكنولوجية . كما لعبت التيوكولونيالية ، بالدرجة الاولى ، دوراً كبيراً من

الصناعة في البلدان العربية تركزت على الصناعة الاستخراجية

جانب المراكز الامبريالية ، وآثار التطور الناتج عن الوضع في تلك المراكز ، المتقل بالازمة في حقل العلاقات الدولية .

كل البلدان العربية قلقة جداً بسبب النتائج الحاصلة المتحققة حتى الآن والوضع الحالي لعمليتها التصنيعية ، وكذلك قلقها على مستقبل العملية من الناحيتين الكمية والكيفية . لقد عرضت مشكلاتها دون انكار وشددت على ذلك في مختلف الاجتماعات الدولية ضمن اطار الامم المتحدة او بمجموعة الـ ٧٧ او حركة بلدان عدم الانحياز . وعرض ذلك بصورة خاصة وبوضوح ، في المؤتمر العام الرابع للاونيدو المنعقد في آب ١٩٨٤ في فينا . المؤتمر ، الذي كشف محدداً ، بسبب الموقف المتصلب لبعض البلدان الرأسمالية الرئيسية[٦] ، المواقع المتعارضة تعارضاً اساسياً للامريكاء ، من جهة ، وحركة التحرر الوطني من جهة اخرى[٧] . وجهة النظر ، التي عبرت عنها الدول العربية رسمياً ، والمتعلقة بتصنيعها ، اتسمت باسباب للتبعيات معاصرة للاستعمار وللاستعمار الجديد وللاحتكارات وايضاً لبنية قومية ووطنية واجتماعية وسياسية مدموجة مع كثير من الاسباب الرأسمالية الداخلية . كان البيان النهائي ان العالم العربي ، ومن الجملة البلدان المنتجة للبترول ، لا يستطيع ان يتجاهل النتائج الفادحة للازمة الجارية في العلاقات الدولية . ان التدهور الواضح منذ منتصف السبعينات للوضع الاقتصادي العالمي ، كانت له اثار سلبية حتماً على تصنيع العالم العربي والبلدان النامية ولم تكن ثمة علامات على حصول تغير اساسي في الوضع في المستقبل القريب[٨] .

التقويم ، الذي قدمته البلدان العربية[٩] ، وضع المسؤولية في ذلك على الرفض الدائم ، الذي لا يتزحزح ، من جانب البلدان الصناعية ، للمقترحات المتعلقة بانشاء نظام اقتصادي دولي جديد ، وعلى رفضها القيام بمبادرة سليمة بالمعنى حل المشكلات الاساسية في المفاوضات الاجمالية ضمن اطار الامم المتحدة . زيادة على ذلك وجهت الدول العربية اللوم الى سياسة الاسعار العالمية للفائدة والى نهج الحماية لدى « الدول الصناعية » والى النتائج ، المطلق فيها المعان للتقدم التكنولوجي الجاري هناك ونقص الاستعداد لنقل التكنولوجيا . الاتفاق المرتفع باستمرار على النسلج في بعض تلك البلدان يمتص موارد كبيرة من الاستعمال المفيد لصالح حفظ السلام والامن ، وكذلك التنمية ويتسبب بالعجوز المالية في الميزانية وبالتضخم . في الوقت نفسه تنقص ضمن هذه الشروط مساعدة « البلدان الصناعية » الرسمية للتنمية وترتفع شدة ديون البلدان النامية ، مما يضطرها بدوره الى اللجوء الى المصادر الخارجية الخاصة ، التي تكبدها تكاليف اعلى وتفرض عليها شروطاً أسوأ بكثير . ان مؤسسات التمويل الدولية ، مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، تفرض شروطاً في هذا الوضع هي غير مقبولة في الواقع حسب عقابيلها المالية والاجتماعية

رغم ان هذا التقويم موجه قولاً لكل ما يدعى بالبلدان الصناعية على السواء ، فان اطار الكلام يحمل من الواضح ، ان الطرف العربي يحمل المركز الرأسمالي في اوروبا الغربية وامريكا الشمالية وبالتالي مسؤولاً عن « اشد ازمة اقتصادية تواجه العالم النامي منذ الجمود الاقتصادي الكبير »[١٠] ومن اثره على التصنيع . في تقويم ، خضع الى حد كبير لتأثير البلدان النامية ، وصدر عن هيئة مهمة في الامم المتحدة دعيت هذه الازمة بـ « تناج التشغيل السيء لاقتصادات البلدان ، ذات اقتصاد السوق المتطور »[١١] نتيجة لذلك تشدد[١٢] البلدان النامية بوضوح ، ومن بينها البلدان العربية ، على ان الازمة الدائمة في الاقتصاد العالمي نسبت بما تلك المراكز الرأسمالية ، ونتج ، من الجملة ، عن نقل العبء في ظاهرات الازمة داخل البلدان الرأسمالية الكبرى بجره كبير منه الى البلدان النامية ، وبذلك تمع ، من بين امور اخرى ، التقدم في بنائها الصناعي .

كما ذكرنا من قبل ، النتائج مدركة بوضوح ، ايضاً ، في البلدان العربية . التفاوت (في النتائج) لا بد منه ، لكن مصدري النفط ، الاقويماء مالياً ، وحدهم ، كانوا يستطيعون مقاومة ذلك بنجاح ، جزئياً ، ومؤقتاً ، طبعاً كان لا بد من ان نعاني جهود التصنيع في العالم العربي من هذا الوضع ، الذي زادت من حدته عوامل داخلية عديدة .

منذ ١٩٤٥ مرت عملية التصنيع هذه بمرحلتين رئيسيتين : الاولى كان هدفها بعض الجذور في الحاجات الملحة لقوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية[١٣] . بعد الحرب ، او بعد الاستقلال السياسي ، كانت ما تزال عدة قرنة معية على الاقل بمصالح الدول الاستعمارية . المرحلة الثانية بدأت بما يسمى مرحلة طرح المشروعات ، الذي جرى مع العائدات البترولية المتزايدة منذ بداية

اهمية قيام صناعات حربية تعتمد على الزراعة

السبعينات . كانت مصر ، ثم بعد ذلك سوريا وليبان والعراق والاردن وكذلك مراكش وبعدها تونس والجزائر ، كانت مصدرة مراكز المرحلة الاولى . وشهدت المرحلة الثانية ظهور بلدان بترول الخليج ، والجماهيرية الليبية غير ان عائداتها لم تساهم فقط في التصنيع داخل حدودها ، وانما ايضاً في بعض البلدان الاخرى[١٤] العربية والافريقية الواقعة جنوب الصحراء ، بل والاسيوية . أول وأهم حصيلة للمرحلة الاولى كانت تتمثل من جهة ، في ان عدداً كبيراً من المصانع بنيت في مدة قصيرة نسبياً ، ومن جهة اخرى ، في ان اي بلد عربي لم يكن قادراً على التطور الى بلد صناعي . وهذا صحيح ايضاً بالنسبة للمرحلة الثانية التي توفرت فيها ، خصوصاً في بلدان البترول ، الموارد المتحدة ، تحدياً أساسياً ، والارادة للتراكم .

ثمة اقتصاديون عرب مشهورون يرون أسباب هذا التطور في كون بناء الامكانات في القطاع المعملي تم من دون الأخذ في الحسبان لمزيد من جوانب الاستيعاب ، او لتنويعه من السلع المترابطة بشكل هادف ، والاكثر قابلية للتحول فيما بينها ، وفي كون تلك الامكانات معتمدة كثيراً على استيراد المواد الاولية والمخزونات وغيرها . تسبب ذلك في هبه على موازين التجارة والمدفوعات وادى الى حالات خلل بين التوريد والانتاج المرتبط به وأبقى المحصول مقدراً بالقيم الجديدة ادنى فلنا من خط الربح في هذه العملية الصناعية . ازداد الطلب في الداخل ، وسببه الرئيسي الاستخدام المتزايد في القطاع الصناعي ، قوبل باجراءات تعويض الاستيراد والى حد معين بالاستيراد ولم يربط بالصادرات المتزايدة ، لكي يعوض بشكل ملائم متطلبات الاستيراد من اجل التصنيع . ان تنامي الجهاز البشري المؤهل ، في العمل المعلم وحده ، وانما ، ايضاً ، في حقل الادارة الاقتصادية (وراء ذلك سوماً بسبب هجرة الادمغة) ، ويذل جهود ضعيفة جداً في تأهيل جماهير العمل والتوجه غير المرضي نحو الربح والريوتين الفاسي وتقص الضغط لاسباب اجتماعية من اجل تحمل المسؤولية . كل ذلك ادى الى حالات عدم استقرار كبيرة . زيادة على ذلك تراقق التصنيع بمنح مختلف الامتيازات لبعض الشرائح وباعانة الصناعة والاستهلاك ، الامر الذي لم يكن متفاعلاً مع مستوى الانتاج المتجر ، وادى الى تقليص التراكم والتوظيف . كانت مشكلة خاصة ، ان يربط التصنيع بتطوير الناتج الزراعي او بحل المسألة الزراعية . في هذا الاطار كانت المسائل الرئيسية والاكثر حساسية هي الطلب على الغذاء مع تزايد السكان والاستهلاك وامكانات التصدير الضعيفة في القطاع الزراعي وعدم كفاية الاموال المتراكمة الجاهزة هناك . التوظيفات العالية جداً احياناً ، التي لم تبذل بهدف تقوية القطاع الزراعي (مثلاً ، سدا اسوان والفرات) لم تعط الناتج المتوقعة بالنسبة للتصنيع .

في الوقت نفسه ، الصناعات التي اقيمت مجدداً في العالم

Digitized by Birzeit University Library

العربي كانت منذ بدايتها معتمدة على التوريدات الخارجية فاتيح ذلك علاقات تبعية جديدة ، بالدرجة الاولى في القطاع التكنولوجي او من خلاله ، وترافق غالباً بنتائج ضارة تكنولوجيا . في ظل الظروف الموضحة ، قدمت الحاجة للخبرة التكنولوجية فرصاً عظيمة للمأثرات النيوكولونيالية على عملية التصنيع في المنطقة العربية ، وزادت من ذلك خصوصاً تناقضات الاحتكارات الدولية . في الوقت الحاضر يلفت مسألة نقل التكنولوجيا ابعاداً جديدة تماماً . ان آخر التكنولوجيات المفصلية الدقيقة مثل الكمبيوتر الالكترونيك والهندسة البيولوجية والتوليدية والطاقة النووية .. الخ ، وكذلك استخدام المواد والتقنيات الجديدة ، لم توسع وتعمق فقط الهوة التي تفصل العرب واغلب البلدان النامية الاخرى عن المستوى العالمي للتطور التكنولوجي ، وانما كشفت هذه الهوة عن ملامح جديدة وغير معروفة حتى الآن فيما يتعلق بامكان ادخال الوسائل الحديثة للانتاج وبمواصفاتها . كل ذلك تفاقم ، اولاً ، لان قدرة البلدان العربية في الحصول على التكنولوجيات الجديدة تتقلص بسبب الازمة في التقسيم الرأسمالي للعمل . ثانياً ، لان « الموجة التكنولوجية » الحالية تبدو « تخفيفاً » معنوياً وفيزيائياً للكثير من التكنولوجيات المتوفرة في البلدان النامية ، او ، بالترتيب ، للامكانات الصناعية ، المقامة على اساس تلك التكنولوجيات .

مع ذلك ليس لدى البلدان النامية ، ومن بينها البلدان العربية ، رغم المشكلات المرتبطة بالعمليات الشمولية المتعلقة بالتجديد التكنولوجي ، اي خيار آخر سوى اخذ هذه التكنولوجيات الجديدة في الحساب وادخالها في تطورها بالطريقة المناسبة . في النهاية تتوفر هذه التكنولوجيات الفرصة الحقيقية الوحيدة لخلق الشروط المادية والفنية الضرورية لاختصار المسافة المعقدة المتعلقة بالتغلب على التخلف . هذا لا يخفي تجاهل تنوع الظروف من بلد عربي الى آخر ، او تكوثر الدوافع المختلفة من أجل الاستخدام المستمر الحماس ، او الاحياء لعمليات الانتاج التقليدية ، او لخلق تطبيق مستوى التكنولوجيات[١٩] الاقدم او الاكثر تطوراً . ولكن يجب ان تنسوه بسخف اي مفهوم يتشكك ، لاي سبب كان ، في تطبيق آخر التكنولوجيات الحديثة في البلدان النامية . هذا يعني صحيحاً ، حتى مع اعتبار ان الشروط من اجل نمط هذه الخطوات هي معقدة دون شك وانه يوجد تناقض واضح بين الحاجات والامكانات .

كل هذه العوامل مهمة ، طبعاً ، بشكل محدد . وتبديباتها وآثارها تبنى الوظائف الاجتماعية لكل بلد . وهي مهمة للتطور الصناعي في البلدان العربية السائرة في الطريق الرأسمالي للتطور والبلدان ذات الالوان المختلفة من المبادىء الاشتراكية ومن تفاوط الاستدلال . بحب تكرار التشديد انه هذا يحصل في البلدان العربية المنتجة للنفط بطريقة معدلة (رغم انه توجد ، حتى هناك ، حدود لذلك)[٢٠] ، وان البلدان العربية الكثيفة السكان تواجه مشكلات خاصة ، ولكن لديها امكانات . على كل حال ، قبل داخل العالم العربي ، وهذا صحيح ، « لا شيء أشد خطراً على العرب من ان يهدهدوا انفسهم ليناموا على شعور خاطىء بالامن ، معتقدين ، ان غزارة « المال والرجال » ستقود بالضرورة الى مستقبل وردي » ، وان القدرة العربية هي اضعف ارتباطاً بالحجم المتوفر من المواد والموارد البشرية منها بامكانية حركة التحرر الوطني العربية استكمال طريقها في التحرر من الامبريالية وانهاء التبعية والسير في سياسات متناسقة هادفة الى استخدام الموارد لخدمة مصلحة الامة العربية ككل »[٢١] .

التكنولوجيا المتقدمة كشفت الهوة بين العرب والدول الرأسمالية

رغم ان الخطوات ، التي اتخذتها البلدان العربية لضمان واستمرار وتسريع تطورها الصناعي الآن وفي المستقبل ، لا تكشف عن برنامج متناسق ، او حتى معاد للامر بالية ، وهذا واقع غير مستغرب ، نظراً للتفاوت الاجتماعي - الاقتصادي والسياسي ، فإن ثمة مفاهيم مشتركة عن الاتجاهات والمطلبات الاساسية :

■ تطوير الموارد البشرية[٢٣] (اي : تدريب العمل في الداخل للوصول الى العمال المهرة ، وتدريب الخبراء العرب والتعويض المثالي بهم عن المختصين غير العرب ، مع دعم ذلك باجراءات ضد هجرة الادمغة ، ادخال مشكلات العمل في خطط التطوير الفردي ، اقامة مراكز تدريب قومية ومحرية) .

■ التكنولوجيا[٢٤] (اي تطوير الامكانات التكنولوجية القومية والاستخدام المشترك للتجهيزات والمنشآت الموجودة ، العمل على كبال التقدم التكنولوجي عموماً وتقدم التكنولوجيات الفائقة خصوصاً ، تطبيق او تطوير التكنولوجيات الملائمة للشروط الوعية في البلدان النامية)

■ تعبئة الموارد المالية (اي : تقوية دور مؤسسات التمويل العربية ، البنوك ، صناديق التنمية ، الخ[٢٥] ، توفير تدفق مستمر للموارد المالية في فروع صناعية منتجة لسلع التوظيف المناسبة مع حاجات التنمية للاقتصادات القومية ، القيام بمساع للحصول على المزيد من المساعدات التنموية من « البلدان المتطورة » بشروط جيدة ، تغيير السياسات والاصول الاجرائية للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، وصب المزيد من الاموال في القطاع الصناعي ، تمويل مشاريع مشتركة للبلدان النامية ، اوفيها ، اهتمام خاص بتصنيع البلدان الاقل تطوراً ، انشاء نظام حماية لرأس المال والمتوظيف) .

■ الطاقة من اجل التصنيع[٢٦] (اي : زيادة النسب المنخفضة من تغذية القطاع الصناعي بالطاقة ، الاستخدام الكامل لكل موارد الطاقة الموجودة ، والاستعمال الاكثر جدوى لها ، الحفاظ على البترول الطبيعي كمادة خام ، تطوير موارد الطاقة البديلة ، انظمة نقل للطاقة اكثر مردوداً ، وتخفيض الضياع الناتج عن النقل ، فتح آفاق جديدة للميكانيات والتجهيزات المعملية لتوليد الطاقة) .

■ التزويد بالمواد الخام (اي : زيادة امكانات البلدان العربية الحادلة الى استخدام أفضل واكمل للمواد الخام الزراعية والمنجمية والبحرية المتوفرة ، وتصنيعها) .

■ التطوير الزراعي ، انتاج الغذاء[٢٧] ، الحاجيات الأساسية[٢٨] (اي : اقامة صناعات مناسبة في المناطق الريفية ومركبات صناعية - زراعية ، وكذلك مراكز اصلاح وصيانة ، مع اهتمام خاص بتحسين تسهيلات العمل لتقليص الهجرة الى المدن وزيادة توريد الغذاء ، الربط المناسب بين التطور الزراعي والصناعي ، تلبية الحاجات الاساسية للسكان الريفيين وتنمية بالسلع الصناعية) .

■ التعاون الصناعي بين البلدان النامية[٢٩] (اي : تنسيق السياسات الاقتصادية ، تسهيل وزيادة التجارة المتبادلة بالسلع الصناعية ، تشجيع حركة رأس المال والعمل ، بناء مشروعات مشتركة[٣٠] ، التركيز على التعاون في حقول الطاقة والتكنولوجيا وفي الصناعات الاساسية[٣١] المتعلقة بالشؤون المالية وبيع السلع الصناعية وتدريب الخبراء) .

■ دعم عقد التنمية الصناعي في افريقيا[٣٢] وتقوية التعاون العربي - الافريقي .

■ ازالة العوائق ، التي خلقها الاحتلال الاسرائيلي ، فيما يتعلق بالتنمية الصناعية لفلسطين وانهاء حرب الخليج بمنعكساتها الجدية والتخريبية على التنمية الاقتصادية في هذه المنطقة .

ان البلدان العربية في اطار هذه الحوائب وغيرها ، وضمن مجال الحاجة للتخلف على التخلف ، هي الآن في مرحلة التفكير في آفاق التصنيع . هذه الافكار تهدف بشكل رئيسي ، اولاً ، الى توفير التطور الصناعي ، بكل تعقيداته ، من اجل الحاضر والمستقبل والتشديد على ان العالم العربي لا يمكن ببساطة ان يكون مقوماً الى بلدان منتجة للنفط ومورده له واخرى غير منتجة للنفط وغير مورده له . ثانياً ، هذه الاعتبارات مركزة بقوة على استخدام الامكانات التعاونية بين البلدان العربية[٣٣] .

يرى العلماء العرب التقدميون ، انه ، اذا ما نظر الى التعاون من الزاوية المنهجية ، فان الاستقصاء الضروري فيه يجب ان يبنى على دمج شديد للمشكلات الخاصة بكل بلد مع المعالجة المعقدة . هذا ضروري ، لان مشكلات التصنيع ، مثلها مثل مشكلات التطور عموماً ، لا يمكن ان تعالج بشكل رئيسي ، او فقط ، باعتبارها مسائل اقتصادية بحتة ، كما كان الامر حتى الآن ، وانما يجب ان تُرى في الاطار الشامل للعوامل السياسية المؤثرة والاجتماعية والثقافية ، الخ ، وضمن نسبتها الدولية ووفقاً لامكانياتها على كامل التطور الاجتماعي . زيادة على ذلك ، لا يمكن ان تصاغ كلمة وحدة ، وانما يجب ان تشق من الوقائع المفروضة ومن تراقف بالاشارات الى الطريق الواقعية لتحقيقها[٣٤] .

بسبب الوقائع والتوجهات الاجتماعية المتباينة ، وبسبب التي المتفاوتة في اقتصادات البلدان العربية الوطنية[٣٥] ، فان التصنيع ، باعتباره بالضبط تطوراً في المنطقة العربية ككل ، لا يجري في الفراغ ، وانما ضمن اطار من العلاقات الاقتصادية والسياسية ، هي في الوقت نفسه شمولية ومنطقية ، ويتطوي على ، عملية تحرر من قيود التبعية ، وتصحيح العجز في موازين الاقتصاد العربي الشامل ، وانجاز درجة عالية من التكامل الداخلي[٣٦] . هذا يتطلب ، كما جاء في تقرير خبراء كوريا الى الاونكتاد الذي عقد في ١٩٨٣ في بلغراد ، مع تطرق الى كل البلدان النامية ، اختيار اشكال النمو الاقل تبعية للروابط السابقة . هذا يتضمن انشاء روابط بين البلدان النامية وكذلك تحقيق امكانية للروابط مع البلدان الاشتراكية »[٣٧] .

عملياً ، منذ الخمسينات ، برهنت البلدان الاشتراكية عن سعة أفق فعالة وعن التزام مستمر بمساعي التصنيع في البلدان العربية النامية ، لقد قوضت احتكار المراكز الاممية بالاعتماد والتوريد ، ووصلت منذ البداية التوريد بالتجهيزات التقنية مع نقل الخبرة بالانتاج ، مع تدريب العمال المهرة وفتح أسواقها للبضائع المصنعة في المؤسسات المقامة الجديدة وكذلك مع المساعدة للامكانات العلمية والتكنولوجية الوطنية . ربما لم تنشر الامكانات الجديدة حتى الآن ، لكن مثل هذا الموقف من البلدان الاشتراكية هو حيناً ملائم لتلبية حاجات البلدان العربية ، وهو موجه للمستقبل في الوقت نفسه . مع ذلك من الضروري ، اكثر من اي وقت مضى ، دمج الاشكال التقليدية للتجارة ، في نظام مركب من التعاون الاقتصادي والصناعي والعلمي والتكنولوجي[٣٨] مبني على وثائق عقدية للامد الطويل ، ويستخدم مختلف صيغ التعاون المتبادل المربح[٣٩] ، مثل التعاون ، من الجملة ، في بناء المؤسسات وفي التصنيع وفي حل المشكلات العلمية والتكنولوجية وفي النشاطات المشتركة في اسواق العالم الثالث وامومها[٤٠] ، « ان الدول الاعضاء في الكوميكون سوف تتابعه ، ضمن حدود امكاناتها ، تقديم المساعدة الفنية والاقتصادية للدول التي حصلت على حريتها واستقلالها في جهودها لتطوير اقتصادياتها »[٤١] مع ايجاد شركاء لها ، اكثر فاكثر ، في البلدان العربية من اجل التعاون ، في منحى الاستاذ على مبادىء المساواة والفائدة المشتركة .

لقد أهلت على نطاق واسع ، في المقدمين الماضيين ، الصناعات المحلية والزراعية في العالم العربي . وبين ١٩٧٤ و١٩٨٣ تراجعت ، خصوصاً ، عدة بلدان صغيرة مصدرة للنفط في الصناعة المحلية بهدف زيادة الانتاج الاولي ، والاستفادة من الطلب المتزايد على البترول[٤٢] . غير انه في تلك السنوات العشر ، بالضبط ، ادى النفط الى تحديد شكل الاقتصاد العالمي ، عندما قررت « الاوبك » تحديد أسعارها الخاصة في ١٩٧٣ . لقد تحول البترول ، كلياً ، من مصدر رخيص للطاقة وللمواد الخام الى مصدر غال جداً . من جهة اخرى قاد ارتفاع أسعار النفط الى بذل جهود مؤدية وناجحة من جانب الدول الرأسمالية الصناعية ، وكذلك البلدان الاشتراكية المتطورة ، وذلك لتطوير اساليب توفير الطاقة ولايجاد مصادر للطاقة وللمواد الخام جديدة . نتيجة لذلك ، وعشية التعقيدات الخارجية للمشادات والمناجزات داخل « الاوبك » ، والاجراءات التي اتخذها اعضاؤها ، اجبرت حالة سوق البترول في ١٩٨٥ - ١٩٨٦ البلدان العربية على اخذ اعتبارات جدية ومتعددة الجوانب . لقد قادت واقعياً ، الى درجة ما ، لتركيز مفاهيمها الاستراتيجية وجهودها العملية على تطوير صناعاتها الزراعية والمعملية . هذا صحيح بصورة خاصة بالنسبة لأغلب الاقتصادات العربية ، التي يسيطر عليها البترول ، بينما تنتج بلدان متجة للنفط ، مثل الجزائر والعراق ، وبلدان يسيطر على اقتصادها الزراعة مثل سوريا او الاردن او مصر والمراكش ، لديها اقتصادات اكثر تكاملاً . بهذا المعنى ، يبدو ، اذا ما وضعنا في اعتبارنا مرحلتي التصنيع المذكورتين في هذه المقالة ، ان من الصواب ان يتوقع المرء فترة تصنيع تالية للبترول في العالم العربي ■

مصر : معدل انتاج للفرد منخفض نسبياً

هوامش

(١) هرشلاغ ، ز . ي . التصنيع في البلدان العربية : نهاذجه ، ومبرراته واستراتيجيته . في « التصنيع العربي والتكامل الاقتصادي » منشورات ، « البيوني » لندن ١٩٧٩ ، ص ١٥ .

(٢) كامتروف ، الازمة العالمية الاقتصادية والاجتماعية . تقرير الى المؤتمر السابع لبلدان عدم الانحياز ، هافانا ١٩٨٣ ، ص ١٢١ .

(٣) من اجل نظرة كلية لمشكلات التصنيع في البلدان النامية وفي المنطقة العربية ، انظر ، من الجملة ، التصنيع في البلدان النامية . ظروفه ومفاهيمه والتجاهات ، تأليف مجموعة من المؤلفين بادارة فولر غريتشين ، هـ . (بالالمانية) ، ط . كولة دم . فويتش ، برلين ١٩٧٥ ، بارتلرغ . ، التصنيع في بلدان الشرق الاوسط العربية . المشكلات والاتجاهات ، برلين ١٩٧٢ .

(٤) بيانم ، مازوني ، رئيس الوفد الجزائري الى مؤتمر الاونيدو الرابع (ليما ، ٢ - ١٨ آب ١٩٨٤) ، في « ١٠ آب ١٩٨٤ » ص ٢ .

(٥) في الاسعار الثابتة لـ ١٩٧٥ فعلى اساس اضافة قيمة التصنيع ، حسب الاونيدو ، التصنيع في التهنيئات : التغير البنيوي والترابط المتبادل . العقد الثاني الجزائري للـ « ترامة التطور الصناعي ، الامم المتحدة ، نيويورك ١٩٨٥ ، ص ١٦ .

(٦) بالغساب ، ر.ا.و الاقتصاب عن : الاونيدو ، موجز عن الاحصاءات الصناعية لعام ١٩٨٤ ، الامم المتحدة ، نيويورك ١٩٨٥ من 34FF . حسب معلومات اخرى عن الاونيدو ،

Digitized by Birzeit University Library

حصة أسيا العربية وافريقيا في ١٩٨١ هي ٥ بالمائة لكل منهما (انظر : الاونيدو ، الصناعة في الثمانينات ، المصدر المذكور ، ص ١٩) .

(٧) في ١٩٨٥ سيكون تحت تصرف السعودية ٥ ـ ٥ بالمائة من الامكانات البتروكيماوية الدولية . توجد ، واقعيا ، الآن حواجز حماية عالية في البلدان الصناعية الغربية ضد الصادرات البتروكيماوية من العربية السعودية . انظر : دراسة موجزة عن التطور الاقتصادي والاجتماعي في منطقة ECWA ١٩٨٥ ، الامم المتحدة ، المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، الوثيقة E/1985/77 ، ٢٩ أيار ١٩٨٥ ، ص ٥ .

(٨) الاونيدو ، الصناعة في عالم متغير . عدد خاص من : دراسة التطور الاقتصادي ، من اجل المؤتمر العام الرابع للاونيدو ، الامم المتحدة ، نيويورك ١٩٨٣ ، ص ١٢٢ .

(٩) المصدر نفسه ص ١٢٦ .

(١٠) انظر : « فرانكفورتر الغيماينة تسايتونغ » ، فرانكفورت ، ٢٩ اب ١٩٨٤ .

(١١) انظر : بوغوسلافسكين ، و . ك . جانشكو ، الاونيدو الرابع : تصالح الدول الفنية ، في : التجارة الخارجية ، موسكو (الطبعة الالمانية) ، ٢/ ١٩٨٥ ، ص ٤٣ ـ ٤٧ .

(١٢) انظر : وضع الدول العربية فيما يتعلق بالمسائل ، التي ستناقش في المؤتمر الرابع للاونيدو ، والتي حددت في اجتماع لمنظمة التنمية الصناعية العربية ، ضم وزراء الصناعة في الدول العربية ، وعقد في تونس بتاريخ ٦ ـ ٩ تموز ١٩٨٤ ، وثيقة ID/CONF. 5/37 ، ١٩ تموز ١٩٨٤ ص ٣ ف ـ ف .

(١٣) المصدر نفسه .

(١٤) اونكتاد ، تقرير ١٩٨٣ حول التجارة والتنمية ، الامم المتحدة ، نيويورك ، ١٩٨٣ ، ص ١ .

(١٥) المصدر نفسه .

(١٦) انظر : « المصدر نفسه ، تقرير المؤتمر الرابع للاونيدو ، وثيقة مؤتمر القمة العام لبلدان عدم الانحياز ١٩٨٣ في نيودلهي ID/CONF. 5/46 ، ١١ ايلول ١٩٨٤ ص FF 1 ، اونيسلتن انظر مثلا : تسليفانت ، و . روتال على تشغلات مركز توريد الشرق الاوسط ، التكامل الاقتصادي في آسيا ، في : بنك ـ ارشيف النمسا ، ٢/ ١٩٢٣ ، ص ٨٩ (بالالمانية) .

(١٨) هذا خصوصا باستخدام صناعيق وبترك التنمية العربية وقروضها ، التي تمنحها الحكومات او المؤسسات الخاصة . انظر : بارتيل ، م . م . فويتشت : المؤسسات البترولية العربية وصناديق التنمية ، في : الكتاب السنوي لنمية آسيا ـ افريقيا ـ امريكا اللاتينية . مولان واحداث ١٩٨١ ، برلين ١٩٨٢ ، ص ١٠٣ ـ ١٢٢ (بالالمانية) .

الاونكتاد ، « التمامن المالي للتنمية : المساعدة التنموية من اجل الاوبيك ومؤسساتها للبلدان النامية الاخرى » ، الامم المتحدة ، نيويورك ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ .

(١٩) انظر : من الجملة ، ماجمان ب . ، « منطيق التعاون العربي الصناعي » في : التقرير الاقتصادي العربي ، الذي نشره الاتحاد العام لغرف التجارة ، والصناعة والزراعة في البلدان العربية ، عدد ٤ ، الكويت الثاني ١٩٨٢ ، ص ١٩ ف ـ ف .

(٢٠) اذا كان الاستهلاك العربي للبترول مستمرا في الارتفاع في المعدل الحالي ، والصادرات العربية من البترول تبقى في مستوى ١٩٧٧ ، فان احتياطي البترول العربي ، الذي يبقى في نهاية القرن سيكفي لبعض ١٨ سنة ونصف فقط . انظر : الامام م . م (للنشر) ، تقويم مستقبل عملية التطور العربي في اطار المشروعات الاقليمية والدولية ، معهد التخطيط العربي ، الكويت ١٩٨٠ ، ص ٩ ـ ٢٤ .

(٢١) « صور عن المستقبل العربي » ، اسماعيل صبري عبد الله ، ابراهيم س . اي . عبد الله ، محمود عبد الفاضل ، على نصار ، لندن ١٩٨٣ ص ١٥٩ ف ـ ف .

(٢٢) انظر : وضع الدول العربية فيما يتعلق بالمسائل . . . المصدر المذكور اعلاه ص ٥ ف ـ ف .

(٢٣) انظر : جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، « استراتيجية لتطوير التربية العربية » ، تقرير شامل ، القاهرة ١٩٧٦ .

(٢٤) انظر ، من الجملة ، « معالجات بديلة لبعض مشكلات التنمية : التكنولوجيا ـ في : « صور للمستقبل العربي » ، المصدر المذكور اعلاه ، ص ١٨٤ ـ ١٩١ ، الجولي ، أو . أ . ، « التخطيط الطويل الامد للعلم والتكنولوجيا في مصر حتى العام ٢٠٠٠ » ، القاهرة (معهد التخطيط القومي) ١٩٧٧ .

(٢٥) انظر ، مثلا ، الاونيدو ، الموارد المالية للمشروعات الصناعية في البلدان النامية ، الامم المتحدة (نيويا ١٩٨٣) ، مجلد ٣ و ٤ . الفصول ، المؤسسات الدولية والاقليمية ، المؤسسات العربية ذات العمليات الدولية ، مؤسسات تمويل التنمية في افريقيا والشرق الاوسط ، فيتفوس ، ا . ت ، « تطوير نظام مصرفي عالمي للتنمية » في : التقرير الاقتصادي العربي ، الصادر عن الاتحاد العام للغرف . عدد ١٠ ، كانون الثاني ١٩٨٥ ، ص ٥٤ ـ ٥٤ ، بارتيل ، م . م . فويتشت ، المؤسسات البترولية العربية وصناديق التنمية ، المصدر المذكور اعلاه ، اونكتاد ، التضامن المالي . المصدر المذكور اعلاه .

(٢٦) انظر ، مثلا ، اول مؤتمر عربي للطاقة : خطوة اولى على طريق طويل . في نشرة الاوبيك ، الكويت ، ٤/ ١٩٧٩ .

(٢٧) انظر : دراسة عن المنظمة العربية للتنمية (الحوطوم) ، وعنوانها : « استراتيجية الامن الغذائي في البلدان العربية » وهي ملخصة في : صور عن المستقبل العربي ، المصدر المذكور اعلاه ، ص ٧١ ـ ٧٩ .

(٢٨) انظر ، مثلا ، عبد الله ، اي . س . ، « الحاجات الاساسية : هل يؤدي تحليلها الى تغيير الاستهلاك ؟ » ، ويلدوي ، م . س . س . العنتري ، « تأمين حاجات الناس الاساسية في الوطن العربي حتى عام ٢٠٠٠ » ، الدراسات اعدتها لمركز التنمية الصناعية للدول العربية ، تقوة حول استراتيجية التنمية الصناعية لبلدية الحاجات الاساسية ، طرابلس ، ٢ ـ ٤ نيسان ، ١٩٧٩ .

(٢٩) انظر ، من الجملة ، دجاني ، ب . ، « منطيق التعاون العربي الصناعي » المصدر المذكور ، فيتفوس ، اي . ، « الامكانات من اجل التكامل الصناعي العربي » في : التقرير العربي الصناعي ، عدد ٩ ، المصدر المذكور ، ص ٨٤ ـ ٨٤ .

(٣٠) انظر : دفناق ، ن ، « الملامح الاساسية لظاهرة المشروعات المشتركة في العمل الاقتصادي العربي المشترك » ، جامعة الدول العربية ، السكرتارية العامة ، الادارة العامة للشؤون الاقتصادية ، تونس ١٩٨٢ (بالعربية) ، القضيان ، اي . ، « المشروعات العربية المشتركة كشكل للتعاون الاقتصادي العربي » : دراسة اقتصادية ـ حقوقية . اطروحة جامعية ، ليبزيغ ١٩٨٥ (بالالمانية) .

(٣١) انظر ، مثلا ، الاونيدو ، « الطلب العربي على سلع التوظيف الرأسمالي في المدى القصير ، والمتوسط والطويل » سلسلة دراسات العمل القطاعي ، عدد ١٨ ، وثيقة ISI.45 ، ٨ اذار ١٩٨٤ .

(٣٢) انظر : « برنامج من أجل عقد من التنمية الصناعية لافريقيا ، اطار لصياغة وتنفيذ البرامج على المستويات القومية ، والاقليمية ، الجزئية ، والاقليمية ، والدولية ، وقد اعدته اللجنة الاقتصادية لشؤون افريقيا ، بالتعاون مع منظمة الوحدة الافريقية ، والاونيدو ، الامم المتحدة ، نيويورك ١٩٨٢ ، تنفيذ عقد من التنمية الصناعية من أجل افريقيا ، توطئة للمؤتمر العام للامم المتحدة ، الجمعية العامة/ والمجلس الاقتصادي والاجتماعي ، الوثيقة E/1984/108 - A 39/30 ، ١٤ حزيران ١٩٨٤ .

(٣٣) « صور عن المستقبل العربي » المصدر المذكور ، ص ٢١١ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٣ ف ـ ف .

(٣٥) انظر : ستوكليكي س . ل . ا . فريدمان ، ل . ف . اندرسوفوتش ، « التي الاقتصادية للبلدان النامية » ، تحليل اقتصادي ـ احصائي ، موسكو ١٩٨٥ (بالروسية) .

(٣٦) انظر : عبد الله ، اي . سي ، « النهاج البديلة للتطور واشكال الحياة في اسيا الغربية » ، رسالة مفصلية ونظرة عامة ، اللجنة الاقتصادية التابعة للامم المتحدة من اجل غرب آسيا ، وبرنامج البيئة التابع للامم المتحدة ، بيروت ، كانون الاول ١٩٧٩ ، ص ١٠٨ .

(٣٧) « التنمية والشفاء . حقائق النظرة المبادل البلدية ، تقرير السكرتير العام للاونكتاد ، الى الجلسة السادسة للمؤتمر ، الامم المتحدة ، نيويورك ، ١٩٨٤ ، ص ٣٥ .

(٣٨) انظر : الاونكتاد ، وثيقة TD/B/AC. 38/2. Add. 1 ، ١١ نيسان ١٩٨٤ .

(٣٩) انظر : هونيشر ، و . هـ . و . وولبرز التعاون الاقتصادي بين البلدان الاشتراكية والبلدان النامية في : التنمية والتقدم ، القاهرة ، ٤/ ١٩٨٣ ، ص ٣٢ ـ ٥٢ (بالانكليزية) ، ن . اوشاكوفا ، « التعاون الصناعي بين مجلس التعاون الاقتصادي المبادل (الكوميكون) والبلدان النامية ، في : الاونيدو ، الصناعة والتنمية ، عدد ٢ ، الامم المتحدة ، نيويورك ، ص ٥٩ ـ ٦٦ .

(٤٠) انظر : « بيان البلدان الاعضاء في مجلس التعاون الاقتصادي المبادل ، الحفاظ على السلام والتعاون الاقتصادي الدولي » في : نشرة الدول الخارجية ، تقوة فيه نشر مقابلة خالد بكداش ، الامين العام للحزب ، مع صحيفة « السفير » ، وخطاب مجالتل غرباشوف في الجمعية العامة للامم المتحدة ، وقضايا تخص الاتحاد السوفياتي ، موسكو ١٩٨٤ ، ص ٢٩ .

« قضايا السلم والاشتراكية »

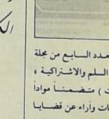

وحدة الكلمة

صدر العدد السابع من مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » (الـوفـد) متضمنا موادا ومناقشات وآراء عن قضايا الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمية . وقد تضمن في الشأن العربي اسهامة من نعيم الاشهب عن انتفاضة الاراضي المحتلة ، وفي الصراع بين المعسكر الامبريالي والاشتراكي تضمن دراسات عن النزعة العسكرية للرأسمالية ، والمراكز الثقافية الدولية في مواجهة القضايا العالمية . وآراء ومناقشات عن قضايا الديمقراطية في امريكا اللاتينية ، ورجال الدين في الصراع الاشتراكي . وقد يوسف سعدون عن التطور الاجتماعي والسياسي في سوريا من عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٦٣ . اضافة الى الاسهامات في باب « ثقافة وادب » الى شارك فيها محمود وهب ، محمد علي طه ، وليد قارصلي ، طه مراد ، عزيز نيسن .

« دراسات اشتراكية »

صدر العدد الاول لهذه السنة من مجلة « دراسات اشتراكية » التي يصدرها الحزب الشيوعي السوري ، واعيد فيه نشر مقابلة خالد بكداش ، الامين العام للحزب ، مع صحيفة « السفير » ، وخطاب ميخائيل غرباشوف في الجمعية العامة للامم المتحدة ، وقضايا تخص الاتحاد السوفياتي ، وقضايا تخص الشيوعيين السوفيات ، وقضايا تخص الشيوعيين السوفيات ، وقضايا تخص الشيوعيين السوفيات

حلم اللوحة على الساحل الكاتالوني !

• زهير الجزائري •

سلفادور دالي

■ « من تلك اللحظة الفاصلة بين الحلم واليقظة نأتي مشاهد لوحاتي » .. هذه الجملة التي وردت في « حياة دالي السرية » تشكل مفتاح عالمه الغرائبي الملتبس العصي على اي منطق . فهي هذه اللحظة ، كما يقول دالي ، تختلط بقبابا الحلم العالق بالمخيلة ، مع المشهد المتموّش الذي تراه العين نصف المفتوحة والعقل الناعس من هلوسات الليل .

ولكن ، وسع كل ما في الحلم من معطيات الواقع ، يستخدم دالي « بوتقة كيميائية » لاعادة تركيب الحلم او لتثبيت في الواقع ، ودائماً كانت هذه البوتقة على منظر الساحل الكاتالوني الذي رآه دالي حالما فتح عينيه على العالم ، وداب على ان يراه صباح كل يوم متعمداً ترك ستارة الغرفة مفتوحة لرآه اولا « وقد نسيت جسدي على السرير » .. على هذا المشهد العريض للشاطيء المغمور بشمس البحر المتوسط ولد سلفادور دالي في مدينة فيجوراس الصغيرة الواقعة جنوبي الساحل ، وعلى ارضية هذا المشهد اختمرت عملية امتزاج الحلم بالواقع في اعماله اللاحقة . « لست كاتالونيا فقط ، بل علي ، وبكل ما لدي من طاقة حلمية ، ان اصبح كاتالونياً » هكذا يقول دالي .

بدأ اهتمام دالي بالرسم مبكراً جداً ، منذ الثامنة ، وقد داب خلال زيارته الصيفية للساحل الكاتالوني على رسم المناظر الطبيعية . وظهرت نزعته الدائمة (حب الذات) منذ صباه باهتمامه بالاناقة المفرطة التي تميزه عن زملاء الدراسة . وقد كتب في دفتره باعتزاز « انا اكثر زملائي وسامة » ، وبدأ اول خروج عن المنظر الطبيعي برسم صورته الشخصية امام مرآة . وقد لاحظ والده ، كاتب العدل الليبرالي ، مزاج الفنان عند ابنه فارسله للدراسة الاكاديمية في اكاديمية سان فرناندو للفنون في مدريد ، لكن الدراسة الاكاديمية لم تلائم مزاج الشاب الكاتالوني المتقلب الاطوار ، الذي يتم بمظهره وصرعاته الغريبة اكثر من علاماته المدرسية . لذلك كان يترك الاكاديمية مفضلا قضاء الوقت برسم على الساحل الكاتالوني ، او يقضي الوقت في المتاحف يستنتج اعمال غريس وسوريه والرواد الايطاليين للمدرسة الميتافيزيقية . وكذلك رسامي عصر النهضة مثل دافنشي .

وقد اعلن دالي مرة ، هناك كهف في تحاويف دماغي يتصل بعصر النهضة . وتكمن هذه الصلة في الاهتمامات الشاملة التي تجمعه مع فناني ذلك العصر (الفلك ، الفلسفة ، الاديان ، العلم ، الشعر .. الخ) وقد ظهرت تأثيرات الانطباعيين واضحة في اعماله الاولى التي رسمها على الساحل . فيها ترتبط الحجارة المتناثرة على الرمال بالسحب المقطعة الطافية في السماء ، ويبدو واضحاً تأثير بونارد ، حيث تتحول الشخصية تدريجياً تاركة المجال لتغطية تعكس حرارة الضوء في المشهد العريض الذي تتقابل فيه الارض والسماء المتوهجة .

وقد استخدم دالي اساليب وتكنيكات متعددة ، ولكن البحث للامساك بما هو كوني يبدأ هنا من خلال الخلفية الضبابية للمورتريهات التي رسمها متأثراً برسامي الغرافيك الفرنسيين . وخلال تردده على مدريد ، وعلى باحة الاكاديمية ، التقى الكتاب والفنانين الطليعيين (غارسيا لوركا ، بابن بيللو ، لويس بونويل ، يوجين مونيه ، رافائيل بارادييس) . ورغم انه لم يرتبط بالميول اليسارية لهذه المجموعة ، الا انه اعتقل لعدة اسابيع خلال عودته الى فيجوراس ، حيث اكتشف سلطات المدينة ان المشترك الوحيد باطرحة الشيوعية الفرنسية « الموماتيه » هو ابن كاتب العدل دالي .. وزاد في شكوكها ان الوالد نفسه لا يخفي تعاطفه مع الحركة الانفصالية الكاتالونية .

توطدت علاقة الرسام دالي مع الشاعر الاندلسي لوركا ، حيث داب لوركا على المجيء الى الساحل الكاتالوني ، ليقضي اياماً في بيت دالي ، وقد كتب دالي « يوميات البغدري » : « هذا الصديق الاندلسي المتوهج المحروم ، كسب قلب العائلة ، وخاصة الوالد والاخت ، خلال قراءاته لقصائده ومسرحية « ماريانا بينيدا » . ولن ينسى لوركا العون الذي قدمه له الرسامون الكاتالونيون الذين استمعوا الى قصائده باهتمام واوجدوا له ، غير الكتابة ، موهبة لم يكن يصدقها .. فقد اكتشفوه كرسام باهر . لقد احب لوركا سحر الساحل الكاتالوني واهدى واحدة من قصائده لشقيقة دالي . وكتب قصيدة « غنائية الى سلفادور دالي » :

وردة في الحدائق العالية انت ايتها الرغبة
عجلة في عبارة الحديد النقية
انت نجب الموضوع ،
حين يعجز القطر عن رفع مظلته .
وتجد المعمار المشيّد في الغياب
وترفع العلم كمن يؤدي مزحة سهلة .

اوه سلفادور دالي ذو الصوت الزيتوني .

اني اقول ما يقوله لي شخصك ورسومك .

وكان لهذه الصداقة العميقة تأثيرها المتبادل على الشاعر والرسام ، وعلى دالي بالتحديد ، حيث اكتشف مع قصائد لوركا سحر الاساطير الشعبية والقوة الصورية للكلمة وتعارض المترادفات والمجازات الثقافية ، وقد تجلى تأثير لوركا في العناوين الادبية للوحات دالي . وقد حرص دالي على رسم تخطيطات دواوين لوركا ووضع ديكور مسرحيته « ماريانا بينيدا » ورسم له عدة بورتريهات . وكان لوركا دليله الى الاتجاهات الثقافية الطليعية ، وبالتحديد ، السريالية التي بدأت طلائعها في فرنسا .

السريالية

عام ١٩٢٩ انتمى دالي الى الحركة السريالية . ولكنه كان مهتما ، قبل ذلك ، لفول فكرتها . فقد تأثر ، قبل ذلك ، بالاعمال الميتافيزيقية المليئة بالاقواس والالاتية والساحات الخالية والمغمورة بالضوء المسرحي الكئيب . ثم تأثر بتجارب بيكاسو للتأليف بين التكعيبية وفن النحت الافريقي . وقد بدأ دالي اولى محاولاته التكعيبية مستخدماً اللونين الاحمر الصيني والزيتوني القاتم .. وعند زيارته الاولى لباريس عام ١٩٢٧ ، ذهب مباشرة الى بيت بيكاسو وقال له : « جئتك قبل ان اذهب الى اللوفر ، وعرض عليه اعماله . فلم يعلق بيكاسو بكلمة . وعندما أوصله الى الباب نظر اليه بطريقة تقول : « لقد التقطت الفكرة » . هكذا يصف دالي لقاءه الاول مع بيكاسو . وقد داب دالي على زيارة باريس ليتابع الاتجاهات الحديثة (التكعيبية والدادائية والسريالية) . وفي عام ١٩٢٨ عاد دالي الى باريس برفقة صديقه ومواطنه خوان ميرو الذي عرفه على السرياليين . وعاد الى كاتالونيا برفقة لويس بونويل ، حيث وضعا في مدينة فيجوراس سيناريو وتخطيطات اول فيلم سريالي « الكلب الاندلسي » . وعندما انضم الى الجماعة السريالية كان قد اصبح سريالياً قبل ذلك !

وكانت السريالية ، التي انتمى اليها دالي وكرس لها حياته واعماله تشكل اتجاهاً غريبا الى حد التافر . ليس بين المنضوين اليها ذلك التقارب التشكلي الذي ميّز التكعيبيين والوحشيين . ولذلك يمكن اعتبارها طريقة رؤيا اكثر كما هي مدرسة او اتجاه فني . بدأها الشعراء اولا معتمدين على تجارب سابقة « رامبو وبودلير ومالارميه ولوتريامون » ، الذين سعوا لمخالفة المألوف . ولكن الحركة التي بدأها اندريه برتون وبول الوار ورامبل دوشاب اكتسحت كل الفنون الاخرى ، واوفاها الفن التشكيلي . وقد جمعت السرياليين تلك الثورة العارمة على تقاليد المجتمع البرجوازي الخارج من حرب كونية ويقف على شفا حرب ثانية .

وقد هز السرياليون المجتمع والحياة بديناميتهم العالية وروح التحدي العالي التي يترافق فيها الاتساع الفني مع السلوك الشخصي في وحدة عضوية . وقد عملوا بتبرعهم النظرية المذهوبة على تأصيل حركتهم مع تمرد الاسلاف . ففي الشعر اتصلوا برامبو وبودلير ومالارميه وأدهار الان بو ووصلوا حتى الاساطير التي رافقت طفولة البشرية . وفي الرسم اكتشفوا جذورهم في عصر النهضة ، في اعمال ليوناردو دافنشي وبوتش وبروغيل ، وعادوا الى الفنون التزيينية الشرقية والفنون البدائية الافريقية ذات القوة التعبيرية الغرائبية . وارتبطت توتريهم على الجماليات الاكاديمية البرجوازية ، بأي حركة اكتشاف او تمرد على الواقع . فقد وجدوا المبيع نفسه سريالياً وكذلك كولومبوس ، وفي طفولة ماركس هي « تغيير العالم » شعاراً لهم ، وفي ثورة لينين على القيصرية تورتهم . وارتبطوا بالحركات اليسارية الداعية لتغيير العالم (الشيوعية والفوضوية والدادائية) .

وقد اكد برتون الطابع الثوري للحركة في بيان لاحق ، ان علينا ان نؤكد على الحقيقة التي يتجاهلها اكثر النقاد حين يتحدثون عن عمل له طابع سريالي ، ولا يعرفه الجمهور ، وهي ان السريالية كانت منذ البداية وحتى النهاية حركة ثورية ، وهذه الحركة هدفان تلخصهما العبارتان ، ان تبدل الحياة ، كما يقول رامبو وتبدل العالم ، كما يقول ماركس . وتبديل العالم يعني ان تبدل الشعور ، وتوجه الروح في اتجاهات جديدة وتبعد الفرد عن النظرة العقلانية للعالم ويضاف هذه النظرة الشاعرية ، ما قبل عن تبديل العالم عن النظرة الاخلاقية والاجتماعية » .

ولكن في داخل حرية التمرد العريضة هذه ثمة تيارات متعارضة . فالسرياليون الذين ارتبطوا بالحركة الثورية حاولوا اتجاه انسجام بين الحركة وتطور الوعي الاجتماعي وحاولوا ان يجدوا امتدادات السريالية في الحركات والانتفاضات الشعبية . وقد حاول السرياليون الاميركيون اللاتينيون مثل توفيلن الكوبي ونيرودا التشيلي ، وديغو ريفيرا وفونيوزو الايطاليين وسكيروس المكسيكي ، ان يوصلوا السريالية بالانتفاضات الشعبية والرسوم الجدارية في الاحياء الشعبية والعمالية ، ويستمدوا رموزهم من التراث الشعبي والفنون الوطنية .

الفرويدية والسريالية

بينما اعتمد تيار آخر ، كليا ، على الاطروحات الفرويدية ، حول تحرير اللاشعور من سيطرة العقل ، لطرح الثورة السريالية ، باعتبارها ثورة ذاتية بحتة ، بعيدة عن اي هموم جماعية واي التزام اخلاقي وسياسي ، انها تتصل بالضرائر البدائية السديمية وبالآن العليا والفيدو .

وقد جذب سلفادور دالي الخارج توا من التكعيبية ، المنحى الثاني ، وبالتحديد اهتمام السريالية بالحلم .

والسرياليون عموماً ، وباشكال مختلفة قد تأثروا بتفسيرات فرويد للحلال والابداع . فقد اعتبره ، وهو يصدد حالات مرضية محددة في اعمال دستويفسكي ودافنشي شكلاً من تصعيد الرغبات اللاشعورية ، واعتبار الابداع شكلاً من التحايل والمهادنة بين مبدأي الواقع واللذة ، حيث يقوم الفن باستعمال الرقابة الاجتماعية على الوعي واطلاق الرغبات الشعورية الكامنة على شكل رموز واحيلة لتحقيق نوع من التوازن النفسي للفنان وللمتلقي الذي يتمثل العمل .

وقد صعد السرياليون من النزعة الفرويدية لتعميم الفانتوبيات الجرثية ، واعطوا لهذه التحديدات الجرثية بعداً شمولياً باعتبارهم التعبير عن الرغبات اللاشعورية مهمة الفن السريالي . وكما جاء في بيانهم الاول الصادر في عام ١٩٢٤ : « السريالية اسم مذكر يدل على الآلية النفاثية لعمل الفكر بعيدا عن رقابة العقل والقيم الجمالية والخلقية » .. وقد اهتم السرياليون بالمفهوم الفرويدي للحلم باعتباره يظهر عن طريقين : « فاما ان يكون لحافز غريزي مقموع عادة ـ رغبة لا شعورية ـ من القوة ما يكفي للتأثير في الأنا اثناء النوم ، او ان يتنى ليل مستيعد من حياة اليقظة ، اي لسلسلة الافكار القبلشعورية ـ بكل ما يتصل بما من حوافز متصارعة ـ ان تزداد في النوم قوة باتضمام عنصر لا شعوري اليها » . وفي غياب الأنا الاخلاقية والجمالية يتدفق الهوى اللاشعوري الذي عوّل عليه السرياليون . ولذلك اعتبر الرؤيا والصور التي تظهر في الذهن ، حين يكون متلألأ للنوم ، الحالة السريالية الانقى ، هذه الهلوسة النظيفة هي خمة حياتنا الذهنية ، كما يقول برتون .

وفي سبيلهم لتحرير فيض الفريحة من ربقة العقل كانوا يستحضرون شكلاً من احلام اليقظة عن طريق الكتابة تحت التنويم المغناطيسي ، وجلسات الكتابة الجماعية التلقائية ، حيث يكمل احد الشعراء ، بدون تأن ، الشطر الذي بدأه الآخر . وكان فيلسوف الحركة اندريه برتون يسجل الكلمات التي تتدفق خلال هذيان سريع ليوثق هذا الهذيان قبل ان يحتويه العقل . وقد سمى هذا الفيض بـ « الخطول المغناطيسية » .

وقد اعتمد الرسامون الفنية التلقائية الكامنة في الرسم السريع الذي يشبه الهذيان الكلامي كما كان يفعل اندريه ماسون . ولكن التيار الاجتماعي داخل السريالية لم يعتبر هذه الطريقة التلقائية غاية لذاتها ، انما استخدموها كمتطلق للعمل وللتحريض الدافع الداخلي للانطلاق . وتغيير الرغبة في الاكتشاف ولايجاد عالم اكثر حقيقية ولايجاد نوع من الانسجام بين العالمين الداخلي والخارجي . ولايجاد شكل من السيطرة الشعرية على الواقع .

ولكن الأنماط الذاتي الغرائزي في السريالية ، اعتبر هذه الهذيانات غاية لذاتها ونوعاً من التطهير الذاتي الابداعي يذكر بـ « التطهير » الارسطي وشكلاً من تغليب « مبدأ اللذة » على « مبدأ الواقع » .

لوحة « مدينة البارانويا النقدية »

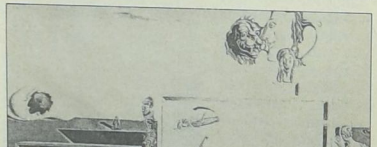

لوحة « الرغبة المضاءة »

Digitized by Birzeit University Library

التقدية البارناوية

وقد جاء دالي الى السريالية صيف عام ١٩٢٩ وهو أقرب السرياليين الى فرويد . فقد قرأ، قرأت عديدة ، كتاباته عن تفسير الاحلام والتحليل النفسي ، وبالتأكيد كتابه عن ليوناردو دافنشي . وهو يبدو الاكثر التصاقاً بالحلم ، فذاكرة الحلم بالنسبة له اشمل من ذاكرة اليقظة . وتعيد له الاحلام ذكريات ليست في متناول المستيقظ . ويستخدم الحالم رموزاً لغوية وصورية صادرة من المراحل المبكرة لتطور اللغة . وغالباً ما يستعيد الحالم انطباعات طفولية منسية بالكبت . وقد تكون جزءاً من التراث الذي آل الى الطفل الذي يعتمد الى الاسلاف وضربهم حتى ما قبل التاريخ الانساني . على هذا الافق السديمي العنصري المطلق اللاجتماعي واللاتاريخي الذي وصفه فرويد ، بنى دالي آلية عجيبة ، انا تقصي لا أعرف معنى ما أرسمه ، لكن هذا لا يعني ان رسومي بلا معنى . فالمعنى متضمن في اعماق الحلم والرغبة البايولوجية المجسدة فيها » . . هكذا أجاب دالي السائلين عن معاني لوحاته .

وقد جاء دالي الى السريالية بمزاجه (الايبيري) البالغ الميال لمخالفة المألوف ، والمحب للبطولة الاسطورية . وأسس لغته وللآخرين الطريقة التي سماها اندريه بريتون « التقدية البارناوية » والتي اظهرت نجاحها من خلال الاستخدام في الرسم والشعر والسينما والنحت والازياء . وقد وصف دالي طريقته بانها شكل من اشكال تثبيت وتفسير العالم الوهمي بالمفاهيمات الحسي ، حيث يمتلك الخيال الانسان الى حد الجنون المتصمد حتى تبدو الاشياء غير الواقعية ، كما لو انها الحقيقة الواقعة .

ولم يكن هذا الاسلوب جديداً على السرياليين . فقد كان ماكس ايرنست يستخدم شكلاً من تحضير الرؤى . وعندما تستعصي الاحلام على دالي يتبع اسلوباً كان يستخدمه ليوناردو دافنشي بأن يحدق في الجدران القديمة والسحب ، او في الرماد ليستخلص منها مشاهد فانتازية لمناظر وحروب . وكان هامنت قد حث بولونيوس على اتباع هذه الطريقة في تحضير الرؤى :

هامنت : اترى تلك السحابة التي تشبه شكل الجمل .

بولونيوس : والغربان ، ايها حقاً كالجمل .

هامنت : أظنها كابن عرس .

بولونيوس : ظهرها كابن عرس .

هامنت : او كالحوت .

بولونيوس : كالحوت تماماً .

وفي مذكراته « السرية » يصف دالي « اجلس عند قدم السرير ، في لحظة قبل النوم ، متيناً المشهد الذي رسمته في ذهني لاحظه في صلب الحلم الذي سأراه بعد قليل » . وهذا التمسك العنيد بحماية الحلم هو الذي جعل فرويد يميز دالي بين السرياليين ، الذين رأى تعرضهم في لندن « الاكثرهم اثارة للاهتمام بهلوسات الجنية » . ويتبع دالي تحليل فرويد الذي يعتبر الرغبات اللاشعورية الحقيقية التي يغلب عليها الطابع الجنسي كامنة في طفولة الطفل وابداع الفنان . ولذلك يشحن دالي اعماله برموز مستقاة من النظرية الجنسية الفرويدية ويضعها كمجازات أدبية ضمن لوحاته « الرغبة السائلة » الشهوة غير المشبعة ، وخلال عملية الرسم يقوم دالي بتوثيق احلامه وخيالاته توثيقاً دقيقاً لدرجة ان هذه الاحيلة تقترب من ان تشكل امامنا كوقائع . ودالي الافلاطوني يرى معنى الاشياء لا يكمن فيها ، انما فينا نحن ، الناظرين اليها ، ونسبغه عليها خلال عملية التملك المرضي . ولذلك تحلق الاشكال التي يرسمها داعلنا بلبلة محيرة بازدواجية معناها الموغل في الواقعية والموغل في الغرابة في الوقت ذاته ، لانها تتصل مع الاحلام برموز غامضة تعود حتى الى طفولة البشرية المتخمة بالاساطير .

ابن الساحل الكاتالوني

ولكن ، وعلى خلاف عجايبيه من السرياليين ، مثل خوان ميرو وماكس ايرنست ، لا يستبيط دالي مشاهده من المخيلة البحتة ، انما يستمدهي هذه المشاهد من المراقبة المباشرة ، او من مشاهد سبق وان رآها في طفولته . وتكون نخيلة دالي في بوتقة مشهد واقعي شبه ثابت ، هو الساحل الكاتالوني الذي قضى دالي عليه عينيه لاول مرة ، حيث ولد في مدينة فيغورداس الواقعة جنوب هذا الساحل . « هل تصدق ما يقال بأنه ما دامت الارض كروية فهناك منظر طبيعي حيثما ذهبت ؟! » هكذا يتساءل دالي باستنكار ، ثم يمد « هناك قليل جداً من المناظر ، وما دام لا يوجد اكثر من انف واحد في الوجه المستديم ، فان المنظر الطبيعي موجود في مكان واحد ، وهو كاتالونيا باعتبارها انف العالم الوحيد » . . ويأتي التأثير البحري للمشاهد الكاتالوني من الشمس المتوسطية الساطعة التي تغمر رمال الشاطىء وتعطي للصخور المتناثرة عليه ذلك الحضور السحري الثقيل . وتخرج مدينة فيغورداس من قاع الخليج المغلق وتصعد الى الاعلى كأنها تظهر من العدم الى ضوء المسرح الباهر ، تماماً كما ظهرت طلبطلة في الليل للرسام الحالم الغريكو . وقد بقي دالي طوال حياته وفياً لهذا المشهد ، يأتيه منه طفولته ، كل صيف . ويطل عليه من مرافئ برج مفنور القديم ، حيث يبدو المشهد كتلة عريضة والمساحات الخالية اكثر امتلاء . وحالما ارتبط بحبيبة عمره غالا احضرها الى هذا الساحل واشترى بقلوده القليلة بيت صياد على الساحل « ما أن افتح الباب وانا نصف نائم حتى يمتد الساحل بمستوى النظر » . وعندما تعرف على الشاعر الاندلسي لوركا دعاه لقضاء الصيف على هذا الشاطىء ، تحت الشمس او ضوء القمر . وقد دعا الجماعة السريالية ، بعد ارتباطه بها ، لزيارة المكان . وجاء ايلوار وفالا وماكس ايرنست وبريتون ليرجم « المحجر بعينه » . . لقد ترك هذا المشهد تأثيره الدائم على معظم اعمال دالي ، فالمزاوزق الحالية الناتمة على المرمال ، والجبال المشدودة بالاوتاد وهياكل الحيوانات الجبرية والاصداف التي تركها المدّ ، والديدان التي خرجت الى السطح تحوذه الشمس ، والباب المفتوح على الساحل والبرج القديم المائل ازاء الافق وصابون الاسماك وقاطعو الزيتون والمقطعة الاغصان التي تنطوي تلال كاتالونيا . هذا الساحل وحدائه المتناثرة لا بد ان تتكرر في اعمال دالي وتكون المادة الاولى لخيلته واعماله اللاحقة . حتى سيولة الاحلام والالوان الحادة المتناثرة التي تظهر في بعض اعمال دالي (الزرافة المحترقة ، دم احلى من العسل ، الرغبة غير المشبعة) تعود الى المناخ الغاري لهذا الساحل والى سطوح الالوان تحت الشمس المتوسطية . وقد انتبه اندريه مالرو في كتابه « متحف النفس الخيالي » الى ان دالي ، من بين عجايبه ، لم يشارك في احداث العصر المثيرة ، لانه يولي غاضبه من الاهتمام ويستغني عن الحاضر . ولذلك تتضمن اعماله نوعاً من رومانتيكية الحنين الى المكان الاول . ولعل اصوله الكاتالونية جعلته شديد الالتصاق بالعالم المحسوس ، بما يرى ويؤكل ويشم ويسمع . وللطعام موقع مهم في اعمال دالي ويعود ذلك الى التربية الكاتالونية بالنزعة الطوالي لا تحرض على اطعام المختزير بشكل جيد قبل ذبحه . ولديهم مثل يقول « قطعة حاضرة من الجبن افضل من جبل موعود به » . بل ان اهتمام دالي بالمأكل ، كمقياس للنجاح والشهرة ، يرتبط بالنزعة التجارية لاحداثه الفيفيقين اللذين اسسوا مدينة فيجوراس كمدينة تجارة مع الشرق .

واقعية خيالية

وهذا الارتباط الوثيق بالمشهد المحسوس للمكان المحدد دفع دالي لان يقاوم التأثير الكلي للتكعيبية وعناصر التجريد والتصميم بالشبث بمبادىء الكلاسيكية . ويقوم عمل دالي على اعادة تنظيم الواقع وبعناصر واقعية ، لكن هذه العناصر تتعرض امامه لعملية تحول بايولوجية . وتتعرض خصائصها الاساسية الى التغير بحيث يسيل الحديد وتنثف الجدران وتتحول الآلات الموسيقية الصلبة الى مجرد جلد خاو ، ويصبح ظل الاشياء اكثر صلابة من الاشياء نفسها . « كل شيء قابل للسيلان في مصهر دالي ومن مادته الذاتية يمكن ان تخرج اشياء اخرى لا علاقة لها بالشكل الاول . فالسيلة لدالي الافلاطوني يصبح ما موجود في الاشياء موجود اصلا فينا ولذلك تصبح الصورة خلقاً للروح او ايتاناً حراً لمخيلة الرسام . ويجب دالي على السؤال نفسه الذي طرحه هو على السرياليين : كيف نثبت الاحلام على قماشة اللوحة ، بطريقة عمله التي يصفها : « ها أنذا طوال النهار أمام الحامل ، كنت أثبت لوحتي كوسيط مغناطيسي لاري انتشال عناصر خيالي الخاص منها . وعندما تتوضح الصورة على اللوحة ، ارسمها في الحال وهي حارة » .

وبيئة الأنية المباشرة لن ينتظر دالي تكامل عناصر موضوعه ، انما يشرع بالعمل دون تردد ، ويحتفظ بأقصى طاقة ممكنة خلال العمل بتبهجر عجيلته . ولكن دالي لن يفترق عن العناصر الواقعية في موضوعه . يركزها في عجيلته ، أو حتى أمام عجيلته ، وعلى قماشة اللوحة يرسم الاشياء باسلوب واقعي ولكنه يصبح ما موجود في الاشياء موجود اصلا فينا ولذلك تصبح الصورة خلقاً للروح او ايتاناً حراً لمخيلة الرسام . ويجب دالي على السؤال نفسه الذي طرحه هو على السرياليين : كيف نثبت الاحلام على قماشة اللوحة ، بطريقة عمله التي يصفها : « ها أنذا طوال النهار أمام الحامل ، كنت أثبت لوحتي كوسيط مغناطيسي لاري انتشال عناصر خيالي الخاص منها . وعندما تتوضح الصورة على اللوحة ، ارسمها في الحال وهي حارة » .

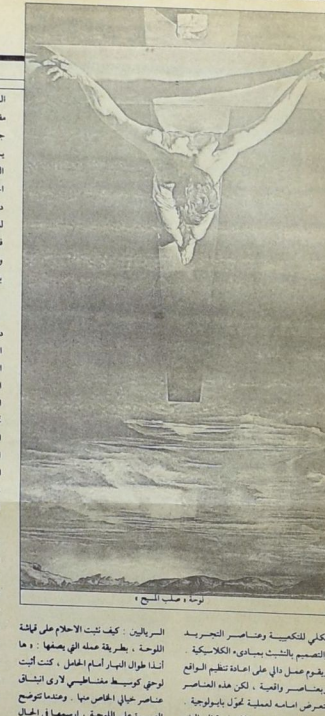

« لوحة « صلب المسيح »

« لوحة « ميلاد رجل جديد »

« لوحة « الزرافة المحترقة »

الدمج بين الحقيقتين المتنافرتين تامة او مقاربة تعطي للصورة شحنة من حقيقة جديدة لا علاقة لها بالحقيقتين السابقتين . يسميها السرياليون هادة « الحقيقة الشعرية » المعادلة للحلم . ولحت الضوء الحاكي الكتيب ، الذي يسم لوحات دالي ، يكمن المظهر الخداع لصوره المبلبلة للذهن ، وهي تتعب ، بأسلوبها الواقعي ، فخاحاً بصرية بحيث تبدو الاشياء هي وليست هي في الوقت نفسه ، وتعطينا انجاه باننا رأينا الذي نراه في مكان وزمان ما .

سريالي بدون سرياليين

خلال احاديثه على الصحفيين قال دالي : « خلاق الوحيد مع السرياليين هو اني سريالي » . ولكن للطبيعة دالي مع السرياليين ، التي بدأت عام ١٩٣٤ ، اسباب اخرى . . فمن المؤكد ان نزعة دالي الاستعراضية لم ترض السرياليين ، لانها تحول الفكرة السريالية ، الى طرفة لامتاع البرجوازية بدلاً عن كسر الثابت في اخلاقها . ومن المؤكد ان دالي استخدم النزعة الاستعراضية للوصول الى شهر شخصية خاصة به خارج الجماعة السريالية .

وغرائب سلوك دالي الى لا تحد طفت على اعماله ، بل وعلى الفكرة السريالية والجانب الثوري فيها . فقبل افتتاح اول معرض يأتي الناس بلهفة ، لا ليروا اعماله دالي ، انما الكيفية التي سيفتتح بها معرضه : هل سيخرج دالي من بالوعة ؟ ام يتنزل بمظلة من السقف ؟ ام يأتي يتأبوت ؟ ام حاملاً قطعة عجين طولها ستزين ؟ ام سيارة مرسيدس مليئة بالقرنابيط ؟ وهل سيتحدث للناس وهو بعدة الغواصين داخل صندوق زجاجي مملوء بالماء ؟

وربما بسبب هذه النزعة الاستعراضية وروح الاثارة ، كاد الى الوحيد بين السرياليين الذي دعي لاقامة معرض فردي له في الولايات المتحدة ، واحيط بجو اعلاني خاص وعروض مفتوحة لاستخدام شهرته كماده اعلانية . وبعد زياراته للولايات المتحدة ، بدأت تبرز النزعة الاستعراضية عند دالي ، واخذ يتجه الى اسلوب اكاديمي محافظ في اعماله التي رسمت تحت الطلب لبنوك وكنائس واجهات بنايات . كانت مواقف السرياليين تتجلى بأجهاد متاصرة الجمهوريين في الحرب الاهلية الاسبانية ، ومناصرة حرب التحرير الجزائرية . وبمبادرة منهم تألست الجمعية الدولية للفنانين والكتاب الثوريين ، مقابل ذلك كانت ميول دالي المحافظة والذاتية المتخلفة تتجه نحو اليمين . لم يقبل كلمة رثاء او احتجاج واكتفى بعد اغتيال صديقه لوركا على يد الكتائب : « أفضل اكل السمك على تذكر الذين يقتلون بالرصاص » . . هكذا اجاب الذين سألوه عن موقف . بل عجد دالي نقطة لقاء بينه وبين فرانكو ، كلاهما يسوعي محافظ . وقد استغر السرياليون من اهتمام دالي بشخصية هتلر وإعزازه في عدد من لوحاته . وعندما سأله بريتون عن سر هذا الاعجاب ، اجاب دالي : « لا علاقة له بالسياسة ، البارناوية هي التي تجذبني اليه » . . وقد وجد السرياليون في نزعات دالي الكاثوليكية ، الملكية ، المناصرة للدكتاتورية وفي المنحى التجاري الفاضح الذي اتخذته شاجحاً ما يعده من المنحى الثوري لفكرتهم . ورغم اصرار دالي ، حتى أواخر ايام حياته ، على انه السريالي الحقيقي ، الا ان سريالية دالي ارتبطت في النهاية بالنزعة الاعلاقية الغرائية . ففي « يوميات عشرين » يتحدث عن عنصر الصنعة في هذه الغرائية : « في كل صباح ، لحظة يقظتي ، اجرب متعة سامية ، وهي ان اكون سلفادور دالي ، وأسأل نفسي بدهشة متيمة : ما الشيء الغريب الذي سيفعله جلالة سلفادور دالي ؟ » ■

المصادر

١- Dali-Robert Deschernes -
-Abrams- New york
٢- Dali- Dawn Ades - The world of Art
library
٣- Dada and Surrealism- Dawn
Ades - Thams and Hudson
٤- Dali- Conory Madox - Hymlyn
٥- دراسة في السلوك الجنسي الشاذ (ليوناردو دو دافنشي) سيجموند فرويد
٦- « الموجز في التحليل النفسي » سيجموند فرويد.
٧- « الفن في القرن العشرين » جوزيف اميل مولر، ترجمة سوفة فرح المعوري.
٨- « حول الفن الحديث » جورج ا. فلاجلين ترجمة وتقديم كمال الملاخ
٩- ملف خاص عن السريالية شكلاً ومضموناً ، نشر في العدد التاسع من مجلة « الحياة التشكيلية » .

Digitized by Birzeit University Library

"مدن الملح"

التفكك واعادة البناء

"الاخدود" / الكتابة الديمقراطية

الحلقة - ٤ -

عبد الرزاق عيد

■ لعل أول وأهم سمة مميزة للديمقراطية هي الاقرار بمبدأ التعددية ، وقد ولدت الرواية بمشابهتها ملحمة المجتمع البرجوازي ، اي انها كانت المعادل الفني والجمالي للتفكير العقلاني ، الذي راح يدك أسس الوهي اللاهوتي للعالم ، ذلك الوهي الذي لا يقر الا بوحدانية قراءته وفهمه وادراكه للعالم ، بمثابته تأتياً لقوة مطلقة متوحدة في تعاليها الميتافيزيكي المركز حول ذاته باعتبارها المصدر الوحيد للحقيقة .

فالعقلانية التي كانت نتاج تطور العلوم التجريبية ، أدت الى لغم كل المسلمات نحو العالم بالارتياب ، فانطلق العقل الانساني متحرراً من كل قيوده لا يقر الا بموضوعية العالم وواقعيته بوصفه القيمة المعيارية الوحيدة لاختبار الحقيقة . هذه الانطلاقة فككت كل البنى المسركزة للعالم القديم ، لتشيع جواً من الحرية التعبيرية والاعتقادية والمذهبية ، حيث غدت الديمقراطية هي المقياس الرئيسي لعقلانية المجتمع والاقرار بواقعية تعددية وتنوع الطبيعة والحياة والمجتمع ، فكل ما هو واقعي عقلاني ، وكل ما هو عقلاني واقعي .

في هذا المناخ العقلاني مصرفياً ، الديمقراطي اجتماعياً وسياسياً ، ولدت الرواية بوصفها انعكاساً كاملاً ومتكاملاً للعصر حيث تمثلت فيها اصوات العصر الاجتماعية والايديولوجية كلها ، اي كل لغات العصر الجوهرية الى حد ما ، فعلى الرواية ان تكون عمهر التنوع الكلامي [1] الى حد تعبير باختين ، فاللغة الادبية لتلك في الرواية اداة تنوعها الكلامية ، والتنوع الكلامي ، ذاته يصبح في الرواية ، وبفضل الرواية ، تنوعاً كلامياً من اجل ذاته : اللغات فيها تترابط حوارياً وتأخذ في الوجود الواحدة لاجل الاخرى (تماماً كأطراف الحوار) وبفضل الرواية بالذات تتبادل اللغات الانارة وتصبح اللغة الادبية حوار لغات تعرف احداها الاخرى وتفهمها » [2] .

هذا الفهم الباختيني للرواية ، القائم على وعي اهمية تعدد الاصوات الروائية وتنوع الكلام ورفض ان تكون الرواية منبراً وعظياً لمؤلف لممارسة استبداده الايديولوجي ، ربما يدوليس حديثاً ، فتاريخ الادب ونظرية الرواية اكدت كثيراً على اهمية استقلالية الشخصية الروائية عن مبدعها واهمية القيمة النموذجية والتمثلية التي تعبر عبرها الشخصية عن السيماء الذهنية والفكرية لطبقة او شريحة اجتماعية ، ينبني على الروائي ان يقدمها في سيرورتها الاجتماعية والبيكولوجية التي تميزها .

لكن فكرة ديمقراطية الفضاء الروائي عند باختين تأخذ صياغة نظرية متكاملة ، تبدأ من الكلمة الروائية وصولاً الى العلاقات الداخلية البانية للعمل الروائي ، حيث تغدو ديمقراطية النظام الداخلي للرواية شرطاً ضرورياً لتحقيق روائيتها وادبيتها . ان مصدر هذا الفهم هو ادراك اهمية الديمقراطية في الحياة الاجتماعية ذاتها والتي يرى باختين ، انطلاقاً من نظرية الانعكاس اللينينية ، ان الرواية هي انعكاس كامل ومتكامل للعصر حيث يجب ان تتوفر على كل اصوات العصر الاجتماعية والايديولوجية . ان توكيد باختين على الديمقراطية والتعددية الصوتية الايديولوجية والتنوع الكلامي ، وان لا قيمة للكلمة الا في كونها تحمل توجهاً حوارياً مع كليات العصر ، وكليات العصر هي التي تمنحها امكانات فنية وابداعية جوهرية ، وان النقد الذاتي للكلمة هي الخصيصة الجوهرية للجنس الروائي ، يقول ان هذه الصياغة النظرية انما هي رد واحتجاج ونقد عميق للصياغة الحداثوية لمفهوم الادب ووظيفته ، وهو في الوقت ذاته احتجاج عميق على التالينية وصوتها الايديولوجي الواحد الذي يحتوي اي صوت حواري معاير ولية تعددية في فهم الحياة والواقع حتى على ارضية الاشراء (كيذاتها، واسهاماته باختين اسهامات نظرية تعميقية لصياغة رؤية ماركسية - لينينية ديمقراطية علاقة للابداع ونظريات الجمالية .

لقد اطلق بيلنسكي على رواية « اوتيفين » ليوتكين اسم « موسوعة الحياة الروسية » وهذا الحكم ينطبق الى حد كبير على « مدن ملح » عبد الرحمن منيف في انها تطمح لان تكون « موسوعة الحياة العربية » فلقد جمع منيف في موران كل الاقليميات العربية ، فموران بمقدار ما تشير دلالياً الى مدينة نفطية ، فهي ترتقي من خلال التنوع الكلامي ، وتعددية الاصوات العربية لتغدو ، مجازاً ، تشكلاً للمدينة العربية عموماً ، على الرغم من كل التباينات التي يحملها التعدد الصوتي للشخوص القادمين من سوريا وليبان ومصر والعراق والسعودية وبلدان الخليج بمجموعها .

ان تعدد النماذج الروائية العربية التي ساهمت بنباء موران انما هو تأكيد لطموح الروائي في التقاط الخصائص النموذجية لبناء المدينة العربية ، عبر مساهمة كل العرب في بنائها ، وتأكيد على ان للسياق التاريخي الذي حكم بناء المدينة النفطية العربية ، والتي هي اليوم حاضرة العرب السياسية ، ومركز استقطاب قرارهم السياسي ، انما

بنيت من خلال عملية التقاطع بين النسق المحلي والنسق العربي .

فاذا كان نجيب محفوظ وحنا مينه والطيب صالح واميل حبيبي وغسان كنفاني وغائب طعمة فرمان ، قد قدموا حقيقة موسوعة الحياة الخاصة لمجتمعاتهم فان منيف يقدم هذه الموسوعة عبر دمجها بالبنية العمرية الشاملة ، ولعل الحلقة المركزية في انطلاقة الكاتب المعرفية لتعميم حكمه الجمالي هذا ، لا ينطلق من التباينات في مستوى تطور القوى المنتجة في هذا البلد العربي او ذاك ، فهو يدركها جيداً ، عبر الخبرات العربية التي جلبها لبناء مدينة موران ، لكن الكاتب ينطلق من ان ما يوحد المدينة العربية ، هو افتقادها للمجتمع المدني ، اي المتمرس والمتميز ، ولا وجود لكيانات ذات دلالة عامة لا تعود لاحد ، اي ذات دلالة عامة وقائدة الشخصية ، بل هي كلمة نمطية من الناحية الاجتماعية ، يوصفها كلمة فس او فارس او تاجر او فلاح او حقوقي » [3] .

فهناك في « مدن الملح » يتفكك النظام اللغوي الى لغة الحكيم صبحي المحلجي فيلسوف بناء الدولة (الموراتية) . وهناك لغة السلطان الالي لا تتبرلغته الشخصية سوى لغة المحلجي التي هي تكثيف للغة الايديولوجية والثقافية والاجتماعية الرسمية العربية . وهناك لغة حاد المقتصد كلامياً ، والفاعلة فعمياً . وهناك اللغة الاميركية التي يكتبها النص عربياً . ثم هناك لغة العالم للديمقراطية ، وعندها كانت موران رمزاً للمحلي والعربي الذي يتقاطع مع العالمي كيف لكن منيف من بناء المدينة القومية هذه ؟!

ان تجربة الكاتب الفريدة وعيشه الطويل في اكثر من قطر عربي ساهمه ، الى حد كبير ، في التقاط تنوع الكلام العربي الثقافي والايديولوجي في اطار وحدة اللغة الموحدة المركزة في سلطتها الايديولوجية ، وحدة الخطاب اللغوي المنغلق على ذاته في تعارضه مع تعددية الاصوات . انه نظام الخطاب اللغوي العربي الرسمي الذي يطوي على رفضه الموحد للديمقراطية . فقام الكاتب بعملية تفكيك منظم هذه اللغة الرسمية الى اليقاعات واصوات كلامية متعددة عبر عمهر التنوع الكلامي ، فلكل كلمة في الرواية - حسب باختين - صاحبها المفترض والمتميز ، ولا وجود لكلمات ذات دلالة عامة لا تعود لاحد ، اي ذات دلالة عامة وقائدة الشخصية ، بل هي كلمة نمطية من الناحية الاجتماعية ، يوصفها كلمة فس او فارس او تاجر او فلاح او حقوقي » [4] .

فهناك في « مدن الملح » يتفكك النظام اللغوي الى لغة الحكيم صبحي المحلجي فيلسوف بناء الدولة (الموراتية) . وهناك لغة السلطان الالي لا تتبرلغته الشخصية سوى لغة المحلجي التي هي تكثيف للغة الايديولوجية والثقافية والاجتماعية الرسمية العربية . وهناك لغة حاد المقتصد كلامياً ، والفاعلة فعمياً . وهناك اللغة الاميركية التي يكتبها النص عربياً . ثم هناك لغة العالم السفلي للمجتمع الموراتي (منصب - مفقي ، نجمة المتقال ، ابن النفاع ، صالح الرشدان ، شمران العتيبي ... وغيرهم) . والمثلي وسط هذا الحشد الهائل من التعدد الصوتي والتنوع الكلامي ، يتصدر عليه المنشور على المؤلف في اية من مستويات اللغة ، حتى عندما تسرد فهي تكون بتلون موضوعاتها . المؤلف دائماً في المركز التنظيمي لتقاطع المستويات اللغوية ، وهو قادر على التوجيه والتخفي وراء المحاكاة الساخرة للغة الرسمية المركزية وهو يفتح من آفاق ملؤها الدفء والحرارة الانسانية عندما تنطق لغات القاع ، عندها يبرز المستوى الكلامي لـ « الف ليلة وليلة » بمثابتها النص الادبي الشعبي المعارض للخطاب الرسمي السلطوي .

« مدن الملح » لا تبحث عن تحقيق النص الديمقراطي عبر رسالتها الايديولوجية ، بل عبر تحققها كبناء ، ولغة وتخصوص . انها تكتب الديمقراطية الحاضرة ، عبر العلاقة المتبادلة المتحمونة بالحوارية بين المستويات المتعددة للغات واصواتها الايديولوجية ، دون اي لعب شكلي بالكلمات ، او اي ارتكاز على الموروث اللاهي الخطابي ذي الصوت المتفرد للقول المسنيد روائياً ومن ثم معرفياً . وهذه العلاقة الداخلية للقول الروائي المؤسس على التطوير المتبادل للكلمة الروائية المدمجة بالواقع لحمي القول الروائي من احاديث المسطحة ، فالكلمة عندما تتصل عن الواقع تحمل تدميرها لذاتها بذاتها ، وتدفع بالحوار الخارجي المتبادل بين الاصوات الروائية الى ثانية قيمة اخلاقية تضيع قيمتها الادبية لصالح وعظية منبرية . فالقول الروائي اكثر تعقيداً وديناميكية حول لا يأخذ في الاعتبار الا توجهه لموضوعه وقدرته التعبيرية الاحادية الصوت المباشرة [5] .

الكلمة الروائية عند منيف مشخصة ، محددة ، اجتماعية ، وليس موقفاً معنوياً مجرداً . فهي لا تنبى على اختلافات معنوية مجردة ولا على صدامات خالصة في الحدث ، بل على تناقض اجتماعي مشخص .

يقول شمران العتيبي ، غاضباً شداه مع حاد ، مذكراً ابناء بحديث الناس في السوق : « قالوا في بداية الزمان ما تلقى الا اولاد الحرام والسفلة والاوباش وخفارى الفور . وما تشوف الا السفاحين والقوادين والبهارة ، ويتبع من جوا الفاح اللئام واصحاب الفراطيس السودا والحصيان والمدنشين بالنباشين وحاملي الاختام واصحاب الشفاعة وكتاب الملاعين » .. ثم يتابع بنبرة جديدة : « واي نعم .. وفي نهاية الزمان يملأ الارض الايتام والارامل والمجانين والخشاشين والدراويش الهاربين من الظلم ، وتنلى ، التهاوير بالجوحاتين والمظلومين ، وتصير البلاد من اولتها تدانيها سجن كبير فيصبح الداخل مفقود والخارج مولود ، لكنها ما تدوم .. اللي يحكمون ويرسمون ، في نهاية الزمان ، يا ابو غانم ، يصيرون تنابيل ولما يعود بقلوبهم شفقة او رحمة ، ويطوون اسم معمرين مثل نوح عليه السلام ، ويطلقون الازلامهم يقتلون ويهبون ، لكن اذا جاءت النازلة انكر الابن أباه والعبيد مولاه ، وسلموا على ارواحهم وبكوا فرحاً ولعنوا الاقربين والابعدين وقالوا ليتنا كنا نسياً منسياً » ا - ص ٦١٦ - . لقد اطلنا في اختيار هذا المقطع ليمكننا ان نتبين بعض المميزات الاسلوبية للكلمة الروائية عند منيف ، واهم مميزات هذا الاسلوب هو : التهجين ، والتهجين هنا قائم بين لغتين اجتماعيتين في نطاق القول ذاته ، حيث يقوم على وعيين : وعي معمّر ووعي متصوّر ، والتركيب التهجيني هنا تركيب واع ، قائم على وعي لغة لكاتب (المصوّر) للغة شمران ، وهو يثير اللغة المصوّرة بوعي لغوي آخر .

فنرهنا تجاه لغة نجس الفصحى (لغة الكاتب) باللغة المحكية (لغة شمران) . وهذا فهي تمثلة بحوار داخلي بين مستويين من الوعي ، وعي الكاتب ، ووعي الشخصية . وهذا فهو يفكك الوحدة اللغوية الاصطلاحية الرسمية الى تنوع كلامي يستند الى مراجع عدة :

١ - مرجع اللغة الشفهية المحكية بكل انفعالها المندمج بنسيج الحياة ، الذي لا يأبه بالقوانين النحوية والصرفية لغتها .

٢ - مرجع الشكل اللغوي الحكائي ، الذي يستند الى الشكل الحكائي في « الف ليلة وليلة » .

٣ - المرجع الديني القرآني ، حيث يذكر الابن أباه والعبيد مولاه ، ويقولون ليتنا كنا نسياً منسياً .

٤ - مرجع وعي الكاتب ولغته التي

Digitized by Birzeit University Library

تشكل مركزاً وسطاً للتوازن بين المستويات المرجعية الثلاثة ، انه الوعي المصور ، الوعي المكوّن لبث العضوية التاريخية والحياتية في هذا التركيب المحجبي الواعي

هكذا تنشأ الحوارية الداخلية للقول الروائي ، والذي فيه تكمن ايضا ، حيث يتناسج الوعي اللغوي للمؤلف بمتانته وعيا لغويا مكوّناً ، ليتفاعل في المستويات اللغوية الاخرى المكوّنة ، بهدف قول الحقيقة المصرفية والايديولوجية عبر الحوار وليس الوسط . عبر التنوع الكلامي ، وليس الخطاب المفرد خالق كل القدرة على الاحاطة بعالمه الطبيعي والروائي . وبذلك يمكن لنيف ان يوزع الحقيقة التي يريد قولها توزيعا اوركستراليا عبر انصهار قولين في قول واحد ، واقامة نسق من المزاوجة بين

نجيب خوري

اللغات منظم فيها ، نسق يرمي الى اثارة لغة بلغة وتشكيل صورة حية للغة بلغة اخرى ، وصدام حواري بين وعي وآخر ، لتكون الحقيقة ثمرة تعددية القول وديمقراطيته .

والوجه الآخر لهذه اللغة المهجنة القائمة وعي اسلوبي سوسيولوجي منظم فنياً ، ترى وجه اللغة الاخرى الرسمية المتركزة لتكثفها على نظام متماسك للغة ، يتماسك وعيه المتلقي نحو العالم وانطوائه على حقائقه الوعية المتسيدة التي تسعى الى جذب كل اللغات والاصوات لدعمها بصوتها الارهابي المقرر . وهذه المزية الاسلوبية تكثفها من خلال عجائبها للتنوع الكلامي للعالم السفلي للمجتمع بكل تراثه وغناه وكثافته الانسانية والاجتماعية .

وتشكل هذا الصوت بصوت المحتملين فيلسوف وباني دولة موران ، حيث صوت المؤلف ينسحب باعتدال مطيّ علاقة حوارية مع صوت الوعي الرسمي ، عبر صحة من الحرية تتفاعل في ثنايا الحوار الداخلي للغة .

يقول المحتملين : « أنا وموران .. وهذا الزمان ! »

وهنا يتدخل صوت المؤلف واصفا بجدلية سردية موشاة بسخرية مبطنة ليقول : « وضحك بفرح لان كلامه كان شعراً خالصا » ! - ص ٢٢ - .

ان المحاكاة الساخرة التي يلجأ لها منيف قلما تبدي عن نزعة هجائية تقويمية اخلاقية انما تنبثق من سيرورة حركة الحدث والشخصية ، من الموقف ذاته ، ولذا فهو يزرع اللغة الروائية السلطوية الرسمية بأقلام غير مبرئية من السخرية المبطنة التي تتجاوب مع سمات الشخصية ، وما يتلاءم مع لغتها ، واللغة في الرواية ، لغة اية شخصية ، هي في الاخيرة وجهة نظر من العالم ، ورؤية للآخر ، تتبدى عبر اصطدامها الحواري به . انها ألقى اجتماعي ايديولوجي للشخصية بمتانتها معبرة عن وعي جماعة ، شريحة ، طبقة ، ووجهة النظر هذه لا تستند الى غلاف معنوي ذهني مع الآخر ، بل تتناقض معه في حضورها المتشخص ، المجسد اجتماعيا ، عبر التهجين الواعي المتعمد والتبئير الساخر الذي يتغلغل في النسيج الموضوعي للصوت اللغوي وصورته « فالمحتملين الذي يفكر بضرورة الفلسفة للدولة ، لم يفضل ليلة واحدة عن ان الفلسفة اساس الفكر والعلوم . كما انه هو الوحيد المؤهل للقيام بهذه المهمة » - ص ٢٣٩ - .

« فقد اصبح المحتملين على يقين يترنح ويتزايد يوما بعد آخر ، انه ليس مجرد مستشار للسلطان ، وانما هو مندوب لامر عظيم:بناء دولة » - ص ٢٣٨ - .

« فبعد جهد متواصل ، وبمثابرة لا تعرف التعب او التوقف ، توصل الى فلسفة المراكز الاربعة او نظرية المربع » - ص ٢٤٠ - .

وقبل عرض نظرية المربع ، يتحدث الراوي بلغة المحتملين ، فتارة يشير الى ان المحكوم في اكتشافه لنظريته هذه ليست نزوة من نزوات الخيال ، وهي لا تشبه ماقرأه المحكوم في كتب التاريخ ، ويعود من جديد الى التبئير المطعّن بالسخرية ، انها « نظريته هو » . وبالخصيصة السردية نفسها ، التي تبدو وكأنها لغة الراوي . يضمر الكاتب قوله في قول المحتملين ، فيمهم القولان متبدين عن قول واحد بأسلوب شكل موضوعية السرد ، وذاتية الصوت الآخر للكاتب الذي يلغم صوت المحتملين بتبئيره الساخر المبطن ، فيتخلى السرد بالحيوية ، وتنشأ الحوارية الداخلية للقول الروائي الذي يحمل في بنيته ، ذاتها ، الاطروحة والاطروحة المضادة ؟ انه القول الروائي الذي يحمل مفارقاته في داخله ، اما كيف توصل المحكوم الى نظرية المربع فانه يتنبه حين يتذكر » - ص ٢٤١ - . ولا شك ان المتلقي ذاته سيشارك المحكوم ايمانه ، فالاول يتنبه غروراً وتبجحا والثاني اي المتلقي ، سيتنبه ساخرا ، عندما يسمع قول المحكوم لنفسه « مثلما اكتشف نيوتن قانون الجاذبية من سقوط التفاحة ، وقبله ارخميدس وهو يستحم ، كذلك وجدت نفسي اكتشف نظرية المربع . فالاشياء كلها تقوم في جوهرها ، على هذه النظرية : اولا واخيرا الاركان هي اربعة ، الكرسي ، مثلا ، لكي يكون راسخا على اتم انسجام ، يقوم على اربع ارجل ، وكذلك الطاولة والسرير وكل شيء آخر . ليس هذا فقط ، اذا تأملنا الطبيعة نجد انها تقوم على نظرية المربع : الفصول الاربعة ، الاتجاهات الاربعة ، حتى عناصر الطبيعة هي اربعة : الهواء ، النار ، والماء ، والتراب ، وتركيب المخلوقات يقوم على نظرية المربع ايضا : الحيوان يمشي على اربع ، الانسان يمشي على اربع » .

المستوى اللغوي هنا المعبر عن صوت المحتملين ، يتكثف من تنوع كلامي ، في علاقة الدال بالمدلول ، في علاقة القول بالمحطة الموتسولوجية ، وانها هو مندوب لامر عظيم:بناء دولة » - ص ٢٣٨ - .

« فبعد جهد متواصل ، وبمثابرة لا تعرف التعب او التوقف ، توصل الى فلسفة المراكز الاربعة او نظرية المربع » - ص ٢٤٠ - .

وقبل عرض نظرية المربع ، يتحدث الراوي بلغة المحتملين ، فتارة يشير الى ان المحكوم في اكتشافه لنظريته هذه ليست نزوة من نزوات الخيال ، وهي لا تشبه ماقرأه المحكوم في كتب التاريخ ، ويعود من جديد الى التبئير المطعّن بالسخرية ، انها « نظريته هو » . وبالخصيصة السردية نفسها ، التي تتجلى والانسان في المشي على اربع ، حسب نظرية المربع

هذا التهجين الدلالي ، والتنوع الكلامي ، والتعدد الصوتي في نماذج قول الراوي مع قول الشخصية (المحكوم) عبر التبئير الساخر هو الذي يمنح القول الروائي حواريته الداخلية التي فيها تكمن ادبية الادب وروائية الرواية .

اما الحوار الخارجي الخالص بين الشخصيات ، وهو عامل اساس في بناء رواية « مدن الملح » ، فان الكاتب يتبدى عن احاطة عميقة ومدهشة في اكتناهه للتنوع الكلامي للغة الشفهية المحكية ، وهي تكتنز الامثال والمأثور البدوي والمدني والامثال تخضع لعملية اعادة انتاج تجترحها صوت المؤلف لصياغتها صياغة نمطية تتلاءم واصوات العالم السفلي الاجتماعي وغناه ، وهي ، في اغلبها ، تحمل تحيزاً متحيفا للقول الوطني ، وما يتضمنه من غنى في الحكمة والرجولة والشهامة والطيبة والعفوية والبراءة والتخلف ايضا

فالقول الوطني المعرض والمتحيزله روائيا ، لا يعبر عن ذاته برومانتيكية انفعالية ايديولوجية تجيدية ، بل برؤية واقعية تستند الى علاقات الواقع الحضورية بكل خصوبتها وحيويتها ، والواقع في نص منيف ليس واقعا جامدا متشيئا ، بل هو واقع تاريخي صيروري اشكالي في امتلاكه معرفيا ، حيث تغدو مسألة المثاقفة وما يشتق عنها من صياغات تشغل الفكر العربي الحديث منذ عصر النهضة حتى اليوم ، ونقطة البدوة فيها هي اشكالية الاصالة والمعاصرة التي تخترق نص « مدن الملح » باعتبارها هي الاشكالية المعرفية الاساسية التي تهيمن على النص ، وعلى المستويات الايديولوجية ، والاجتماعية والفلسفية والثقافية التي تتبنى في فضاءاته ، وهذه الاشكالية لا بد من ان يفرد لها بحث خاص ■

الهوامش

(١) ياهتين ، « الكلمة في الرواية » ، ترجمة يوسف حلاق ، دمشق ، وزارة الثقافة - ص ٢١٥

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٠٠

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠١

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٩

قراءة في

تخطيطات رياض بيدس الأولية

المرور في شوارع الانتفاضة الخلفية

● فاطمة المحسن ●

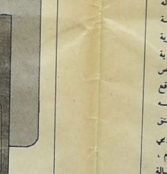

■ تقدمة المجموعة القصصية الجديدة لرياض بيدس « تخطيطات اولية » تقول باختصار انه شاب فلسطيني يعيش بحيفا في الارض المحتلة . وفي مجموعته « الملك » التي صدرت عام ١٩٨٥ يتحدث رياض بيدس عن حيفا مطولا في القصة التي حملت عنوان المجموعة .

ذلك التعريف الذي يكشف عن مواطنية الكاتب ليس له شأن كبير في مهمة القراءة النقدية لمجموعة قصصية ، فدور شأنه الوجداني او العاطفي الذي يدفعه فضول انتظار الجديد ، جديد العلاقة بين الحدث الكبير ، وتمييزاته الفنية . الثورة وتجلياتها الادبية . وذلك امر على قدر كبير من صعوبة التحقق آنيا ، فالثورة لا تحبر رغيف الادب بين ليلة وضحاها ، ولكنها بالختم تنتج جديدها المختلف بنزاوة وخفاء يتسرب في ثنايا النص الذي يشبه الساند ، ولكنه يختلف عنه برائحة ما ، بشيء يشبه السر الخفي الذي تدركه ويفلت منا . عين ما يكمل مشروعه ، ويكتمل بين واحد او اثنين من بين من يتقدموا من كتاب قرأت المخاضات الصعبة . كما اكتمل مرة شعر المقاومة الذي اسس قومية شعرية في الكتابة العبرية ، وكما كان « متشائل » اميل حبيبي ، وه صبار حليفة بخالط السر الابداعي فيهما ، كشف بما لا تعرفه عن تفصيلات واقع يصعب علينا تحمل تضاريسه وعباسه وطقوس ايامه

مجموعة رياض بيدس الجديدة تعبرها من الكتابات الثانية ، القادمة من الارض المحتلة ، تخاورنا نحن الذين بيننا وبين فلسطين تاريخ من الحب الاعمى يجيئه منذ اول اناشيد الطفولة ، وتنبنا عليه ، واخبرنا مصداقية عاطفتنا النابية من خلاله . ولكنه بقي حب البداهة ، حتى ولو قرأنا كتب الارض عن كينونات بني صهيون واول مسيحيي الارض من الفلسطينيين الرعاة الذين ما زالوا يقدمون (الضفرا) في تعرضهم على ابيها

المخيات في الداخل والخارج عزيت بنية الفلسطيني الاصلية ، وهجنت فولكلوره ، والاربعين عاما من الاحتلال الاستيطاني زمن لا يقبل التجاهل . اذن كيف لنا ان نبحث عن فلسطينيته الصالحة بين دخان الكوارث وثقافة موزعة في المنافي وتحت بنادق الاحتلال ؟

ذلك هو الحوار الذي نريد ان نربط خيوله في النص الذي يأتينا من الداخل ، لا بشيء من التساهل ، بل بقدر كبير من الفضول وحب معرفة التفاصيل ومشروعية التعاطف والانحياز .

طبع الحوادث ومخيلة الربط

عشرة قصص حاول فيها رياض بيدس ان يقدم تخطيطات اولية لقول مختلف على صعيد المضمون في الاقل ، في التفصيلات التي كانت مواضيعها الاهم تنطلق من ارض تحمل بزراعها . وهو قد مر على شوارع الانتفاضة الخلفية كعمل نضالي ، ولكنه لم يكن مستعجلا ليخرج ما يجعبته عنها . وتلك فضيلة فنية تحسب له ، لا ضده . فالفعل اليومي للانتفاضة حالة مؤثرة ، يصعب الآن تمثلها ابداعيا ، ولا تستطيع القصص والقصائد ، تلك التي قرأناها في تلفزيوني واحد . اذن هو تريث ولا يقف وجها لوجه امام الانتفاضة الا بلقصة واحدة اقترب بها مثيلا ، فمرة لنا حالة صبي منذ ساعة خروجه من السجن حتى وصوله الى بيته في المخيم ، فكانت واحدة من القصص الاضعف في المجموعة وبالاخص في عاداتها التسجيلية التي حاول ان يصوغها شعرياً ، فحاب سماعه للسبب السالف . واسترسل في قصص الاخرى ببساطة وجرأة ، وفي كر وفر مع دواعي الشكل والبنية واللغة واختيار المواضيع

وكان حاملا هاجس التصادم بالعمل والقول مع الآخر ، المحتل ، ولانه من الاراضي التي احتلت عام ١٩٤٨ ، فكان لا بد له ، لكي يقبل واقعه ، ان يكشف عن هذا الحضور الذي لا يقبل التجاهل ، حضور المحتل الاسرائيلي كثيان وكلفة وتمؤسسات وكحالة انسانية

المختلف ، في مجموعته هذه ، هوانه حاول اجتياز امتحان المتطلبات الصعبة للحدث الفلسطيني اليومي ، الذي يحتدم بالديناميكية العالية ، بمحاولة ضبط النفس ، والدوران عليه هو محاورته بالاحداث الحياتية المواربة . لقد تخلص نوعا ما من نزعته الوعظية التعليمية التي تبدت في مجموعته السابقة عبر قصص الاطفال والشهداء الذين يسقطون في التظاهرات وعلى وجوههم ترتسم الابتسامة . ولكنه بقي لصيقا بواقعية تخلط في احيان في ترتيب موقع القاص من شخوصه كشاهد او كبديل عنهم في السرد . او تحاول ان تغيب المؤلف من خلال مسرحة القصة واعتمادها على حوار الشخصيات فقط . « البؤرة » قصته الاولى في المجموعة تنتمي الى هذا الشكل من الكتابة فهي حوارية بين ثلاثة من الصهاينة يحضره المصري كمستمع وليس من غياب صوت القاص هو محاولة لمعرفة العالم الثاني ، عالم المحتل الاسرائيلي في حوار حيل الآباء الصهاينة يكشف لنا العلاقة بين الانتفاضة والاسرائيلي الذي ينظر بتعال واستكبار الى « العربوش » الذي ينتظر منه حالة تفهم ولو عابرة ، تتضل في واحد منهم ، وهو الذي سجن ابنه لرفضه الخدمة العسكرية في مناطق الانتفاضة . ومع ان تلك الشخصية تبقى مهزورة ، وخارج النسيج المتماسك للحلم الاسرائيلي المتصحر على انسانيته ، الا انها تقصد ان تفتح امامنا كوة في الجدار المعتم .

ان صياغة رياض بيدس للعلاقة بين الفلسطيني والاسرائيلي تتوضح في مجموعة من القصص غير قصته الاولى . ففي القصة التي اسماها « مشهد : لقاء عاطف » بصوغ حوارية بين صبي فلسطيني واسرائيلي تربط

■ تقدمة المجموعة القصصية الجديدة لرياض بيدس « تخطيطات اولية » تقول باختصار انه شاب فلسطيني يعيش بحيفا في الارض المحتلة . وفي مجموعته « الملك » التي صدرت عام ١٩٨٥ يتحدث رياض بيدس عن حيفا مطولا في القصة التي حملت عنوان المجموعة .

ذلك التعريف الذي يكشف عن مواطنية الكاتب ليس له شأن كبير في مهمة القراءة النقدية لمجموعة قصصية ، فدور شأنه الوجداني او العاطفي الذي يدفعه فضول انتظار الجديد ، جديد العلاقة بين الحدث الكبير ، وتمييزاته الفنية . الثورة وتجلياتها

Digitized by Birzeit University Special Collections

بينهما صداقة حميمة . وهي اقرب لمحاولة القصيدة التي تعلن استنكارها للحروب وغياب الأبناء وابهاكهما . وفي قصة «وجهان لرأس واحد» يقيم ، ايضاً ، حواراً بين رب العمل الاسرائيلي والعامل الفلسطيني الذي يغادر عمله ملتحقاً بالانتفاضة . ولعل انجح مقاربة له في البحث عن تمثيل تلك العلاقة ابداعياً قصته « بساط الريح » التي يجهضها تلك النهاية المضطربة التي حاصرها لها . ان هذه الاقتصوصة خطوة لرياض يدس في محاولته الصور في سيكولوجية الشخصية الانسانية من خلال فعلها البراني . ان الاسرائيلي الذي يضطر الى حمل الفلسطيني بسيارته لكي يدله على الطريق يبدو متثاقلاً من تلك الحمولة المريبة ، وقضولياً في الآن نفسه لمعرفة مقاصدها . وفي المقابل يبدو الفلسطيني بحرجه والاحيه الصغيرة التي تريد تطمين قلقه الشخصي ، وقلق الاسرائيلي اقرب الى الهلوس الذي يتغابى لكي يضرب على عصاه هذا الرجل الغريب . تلك المسافة الحاسمة بين الشخصين التي تمثلي بالحلوف ، كان بمقدور الكاتب ان يعمل عليها بأناة وتمهل لتنتج حالة تساوق مع ما بدأت به ، ولكنه كشف في النهاية بعد ان تبعثر نسيجه الفني عن اللامنطق والسذاجة في تلك الشخصية الفلسطينية ، فيما في المقابل تصرف الاسرائيلي اقرب للانسجام مع الواقع . لقد اراد ان يمنح الحوار البسيط المترسل اعماقاً اشمل ، فادحله في قنتارا التغريب والتوصيف الفاضح الى ربما قصد من ورائها ترميزاً او تحميماً للحالة ، وبدا قلب المعادلة ضده فيا .

وفي قصصه الاخرى تبدو الهيئة والحوادث والزمن عرضة الى التجريب بهذا الشكل او ذاك . انه يجرب في السائد المتداول ، وقد يخرج عنه في العودة الى ما كف الكتاب الشباب عن الخوض فيه .

كتب احدى قصصه التي بعنوان « كلب ابن كلب » باسلوب الرسائل التي لا يكف احد الآباء عن ارسالها لابنه التي انقطعت رسائله عنه ، ولم افترضنا ان هذا الاب يراسل شهيداً ، وهذا الافتراض يضعه على القصة من اي اشارة ، ولو عابرة الى الامر ، ليدت القصة على جانب من الجمال والاحتلال . وان خلت من الامر ، فهي لا تتعدى المرور العابر بالبيئة الفلسطينية وتصريف بعقوق الابناء ، وهكذا يجري المتوال بالنسبة للقصة الاخرى « الديك الفصيح » التي تميزت عن المجموعة بنضج في اللغة وتماسك في البنية ، ولكنها لا تفصح لنا عن توابعها وتعميماتها الفنية ، لان نقل حادثة ما حتى ولو كانت على درجة من الغرابة والاعلان عن المتداول اجتماعاً لا تعني شيئاً ، فهناك شيخ اراد ان يتزوج فمنعه ابنه بالضرب ، وهي حالة يتدر ان تحدث في بلد عربي ، ثم يغادر الاب البيت ويتصحر في تل الدجاج بضعة ايام ثم يختفي ويظهر مرة اخرى مع زوجته ! هل هي درس في التصميم ، او موعظة ما ؟ ذلك الامر يصعب الجزم به .

وفي كل الاحوال تبدو قصصه هذه مقابل قصته الطويلة « المسلك » في مجموعته الثانية اقل شأناً ، فـ « المسلك » التي تتحدث عن حيفا والبطالة وهموم المعرفة والسياحة تمتلك كل مقومات القصة الناضجة التي تتابع الحدث بأناة واسترسال ، وهي وان كانت تبدو قصة حياة عادية ، الا ان بناءها ينمو بتفاتية جيلة مقنعة ، واتقالها في الازمة والاساكن وفي دراسة الشخصية وابعادها تدلل على مشروع كاتب يملك مقومات مهمة . ان تلك القصة تبدو غريبة حتى عن سياق كل قصص المجموعة بما تملكه من مقومات .

ان قصة « الحب الصغيرة العابرة » تكمل ذلك المجن الحزين لوجدان هذا الشاب الرومانسي الذي فضل من عمله لاسباب سياسية وطفق يبحث عن مبرر لوجوده وسط تلك الاشياء التي يتأملها بأناة وصبر .

ومع ان مجموعته الجديدة باكملها تبدو خطوة متقدمة على تلك المجموعة بعوالمها ولغتها ومضامينها ، الا انها تحتاج مع احتياجات اليه قصة « المسلك » من بحث صبور في مغزى الحدث وابعاده وقيمة الاسكنة والبنية وترتيبها في سياق بنية مقنعة .

ان الوقائع الساخنة التي تمور بها الارض الفلسطينية تحتاج الى كتاب لا يأتون لنا بالمضامين الجديدة فقط ، بل بحصيلة متأثرة من العمل المؤزوب الذي لا يستحيل الكتابة ، ولا يمل تجربة الخطأ والصواب ، وتلك مواصفات كتابة رياض يدس وغيره من شبيه الارض المحتلة .

● تخطيطات اولية صدرت عن دار نوفال للنشر .

مناقشة

رد على المناصرة في « جنازة النص »

● محمد حسيب القاضي ●

● كنت على عجل من امري ، وانا احرم حقيبتي استعداداً للسفر الى القاهرة في اجازة قصيرة للعائلة هناك ، عندما تصفحت مجلة « الحرية » التي احرص عليها من بين المجلات الكثيرة في قبرص .

ولفت كاتب دهشتي كبيرة حقاً عندما قرات مقالة الصديق القديم الشاعر عز الدين المناصرة الذي لم اره منذ سنوات طويلة منذ ان غادر موقعه الاعلامي في الثورة لاسباب عرفتها فيما بعد ، وان بقي في اعماقه اشد صلة واشباه .

وقد شعرت عند قراءة « دراسة » عز الدين المعنونة « جنازة النص » انه تجنى كثيراً وهو يضع ، نعوته ، ويلقي فيها الشعراء ، ثم بحركة انفعالية تعظم النعوش ويدوس على « الجثث » دون رحمة او تواضع !

هذا الانطباع العام الذي تكون لدي اثر قراءة المقالة بعد « مدبحة » مريرة يتنوبا الكثير من الكبر ياء والغرور الذي ارجعه الى الصديق القديم ، اللهم الا اذا كانت بطاقة مهولة من الكره والعدوانية تجاه الآخرين !

ولم يعذرني عز الدين احتفظ له بالود . واذكره في مقبلاتي الادبية التي تجري معي في القاهرة وغيرها ، لا من باب المجاملة ، وانما باعتباره حقيقة موجودة بيننا .

اول ملاحظة : اثر عز كما يبدو في قد المقطع عن حركة الشعر الفلسطيني اثناء وجوده في فلسطين وانا شخصياً عايشت من ذلك الانتظاع اثناء عملي كمسؤول اذاعة واعلام الثورة الفلسطينية في الجزائر في منتصف السبعينات .. واذكر ان الصديق الشاعر سعدي يوسف اشتكى لي من وجوده في الجزائر للسبب ذاته ولفظة الكتب .

هذا انعكس الامر في مقال عز الدين كون فكرة قديمة عن بعض الاسماء الشعرية التي احتريها ، اعادت الطرف على عداها . وعن ملاحظة تطورات الحركة الشعرية الفلسطينية والالمام بالتيارات الموجودة فيها . وهي تيارات حداثية تقع ضمن التجاوز والتجديد وارتياد افاق مهمة . فهو يمسك بقلم الناقد ليذكر هذا ، وينشطب ذاك . ويسمح لنفسه بان يعطي صكوك الشعر لمن اراد . وينفي وجود اخرين معه في الحركة الشعرية ما زالوا يعطون . ويدعون وهم كتبهم ومؤلفهم على خارطة الشعر ومنهم كاتب هذه السطور .

ومنهم كاتب هذه السطور . تذلل على شروع كاتب يملك مقومات مهمة . ان تلك القصة تبدو غريبة حتى عن سياق كل قصص المجموعة بما تملكه من مقومات .

ان قصة « الحب الصغيرة العابرة » تكمل ذلك المجن الحزين لوجدان هذا الشاب الرومانسي الذي فضل من عمله لاسباب سياسية وطفق يبحث عن مبرر لوجوده وسط تلك الاشياء التي يتأملها بأناة وصبر .

ومع ان مجموعته الجديدة باكملها تبدو خطوة متقدمة على تلك المجموعة بعوالمها ولغتها ومضامينها ، الا انها تحتاج مع احتياجات اليه قصة « المسلك » من بحث صبور في مغزى الحدث وابعاده وقيمة الاسكنة والبنية وترتيبها في سياق بنية مقنعة .

ان الوقائع الساخنة التي تمور بها الارض الفلسطينية تحتاج الى كتاب لا يأتون لنا بالمضامين الجديدة فقط ، بل بحصيلة متأثرة من العمل المؤزوب الذي لا يستحيل الكتابة ، ولا يمل تجربة الخطأ والصواب ، وتلك مواصفات كتابة رياض يدس وغيره

● تخطيطات اولية صدرت عن دار نوفال للنشر .

غبط بكل شيء !

الملاحظة الثانية : كان الاجدر بعز ان يكون اكثر موضوعية وعينة للشعراء . واكثر انصافاً للحقيقة الشعرية اذ ليس من حقه ان يقدم ، ويصنف الشعراء كما يريد لانه ليس ناقداً .. وانما هو شاعر ينتحب عليه ما ينتحب على غيره من اراء في شعره ، ونكاته . فالشاعر يكتب فقط ويترك للنقاد ان يقولوا رايهم فيه . فما بالك ان يقسم الشاعر بالكتابة عن نفسه ويضع اسمه في المقدمة . فاي اهمية هذا طالما انه لم يصدر عن ظرف محايد وموضوعي هو الناقد والحركة الثقافية ولو ترك الامر لغيره لانه يقول عنه ما قاله هو عن نفسه لكان اكرم له . واكبر قيمة !!

الملاحظة الثالثة : ان الذي يتصدى لدراسة « النص » ينبغي ان يدعم وجهة نظره بنهاذج شعرية . ولكن يبدو ان عز لم يكن هدفه ان يطرح وجهة نظر موضوعية في قضية الشعر الفلسطيني واتجاهاته الفنية بقدر اهتمامه بان يبرز نفسه ويتوج اسمه فقط لا غير . وهذا ما اوقعه في مغالطاته القائلة التي جعلته يكتفي بايراد اسمين او ثلاثة ملفيا حركة شعرية كاملة في سبيل تكريس البعض ، واسمه هو اولا واخيرا !! وسبب ذلك هو تعمده تجاهل غيره دون حق ، او لعدم المتابعة الدقيقة لحركة الشعر الفلسطيني ، وبالتالي الخروج برأي موضوعي بعيداً عن « الانا » والذاتية المتضخمة

واتضح الصديق عز ان يكون اكثر متابعة للصحافة الادبية ولانتاج غيره من الشعراء ومنهم كاتب هذه السطور .. حتى يتمكن من التعامل مع الحقائق الشعرية ، والاحاطة بحركة الشعر الفلسطيني واتجاهاته ، ويكفي ان اهمس له بان مقاله احدث ردود فعل سيئة في اوساط الشعراء والمثقفين في الجزيرة .. لكل الاسباب سالفة الذكر .. !

هل اقول اخيراً بالعمل « جنازة » يُعد ان ذبح الصديق الشعر والشعراء والقاهم بجرة قلم .. ووقف على الجثث متباهياً في غرور لا اقبله له بحال من الاحوال .

ومعذرة .. فقد كنت امل ان التقي مع عز في غير هذا الرد السريع ، بعد انقطاع سنوات عديدة .

فالى اللقاء يا عز .

المخرج الالماني لغزي مانفريد فوس لـ "الحرية"

اخرجت عشرة افلام عن القضية الفلسطينية

اجرى المقابلة : أحمد حازم

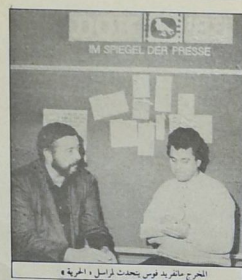

المخرج مانفريد فوس يتحدث لمراسل « الحرية »

■■ يعتبر الفنان مانفريد فوس من المخرجين المعروفين في المانيا الاتحادية ولا سيما في المجال السياسي . وقد كتب ناقد سينمائي في برلين الغربية مقالاً حول تأثير افلامه السياسية . واستنتج بعد ذلك انني استطيع التعبير عن رأيي بصورة اكثر من خلال الفيلم وليس الرسم . ومنذ اواسط الستينات أعمل في الاخراج السينمائي .

■ ما هي نشاطات هذا المخرج ؟ ومنذ متى يعمل في هذا المجال ؟

■■ لقد اخرجت حتى الآن مائة فيلم معظمها سياسية ووثائقية ومنها افلام عن القضية الفلسطينية . ملايين الناس شاهدت هذه الافلام . اريد أن أقدم للجمهور حقيقة ما يجري في العالم . الفلبين العربي له موقف آخر . كما ان الفيلم السياسي في تلفزيون المانيا الاتحادية يعبر عن رأي الحكومة ، ولا سيما التحقيقات حول حركات التحرر والشعوب المضطهدة ، لكننا نرى ان هناك واجبا ملقى علينا وهو ان نقدم تحقيقات عكسية كمخرجين تقدميين . لقد عملت مثلا افلاما سياسية حول مواضيع : « سلاح للفلاحين » وقد ارفعوا ايديكم عن كوبا » او ازالة العنصرية في جنوب افريقيا » او نضال الشعب الفلسطيني » . كما اعمل على الصعيد المحلي بشكل مكثف حول مواضيع مثل مقاومة الفاشية والفاشية الجديدة والبطالة .

■ ما هو الدافع الذي شجعك لدراسة الاخراج السينمائي ؟

■■ في الحقيقة انني درست الرسم في ميونيخ . وانتجت رسومات لقصة سياسية . واستنتجت بعد ذلك انني استطيع التعبير عن رأيي بصورة اكثر من خلال الفيلم وليس الرسم . ومنذ اواسط الستينات أعمل في الاخراج السينمائي .

■ ما هي نشاطاتك على الصعيد الفلسطيني ؟

■■ بعدة اهتمامي بالقضية الفلسطينية الى عام ١٩٧١ ، عندما كنت في زيارة لبعض الدول العربية . واصبحت القضية الفلسطينية عندي قضية رئيسية حيث لمست مدى أهمية مشكلة فلسطين . لقد حضرت دورة المجلس الوطني الفلسطيني في عام ١٩٧١ ومنذ ذلك الحين أهتم باستمرار بما يحاكيه الفلسطينيون . درست مشاكل تلك التنظيمات الفلسطينية في المخيمات واجبا على عليا وهو ان نقدم تحقيقات عكسية كمخرجين تقدميين . لقد عملت افلاما سياسية حول مواضيع : « سلاح للفلاحين » وقد ارفعوا ايديكم عن كوبا » او ازالة العنصرية في جنوب افريقيا » او نضال الشعب الفلسطيني » . كما اعمل على الصعيد المحلي بشكل مكثف حول مواضيع مثل مقاومة الفاشية والفاشية الجديدة والبطالة .

■ هل يمكن ان تذكر لنا عدد الافلام التي اخرجتها وحظيت بجوائز ؟

■■ قبل كل شيء اشارك في مهرجانات دولية كثيرة من بينها ايضا مهرجان لايبزيغ ، لجان التحكيم في المهرجانات التي شاركت فيها منحت جوائز لـ ٢٥ فيلما فمنت أنا باخراجها . مثلا في مهرجان نيوث (سويسرا) وابيرهاوزن (المانيا الاتحادية) وسيوبورك وباريس وفي مهرجان لايبزيغ (المانيا الديمقراطية) .

■ هل غرست لك افلام في تلفزيون المانيا الاتحادية ؟

■■ نعم عندما ذهب ياسر عرفات الى الامم المتحدة لالقاء كلمة هناك ، عام ١٩٧٤ ، قدمت وقتها من مخيم الرشيدية . آنذاك طلب مني المثال الثاني ZDF فيلما عن الفلسطينيين . وقد اعطيتهم فيلماً وثائقيا عن مخيم الرشيدية . الصحف الالمانية الغربية تناولت هذا الموضوع فمنهم من هاجمني نظراً لموقفي السياسي ومنهم من شجعني للاستمرار في ذلك . خلال الخمسة اعوام الاخيرة اخرجت اربعة افلام عن كيفراغوا والسلفادور . احدهم عُرض في القنال الثالث وهو فيلم عن تيكراغوا اسمه « الاقدام العارية » .

وبالرغم من ان التلفزيون لا علاقة له بسياسة الدولة الا ان الاجهزة المسؤولة في المانيا الاتحادية تمارس سياسة غير مباشرة لتأثير عليه . كما ان الاحزاب المحافظة تحاول أيضا التأثير على الصحفيين .

٢٥ فيلماً حظيت بجوائز

■ هل يمكن ان تذكر لنا عدد

Digitized by Birzeit University Library

الدم الزاحف

انا ميلاد جديد
انا خصوصية ثورية
انا استحضار .. انا خلق فريد
من دموع امي .. من لوعات ارضي الذبيحة
انتفضت جبارا عنيد
عمري الآن خمس عجاز وعشر شهور
جرحين في صدري
الف حجر وذراع مكسور
انا من خيمة عمرها عشرين عاما
انا أمل وحلم بالاعداء والرصاص محاصر
عشرون عاماً وراء اسوار الخوف
واغلاق نوافذ الضوء
تزوير اسماء الشوارع والجدران
اغتصاب الارض والعرض
واجهاض الروح الوطنية
ياجيلاً دفنت اوهاماً نازية
تحت الدماء
تحت الحجارة
تحت اقدام الاطفال

■ عيسى المعالي
فلوريدا - اولاندو - الولايات المتحدة الاميركية

فلسطينية

عشرون عاماً يا أمي
ونحن لا نكل من الاشتياق اليك
في الماضي كنا نجهل مكان اقامتك
والآن أنت الهام الشعراء
وواحة الادباء

■ عبد الحميد محمد - قامشلي - سوريا

رغبة الشهيد الاخيرة

من بعيد
تموت آخر الضحكات
وتحمل الريح
صوت الشهيد المرتفع
ينادي
ويردد في الآفاق
لا تدفنوا البندقيتين
وجعبة الرصاص
وزمزمية الماء
معي...
ازرعوها على قبري
اعطوها لغيري
لكن .. لا تجمدوها
اريدها ان تنبت بنادق
اخرى...
وان تستمروا
تلك هي رغبتي الاخيرة..

■ محمد مستو - حلب - سوريا

الاشتراك في المجلة

نبعث لكم بتحيات جميع العرب من مدينة حيفي شهر والذين شيدوا هذه المكتبة العامة العربية الاولى في المدينة ونرجو تزويدنا باشتراك مجاني مستمر في مجلة «الحرية» حتى يستفيد منها العرب في المدينة احسن فائدة. ونوضح لكم ان وضعنا المادي صعب.

■ د. عدنان الحمداني
ايران - حيفي شهر

■ الصديق د. عدنان الحمداني - ايران - حيفي شهر

■■ نعتذر عن تلبية طلبكم بسبب اوضاع المجلة المادية ونرحب بكم اصدقاء للمجلة.

عمَلية معالوت الثانية

في البداية لكم مني التحيات الرفاقية والفخر والاعتزاز بمجلتنا الرائدة في العالم. انا لست بمشترك بمجلة «الحرية» فحسب بل موزع لها على نطاق مدينة كبيرة في جمهورية المانيا الديمقراطية واحب ان اشكركم على سرعة توزيع المجلة الى البلدان المختلفة. وتعتبر مجلتنا من اسرع المجلات السياسية العربية التي توزع على نطاق جمهورية المانيا الديمقراطية.

اكتب لكم في هذه الرسالة متسائلاً عن شيء مهم والذي يحق للرفاق والاصدقاء لمجلتنا السؤال والاقتراح ايضا. فكما هو معروف، لمجلتنا ولمناضلينا في الثورة الفلسطينية، حصلت عملية بطولية يوم ١٣/١/١٩٧٩ في ترشيحا «عملية معالوت الثانية» وفي كل ذكرى سنوية من تاريخ هذه العملية لا تتطرق مجلتنا لذكرها مع العلم ان مجلتنا تذكر جميع العمليات البطولية لجبهتنا في تاريخ ذكراها السنوية وهذه العملية لا تقل أهمية عن سابقاتها وما حدث بعدها من عمليات بطولية. فتمجيداً لابطالنا وشهدائنا واسرانا الذين هم مشاعل لنا على طريق الثورة الطويل نرجو ان تنشروا نبذة عن الابطال الثلاثة الذين قاموا بهذه العملية البطولية.

■ حليم (...)
دريزن - جمهورية المانيا الديمقراطية

■ الصديق حليم - دريزن - المانيا الديمقراطية:

■■ نشكر لك كلماتك الحارة. ونحن لم ننسى ابطال عملية معالوت الثانية وتمت كتابة العديد من المواد حول هذه العملية البطولية المجيدة. ونرحب بمساهماتك القادمة.

لبنان يا نهراً تفجّر بالدم

فتاة لبنان في الميدان عارية
ذاقت من السقم الواناً من الشجن
لبنان يا قبلة الشاكي وباسمها
انت الاعز وهذا الهم يؤرقني
لبنان يا جنة الفردوس زاهرة
فيك الجمال ومنك السحر يطربني
واليوم ترقى الى العلياء مؤتلقاً
كأنك الليث منقضاً من العطن
هذا النداء يهز الغافلين رؤى
فيم الرقود..؟ وسيف الحق يرمقني
خوضوا غماراً فدون الحق قافلةً
من الرجال.. ونار الثأر في بدني

■ منير محمد خلف - الحسكة - سوريا

ردود خاصة

■ الصديق فارس شاكر - الحسكة - سوريا:

■■ لقد تم نشر اللوحة المرسلة كما نشرنا العديد من المواد عن الشعب الكردي ونضالاته وكذلك العديد من المواد النظرية الماركسية - اللينينية.

■ الصديق عبد ابو نضال قطوم - السلمية - سوريا:

■■ نشكر لك كلماتك الرقيقة، ونرحب بمساهمات جديدة لك.

■ الصديقة ادبية مهدي حسين - عامودا - سوريا:

■■ نشكرك على كلماتك الحارة ونتمنى مساهمات جديدة منك.

■ الصديق علي حافظ - حلب - سوريا:

■■ وصلتنا مساهمتك «رغيف الحجر»، ونرجو ان تصلنا مساهماتك الجديدة مع الاعتذار لعدم نشر المساهمة السابقة.

■ الصديق ابو زياد - درعا - سوريا:

■■ نشكر لك عواطفك الدافئة وننتظر منك المزيد من المساهمات الجديدة.

رسم

■ الصديق عبد الجليل - عامودا - سوريا:

■■ نشكر لك هذا الرسم اللطيف ونرحب بمساهماتك القادمة.

Digitized by Birzeit University Library